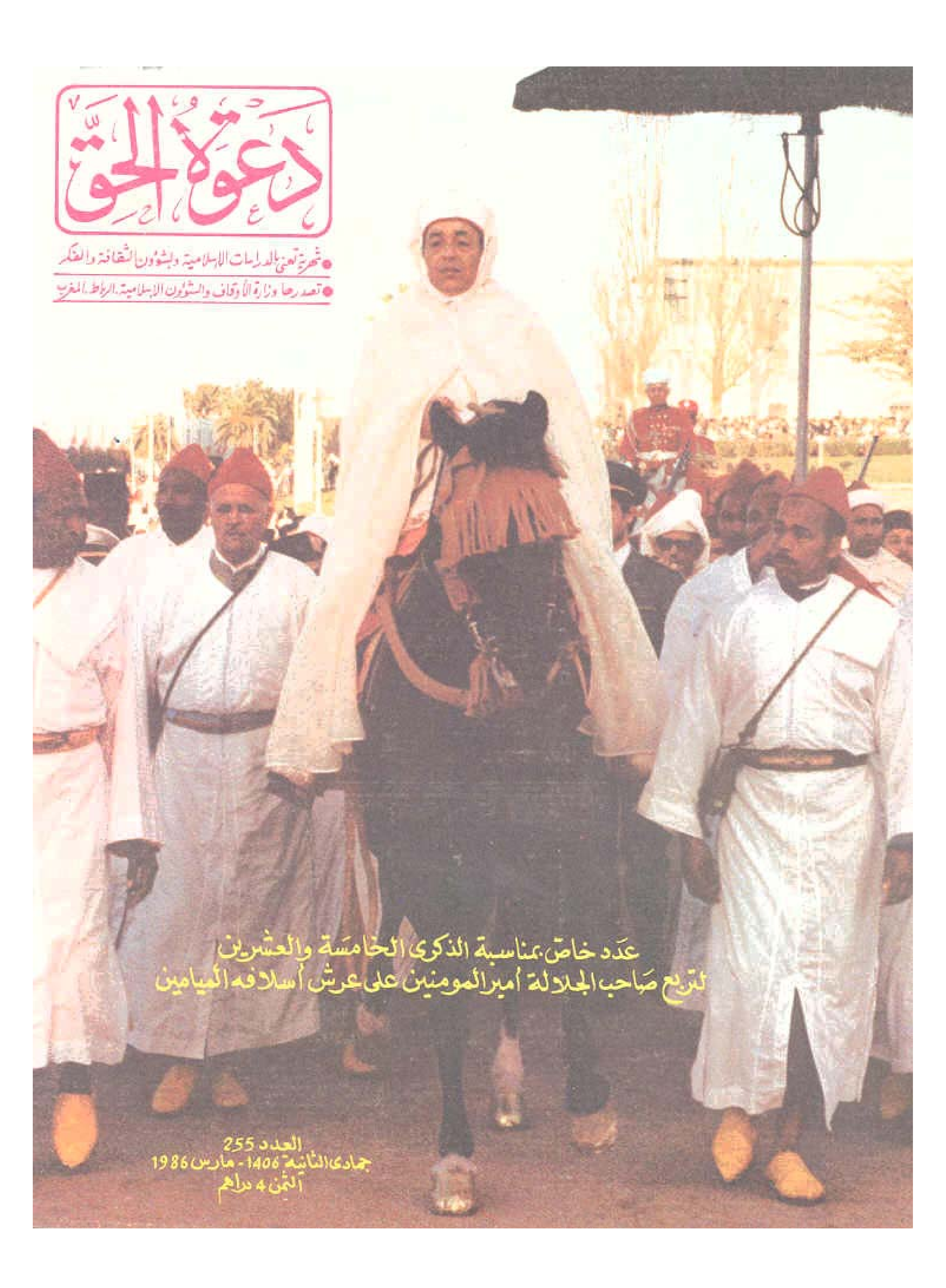

دعوة الحق
شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب
عدد خاص بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين
لتربع صاحب الجلالة أمير المومنين على عرش أسلافه الميامين
العدد 255
جمادى الثانية 1406 - مارس 1986
الثمن 4 دراهم



• أقسم بالله العلي العظيم، أن أبقى وفيا لروح المسيرة الخضراء، مكافحا عن وحدة وطني، من البوغاز إلى الصحراء.

• أقسم بالله العلي العظيم، أن ألقن هذا القسم أسرتي وعشيرتي، في سري وعلانيتي، والله سبحانه هو الرقيب على طويتي وصدق نيتي.



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية



أسسها
جلالة المغفور له
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ — 1957 م

التحرير:
الهاتف: 601.85

الإدارة و التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

*

الاشتراكات : في المملكة المغربية : 70 درهماً
في العالم : 80 درهماً

الحساب البريدي : رقم 55-485 . الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

● المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي كاتبيها ولا تلزم المجلة أو الوزارة التي تصدرها ●

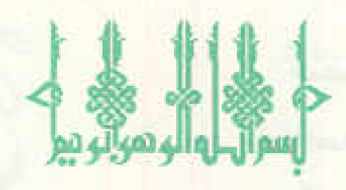
تهنئة

تحتفل الأمة المغربية قاطبة بالذكرى الخامسة والعشرين لتربع أمير المومنين، سبط النبوة، جلالة الملك الحسن الثاني المفدى على عرش أسلافه الميامين.

وبهذه المناسبة العزيزة يسعد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن تتقدم إلى المقام العالي بالله مهنئة مباركة وداعية الله جلت قدرته أن يكلأ بحفظه وعنايته، مولانا الإمام المنصور بالله، ويمده بعونه وتوفيقه، ويحقق به وعلى يديه لشعبه المتعلق بشخصه الكريم، والوفي لعرشه، المزيد من التقدم والازدهار. ولأمته الإسلامية التي ترى فيه قبساً من نور النبوة، السؤدد والعز باتحاد كلمتها، وتحرير أراضيها المحتلة والمغتصبة، وفي مقدمتها القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك، ويحفظه لشعبه وأمته ذخراً وملاذاً، ويقر عين جلالته بولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه المحبوب صاحب السمو الملكي الأمير السعيد مولاي رشيد وسائر أفراد أسرته الشريفة. إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.



افتتاحية



عيد عرش ومَلك، وشعب وأمّة

هذا العيد ليس عيدا على نمط الأعياد التي تحتفل بها نظم معزولة عن شعوبها، فتقام مراسم أعيادها، وطقوس احتفالها، دون أن يتحرك لها الوجدان الشعبي.

ولكنه عيد عرش وملك، وشعب وأمة.

عرش تعاقب عليه صفوة من الأشراف العلويين آل بيت النبي، ﷺ، أسّسوا بنيانه على تقوى من الله ورضوان، وتأثلوا المجد كابرا عن كابر.

وملك حمل أمانة ميراثهم، وشرف أعراقهم وعزة انتمائهم، ولواء الدين القيم، فرسخ الأُسس، ودعّم البنيان، ورفع المنار، وقاد مسيرة شعبه الوطنية والحضارية إلى ما ينبغي له من عزة وسيادة ومنعة ورقي...

وعيد شعب عريق أصيل، يعرف أقدار الرجال، وعظمه الأبطال، وموازين القيم، ويهيم بمكارم الأخلاق والفضائل، ونبل السجايا والمحامد، وجليل المواهب والمحاسن، ورث أمجاد أسلافه الأماجد، من جند طارق بن زياد في فتوح الأندلس، إلى القادة العظام الذين ذادوا عن حياض الإسلام في هذه الجبهة، وحافظوا عليه ديناً ودولةً، لساناً وثقافةً، حضارةً وتراثا.

وعلى العهد بهذا الشعب العربي المسلم العريق الأصيل، في مثل هذا العيد من كل سنة، يحتشد أبناؤه للإحتفال بعيد ملكهم، وقائد مسيرتهم، أمير

للأستاذ الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

المؤمنين جلالة الحسن الثاني المنصور المؤيد بالله، تمجيدا للذكرى الخالدة، واستبشارا بالمناسبة السعيدة، من عهد مولانا الزاهر الميمون، وعرفانا بجميل ما أسدى وبذل، واحتشاداً من حوله في تعبئة تلقائية، هيهات أن يشهد مثلها هذا الزمان، وأي زمان..

للسنة الخامسة والعشرين يحتشد الشعب لهذه الفرحة، وحماسه لا يعرف فتورا، ووهج الفرح، على تكرار الأعياد، يزداد اتقاداً، وجماهير الشعب لا تكفّ عن الهتاف والدعاء.

خمس وعشرون عيدا، كل عيد فيها يتزود بما قدم أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني، أبد الله ملكه، لشعبه ووطنه، وما زرع في أرضه الطيبة وما أنشأ وأبدع.

وتمر الأيام والسنون، فتضاعف من رصيد العطاءات والمنن، وتعظم بحول الله الآلاء والنعم، فما يحصيها عاد....

وتاريخنا شاهد على ما جدد العهد الحسني الميمون من حيوية هذا الشعب، وما أنجز من مؤسسات حضارية وعلمية وعمرانية، وما حقق من انتصارات وفتوح، وما كوّن من كفاءات في شتى الميادين، من جنود بواسل، وعلماء فطاحل، وخبراء في الاقتصاد والإدارة، وكفاة في سائر الميادين.

وهو أيضا شاهد على ما حمل جلالته، حفظه الله، من أمانة التكليف، فوصل جهاده بجهاد أسلافه الميامين.

وهذا العيد أيضا عيد أمة، ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾، حملت لواء الله، ورفعت منار حضارة شامخة، هدت مسرى البشرية لمدى قرون، ثم أصابها ما أصابها، فتخلفت عن الركب، وناضلت طويلا لتحمي وجودها في مواجهة تحديات عصر لا يرحم.

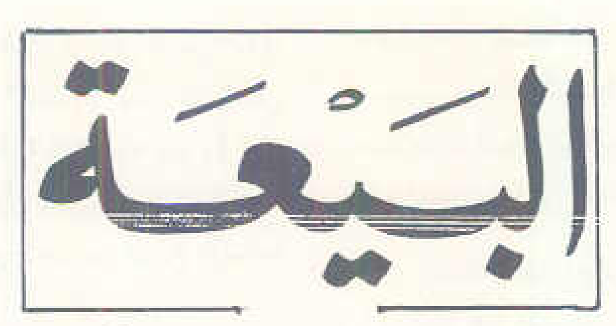
في خضم هذه التحديات تتطلع هذه الأمة إلى أمير المؤمنين سبط النبي الكريم، تُبارك مواقفه الحكيمة لرأب الصدع، وجمع الشمل، ومسعاه الدؤوب لوحدة الصف، فوكلت إليه قيادة العمل الإسلامي، ولجنة القدس، فحمل الأمانة الصعبة بما عرف عن جلالته، أبقاه الله، من شجاعة الموقف، وسداد الرأي، وحكمة القرار، وصدق الكلمة والوعد، ونزاهة الوسيلة والمقصد، ونَهَض بالعبء المضاعف في خضم هذه التحديات، فما وهن وما ضعف، بل كان قدوة الصادقين قولاً وعملا، الأوفياء وعداً وبذلا، السابقين بالخيرات نخوةً ونبلا.

هذا العيد، عيد عرش وملك، وشعب وأمة.

عيد ولاء متجدد لسبط النبوة، ولقاء حميم بينه وبين شعبه وأمته، بكل ما يمثله فينا من شرف الأعراق، ونبل السجايا، وجليل المحاسن، وما يمثل به في عالم اليوم، شخصية هذه الأمة، يقود مسيرتها، ويرعى أمانتها... لتكون كما أرادها الله تعالى : ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾.

حفظ الله مولانا الإمام المنصور بالله، وأعز به أمة الإسلام، وحفظه في ولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السعيد صاحب السمو الأمير المحبوب مولاي رشيد، وسائر أفراد أسرته الشريفة، إنه سميع مجيب.

وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري



رباط بين العرش والشعب

وقد حقق هذا الرباط مستلزماته من الطرفين

سنة واحدة من خمس وعشرين سنة

هي الحكم على مصداقية البيعة

لفضيلة الأستاذ عبد الله كنون
رئيس رابطة علماء المغرب
ورئيس المجلس العلمي الاقليمي بطنجة
عضو أكاديمية المملكة المغربية

لا نشك لحظة في صدق مقولة، ما كان لله دام واتصل، وليس لأننا متدينون تدينا ساذجا كما قد يتصور بعضهم، فالدين لم يكن قط شعورا ساذجا إلا عند من لا يفهمه. كيف والشرط الأول في الالتزام به هو العقل، كما جاء في الكتيب الأول الذي تلقينا منه مبادئ التربية الإسلامية : (وكل تكليف بشرط العقل).

ولكن الأمر أعمق من ذلك، إنه تنظيم وجدناه عند التنظير يفوق كل تنظيم آخر، في الكليات والجزئيات، والمبادئ والغايات، وعرضنا كل دعوى عريضة عليه فرأيناها تضؤل وتتوارى مع أصحابها، ولا يثبت ويشمخ إلا هذا الدين ثبات مصدره وشموخه.

والسبب واضح وهو أن ما عداه من الدعاوي أو النظم أو المذاهب، هي من صنع البشر، والبشر مهما يكن شأنهم فإنهم قاصرون ومحدودو المعرفة، بدليل ما يقع على أعمالهم من استدراك ويلاحظ فيها من نقص، ثم هم يعملون بدوافع وبواعث، كثيرا ما تبتعد بهم عن الحق والصواب.

ولا كذلك الدين الذي هو من وضع خالق الكون وفاطر البريئة، العالم بما يصلحهم وما هو خير لهم بالذات.

ولا ندلل على ذلك إلا بأن الدعاة وأصحاب المذاهب والمفكرين منذ بدء الخليقة لدى تصنيفهم، نجد هذا من المتفلسفين، وهذا من المشترعين، وهذا من الاجتماعيين، وهذا من الاقتصاديين، وهذا من الحكماء، وهذا من الأخلاقيين إلى غير ذلك من طبقات العباقرة والمبدعين الإنسانيين، ولسنا نعثر على من تجمعت فيه هذه الصفات كلها وكان عطاؤه الفكري ثرا زاخرا وفي صالح البشرية مثل عطاء أنبياء الله ورسله ولا سيما خاتمهم صلى الله عليه وعليهم أجمعين، ولا نذكر ما أتى به في باب التشريع والإصلاح الاجتماعي، ونظام الحكم، وتصحيح العقيدة، فضلا عن عالم الغيب ومالا يدرك بتفكير ولا تعقل، مع العلم بأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ومن أمة أمية كذلك، فما

هو مصدر هذه العبقرية المحيطة، إن لم يكن الوحي الذي التصديق به أدعى للقبول من التصديق بأن ذلك من عندياته وإبداعه الشخصي، لأن طاقة البشر محدودة ولا تبلغ أن تسع هذه المعطيات كلها وأن تكون منطلقاتها بهذه الشمولية التي رأينا أنها لم تجتمع لأحد عبر تاريخ الإنسانية الطويل.

فلنعترف إذن بأن الدين ضرب الرقم القياسي في العقلانية، وأن السذاجة لاتجامعه في تعليم من تعاليمه وحكم من أحكامه، وأنه لما شرع البيعة في نظام الحكم كان قد وضع أرقى دستور للدولة التي تقيم ميزان العدل ويسعد بها الناس.

فالبيعة رباط بين الحاكمين والمحكومين، تجعل الطرفين معا يتعاونان على البر والتقوى ومنع الإثم والعدوان، وهذا هو المراد من استخلاف الله للإنسان في الأرض، فكل عمل يهدف إلى هذه الغاية هو عمل لله، وما يكون لله يدوم ويتصل.

ونحن إذ نسجل باغتباط وارتياح مرور خمسة وعشرين عاما لجلوس جلالة الملك الحسن الثاني على عرش المغرب، بحكم البيعة التي أُخذت له في عهد والده المنعم، بإجماع من الشعب المغربي على ذلك، لما رآه الجميع فيه من نجدة وشجاعة وحكمة وحنكة ووطنية وإخلاص، بحيث ينشد في حقه قول ابن الونان في مطولته المعروفة بالشمقمقية :

فبايعته الناس طرّاً دفعةً

لم يكُ فيها أحدٌ بالأبق

أقول : نحن إذ نستقبل هذه المناسبة السعيدة نرى كيف استقام هذا الأمر وتمهد وتوطد، وطوى مرحلة ربع قرن كامل، مليء بالأعمال والإنجازات التي جعلت من المغرب دولة عصرية عريقة، قديمة حديثة، تبني مستقبلها بإيمان وطموح، وتعزز مركزها الدولي على الصعيد العالمي بسياستها الرشيدة ونظرتها البعيدة، فتعلم أن ذلك من بركة البيعة الشرعية، وتلاحم القاعدة والقمة، بحكم الرباط القوي المتين، على العمل النافع والسعي الناجح، والقول الذي يعضده الفعل، والنية الحسنة التي لا يثمر شيء بدونها، وبذلك الرباط المبارك أمكن للطرفين تحقيق مستلزمات البيعة في الماضي، وبه سيتمكنان من تحقيق هذه المستلزمات في المستقبل بحول الله وعونه.

وماذا أقول وأحكي عن المشروعات وعن المنجزات التي تمت في عهد الملك الباني وهي تعد بالعشرات والمآت، العشرات من الأعمال الكبرى التي تفتخر الشعوب والأمم بتحقيق الواحد منها، والمآت من المنشآت في الأقاليم التي كانت إلى الضياع ماهي، فأصبحت تفخر بمؤسساتها التعليمية والصحية والاجتماعية، وحسبنا بإقليم العيون الصحراوي والمقارنة بينه اليوم وبين ما كان عليه يوم تسلمه، مما يعلمه الجميع، ويندهش له الذين يرون تطوره السريع.

ولعل سنة واحدة من السنوات الخمس والعشرين الماضية هي سنة 1405 ـ 1985 تكون هي الحكم على الحقبة التي مرت من حكم جلالة الملك الحسن الثاني، إذ لا نستطيع في هذه العجالة أن نستعرض كل الأعمال ولا بعضها التي تمت في تلك الحقبة الزاهرة، بل إننا لا نستطيع أن نستعرض الأعمال المنجزة في هذه السنة الواحدة، ويكفينا أن نشير إلى العمل في الميدان العربي والإسلامي إذ كان أثره من الناحية السياسية عاما وشاملا، ويبرز بقوة النفوذ الواسع الذي يتمتع به جلالة الحسن الثاني في الميدان العربي والإسلامي والدولي، وما عقد ثلاثة مؤتمرات عربية وإسلامية في المغرب بدعوته واستضافته إلا صورة واضحة من هذا العمل، وهي مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامية ومؤتمر القمة العربية الطارئة، ومؤتمر لجنة القدس؛ في شهور متقاربة من هذه السنة، الأمر الذي لم يكن من المستغرب معه أن يقول الأخ ياسر عرفات، وهو شاهد العصر على أكبر قضية عربية إسلامية : إننا ياجلالة الملك إذا حزبنا الأمر لانجد ملجأ إلا إليك، وإلى بلدك العظيم.

هنيئا لجلالة الملك وأدام الله عزه وعلاه.

العبقرية الحسنية وبروزها في عهد مبكر

(أمير الأطلس طارق الجديد)

للأستاذ محمد المكي الناصري
رئيس المجلس العلمي الاقليمي للعدوتين
وعضو أكاديمية المملكة المغربية

شهر أبريل من سنة 1947 يمثل في تاريخ النهضة المغربية والحركة الوطنية قفزة كبرى في حياة العرش والشعب، فقد اختار جلالة الملك الصالح سيدي محمد بن يوسف قدس الله روحه، أن يجعل من طنجة منبرا يتحدث منه بكل حرية إلى شعبه وإلى العالم، فعبر في خطابه التاريخي يوم 9 أبريل 1947 عن أماني الشعب في الحرية والوحدة والاستقلال، بكل صراحة ووضوح وثقة، وقد كان الشعب المغربي من قبل، على موعد مع جلالته كلما حل عيد عرشه السعيد، يعرف نبضات قلبه، ويتحسس مشاعره الدفينة، ويتطلع معه إلى الوقت الذي تتحقق فيه أماني المغرب الوطنية، فلم تكن المفاجأة بما قاله وما طالب به، مفاجأة كبرى لشعبه بالمعنى الكامل، لأن شعبه كان على بينة من نواياه ومطامحه ومساعيه في ذلك السبيل، منذ اعتلائه العرش، وإنما كانت المفاجأة والصدمة لدهاقنة الاستعمار، الذين طار عقلهم، وانهارت أعصابهم، لمجابهتهم بما يكرهون، وما لايخطر لهم ببال.

لكن المفاجأة الجديدة بالنسبة للشعب بالخصوص، كانت بروز أمراء وأميرات البيت المالك، إلى جانب عاهل البلاد المفدى، وخروجهم إلى الميدان يعززون جانبه، وينشرون دعوته، ويضربون المثل لشباب المغرب فتيانا وفتيات، والتعرف على ما يتوفرون عليه من مؤهلات نادرة، وخصال باهرة، تكونت عندهم في مدرسة الملك المربي (مؤسس المدرسة المحمدية) مما لم يكن الشعب على علم به من قبل، في جميع أطراف البلاد، ولا سيما في مناطق الشمال.

لقد كانت خطب أمير الأطلس وولي العهد صاحب السمو الملكي مولاي الحسن بن محمد أثناء الزيارة الملكية لطنجة، كخطب شقيقته صاحبة السمو الملكي للا عائشة هي المفاجأة الكبرى والجديدة، بالنسبة للشعب، وخصوصا في الشمال، فتهافتت جموع الشعب من كل صوب وحدب، للاستماع إليها، والارتواء من معينها، والهتاف لها من أعماق القلوب، وكان خطاب أمير الأطلس في حفلة الاستقبال التي نظمها معهد مولاي المهدي في (بيت الوحدة المغربية) بطنجة خطابا متميزا عن غيره بطابعه السياسي والوطني في الدرجة الأولى، كما كانت فقراته في أغلبها تعزيزا وتوكيدا لما جاء في الخطاب الملكي لعاهل البلاد المفدى، فقد عرض سمو الأمير مولاي الحسن في خطابه الخطوط العريضة في (البرنامج الملكي للنهضة المغربية) ذلك البرنامج (الذي وضعه الجناب الشريف للنهوض بالشعب المغربي من كبوته، وإيقاظه من غفلته) على حد قول

صاحب السمو حفظه الله، وقد لخص صاحب السمو فصوله في كلمات ست : (إسلام وعروبة - علم وعمل - وحدة وتعاضد).

ثم قال حفظه الله موضحا تلك الكلمات : (فالإسلام ديننا، وسر قوتنا، ومنبع سعادتنا،) وبعد أن شرح هذه الفقرة بما يشفي ويكفي، تحدث عن (العروبة) فقال : (أما العروبة فهي موطننا، ولغتها ركن من أركان قوميتنا، وأبناء شعوبها أشقاؤنا، بها نفتخر، وعلى لسانها نحافظ، وإلى إخوتنا من أبنائها نَحِنّ) وبعد أن عقب على هذه الفقرة بما يزيدها رسوخا ووضوحا، انتقل إلى الحديث عن العلم والعمل، فقال : (وأما العلم، فبه يعلو قدر الرجال، ويرتفع مستوى الأمم، ويتسع الفكر، ويتحرر من التعصب الممقوت، ويشرف على منهل الحقيقة الخالدة، الواحدة، بالرغم من تعدد الطرق الموصلة إليها) وفي سياق شرحه لهذه الفقرة، أعلن أن «جلالة والده اختار وفدا من الشباب المثقف، وأرسله على نفقته إلى مختلف كليات فرنسا، ليتخصص كل منهم في علم من العلوم العصرية، من طب وقانون وهندسة وغيرها».

وفيما يخص ((الوحدة والتعاضد)) قال حفظه الله ما نصه بالحرف الواحد :

«إن ما نصبو إليه يتطلب :

1) - **وحدة وتعاضدا** بين مناطق المغرب، لكي يجتمع للمغاربة شملهم وتتحد وجهتهم.

2) - **وحدة وتعاضدا** بين علماء الشيوخ ومثقفي الشباب، حتى نحتفظ من القديم بكل مفيد، ونأخذ من الجديد كل نافع.

3) - **وحدة وتعاضدا** بين مختلف طبقات الأمة فقيرها وغنيها

4) - **وحدة وتعاضدا** بالأخص، بين أفراد نخبتنا العاملة، حتى تسير على هدي من الله وبصيرة».

وقد كان خطاب صاحب السمو ولي العهد يقابل بالهتاف الحار والتصفيق الحاد من الجماهير المتراصة في رحاب بيت الوحدة المغربية، وشرفاته، والشوارع المجاورة له، على مسافة طويلة، وكان خطابه جوابا لخطاب مؤسس المعهد ورئيس الوحدة المغربية الذي استقبل به سموه، والذي دار الحديث فيه حول «المدرسة الوطنية» و«المدرسة الاستعمارية» والأثر الطيب للمدرسة الأولى، والخطر المتوقع في المدرسة الأخرى. وتذكيرا بالصدى الواسع الذي لقيه خطاب سمو الأمير مولاي الحسن في «بيت الوحدة المغربية» جوابا عن خطاب الاستقبال الذي ألقاه مؤسس المعهد، ننقل بعض الفقرات مما كتبته الصحافة الوطنية في ذلك الحين، ثم ما كتبه أحد المؤرخين المعاصرين، فقد جاء في العدد الأول من صحيفة «الرأي العام» الصادر بتاريخ 24 جمادى الأولى عام 1366 الموافق 16 أبريل 1947.

(استقبل جلالة الملك سكان طنجة والشمال المغربي في طليعتهم وفد حزب الوحدة المغربية، برئاسة زعيمه الأستاذ الشيخ المكي الناصري، وقد ارتجل الأستاذ الناصري أمام جلالته خطاب ترحيب، تحدث فيه عن علاقة طنجة بالعرش العلوي، وشهدت طنجة بعد ذلك أول وأعظم مشهد من نوعه في المغرب الجديد، ذلك المشهد الذي لا يضارعه في العظمة إلا مشاهد جموع الشعب التي تحتشد حول قادتها وزعمائها لتستمع إلى خطبهم في أقطار الدول المتحضرة، فقد زار سمو ولي العهد، «معهد مولاي المهدي» الواقع في أهم شوارع طنجة الجديدة، وصعد إلى قاعة بيت الوحدة المغربية، حيث ألقى مؤسس المعهد الأستاذ المكي الناصري خطابا بليغا استهله بالكلام عن مهمة «المدرسة» في التاريخ البشري، وانطلق يقارن بين المدرسة الوطنية وأهدافها، والمدرسة الاستعمارية وأغراضها في إسهاب، ثم تطرق إلى الأعمال الوطنية التي قام بها السلطان المقدس مولاي الحسن الأول نحو شعبه، والدسائس التي حيكت لتمزيق وحدة المغرب، ثم تكلم عن تأسيس معهد مولاي المهدي بتطوان وفرعه بطنجة «طنجة التي عاشت يتيمة يتما روحيا، طنجة تلك الشرفة التي يطل منها الأجانب على المملكة المغربية» ثم تابع خطابه قائلا : «إن حبل التعليم طويل، فهل سينتظر هذا الجيل السنين الدراسية

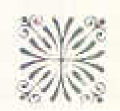
اللازمة لتعليمه، حتى يتمكن من الحصول على حريته واستقلاله» وانتقل يتكلم بعد ذلك على مكايد الاسبان، وسعيهم في عرقلة المشاريع الثقافية، وأكد أن المغرب جزء لا يتجزأ من الجامعة العربية، إذ من يستطيع أن ينكر عروبتنا وإسلامنا ؟ والدولة العلوية الشريفة التي تشرف على مصيرنا هي أقدم دولة عربية في العالم، ثم تكلم عن أماني المغاربة في جلالة الملك وولي عهده، والتمس من صاحب السمو الملكي أن يعبر لجلالة والده عن رغبة المغرب في اشتراكه في اللجنة الثقافية بالجامعة العربية.

وإثر هذا الخطاب نهض صاحب السمو، وهو لابس حلة الكشاف، وخرج إلى شرفة «بيت الوحدة» حيث أطل على أمواج الجماهير المحتشدة، التي سترت الشوارع، وأخفت السطوح، في منظر رهيب، لم يتقدم له مثيل في تاريخ النهضة الحديثة، وتعالت الهتافات التي اهتزت لها أرجاء طنجة، ورددت صداها شواطئ الأندلس، وأيقظت جبل طارق، وكان تجاه سموه - من غفوته التي مضت عليها القرون، منذ أن اخترقه المسلمون الفاتحون، وعندما ابتدأ صاحب السمو الملكي يلقي خطابه أمام مكبر الصوت عاد جبل طارق باحثا وراء السنين عن صوت طارق القديم، الذي انبعث من جديد في نبرات «طارق الجديد أمير الأطلس» وانقضت ساعة وسموه يخطب، أحس خلالها عشرات الآلاف بروح الحياة تسري في أعماق قلوبهم وكأنما بعثوا بعثا جديدا».

ونشر المؤرخ المعاصر فضيلة العلامة المرحوم السيد عبد الله الجراري مقالا بعنوان : (ولي العهد المحبوب الحسن في رحلة طنجة سنة 1947) مقالا تذكاريا بجريدة الأنباء في عددها الممتاز، الصادر بتاريخ 23 ربيع الثاني 1389 هـ الموافق 9 يوليوز 1969م، تحدث فيه عن الخطاب التاريخي الذي ألقاه سمو أمير الأطلس، فقال : (عندما قام مؤسس المعهد يخطب بين يدي سمو الأمير ولي العهد كان مما قاله : «إن الله تعالى حبا تاجكم الوهاج درة فريدة» ووصف طنجة بأنها لوحة من الفن الإلهي البارع المثال، وأن الله أعطاها من سحر الطبيعة الفتان، ما يعجز عن وصفه اللسان وكان مسك الختام كلمة ولي العهد، دررا غالية، ونصائح واعية، حيث الكل يرسل من أعلى شرفات المعهد، فيزيده تضخيم الصدى الملتهب حماسا وروعة على روعة، والجم الغفير من أبناء الشعب الطنجي، وسواهم من الزوار، الذين سمحت لهم الظروف بالمشاركة في ضيق وقد غصت بهم الطرقات وزواياها، والسطوح والنوافذ، مناظر مفرحة أخاذة، وكان مؤسس المعهد يعيد بعض فقرات الخطاب الأميري، رغبة في تكراره على مسامع القلوب مرة أخرى).

بهذا الحماس الشديد، وهذا الاهتمام البالغ، قوبل أمير الأطلس سمو ولي العهد في طنجة، وقوبل خطابه التاريخي، الذي كان أقوى حقنة للشباب في سبيل التعبئة والتضحية في سبيل الوطن، بالإضافة إلى الخطاب الملكي الخالد الذي هز أركان الاستعمار، وأقض مضاجع المستعمرين، واعتبرته المحافل الدولية نقطة تحول في تاريخ العلاقات بين المغرب وبقية الدول.

واليوم ونحن في سنة 1986، أي بعد ما يقرب من أربعين سنة من الزيارة الملكية لطنجة، نجد جلالة ملكنا المفدى الحسن الثاني محافظا على نفس المبادئ والأهداف التي آمن بها ودعا إليها، وهو لا يزال وليا للعهد في فجر الشباب، ابن 18 عاما، فالإسلام والعروبة، والعلم والعمل، والوحدة والتعاضد، هي ليلاه وهجيراه في كل وقت وحين، وجميع جهوده مكرسة لخدمتها، وتعميق جذورها في الداخل والخارج، أمد الله في عمره، وحقق أمانيه في شعبه، وأماني شعبه فيه، وأبقاه ذخرا للدين والوطن.



ربع قرن في خدمة الإسلام

للأستاذ عبد الوهاب بن منصور
مؤرخ المملكة

تحتفي الشعوبُ في مشارق الأرض ومغاربها بمن أحسن إليها فجلب لها خيراً أو دفع عنها شراً، فتقيم لتكريمهم الحفلات وتنظم للاشادة بمآثرهم المهرجانات إن كانوا من الأحياء، وتنصب لهم التماثيل وتسمي بأسمائهم المعاهد العلمية والكراسي الجامعية والطرق والساحات إن كانوا من الأموات، وفي المملكة المغربية عدد لا يُحصَى كثرةً من الرجال الطيبين الذين أسدوا إليها خدمات جلى عبرَ تاريخها الطويل إما بالدفاع عن العقيدة وحماية الحوزة، وإما بالإسهام في الأعمال الحضارية والمشاركة في الإنجازات الثقافية التي رفعت ذكرها عالياً بين الأمم والشعوب.

ولا شك في أن جلالة الملك الحسن الثاني أطال الله بقاءه وأدام في درج العلا ارتقاءه، يأتي في طليعة العظماء الذين أسدوا للعالم الإسلامي - لا للمغرب وحده - أياديَ بيضاً ستبقى آثارها ومآثرها عالقة بالأذهان جارية على كل لسان مهما طالت السنون وامتدَّ الزمان، ولا يستطيع أي باحث أو كاتب أن يُحصي في صفحات معدودة وزمان محدود كل ما قدمتْه يداه الميمونتان من عطاء مبارك في جميع المجالات، وإنما يستحسن له أن يقتصر على واحد من الميادين التي كانت لجلالته - ولا تزال - فيها صولات وجولات.

وسأقتصر في السطور التالية على الإشارة إلى اهتمام جلالته بالميدان الإسلامي، وما بذله فيه من جهود موفقة ووقف فيه من مواقف مشرفة سواء كانت تخص مملكته وشعبه، أو تخص المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

واهتمامُ جلالته بقضايا الإسلام والمسلمين شيء نابع من فطرته، فهو غصن من دوحة النبوة الباسقة السامقة، وهو سليل الأكرمين من أسرته التي دعيت إلى الملك منذ أكثر من ثلاثة قرون ونصف لتصدّ عن مسلمي بلده الزحفَ النصراني الكاسح ولتحافظَ في هذا القطر المغربي على صفاء الإسلام ونضارته، وتجنبه ما علق به في أقطار أخرى من بدع ومحدثات بسبب كثرة الطوائف وتعدد الشيع، ثم ينبع هذا الإهتمام - بالإضافة إلى الأصالة والفطرة - من ثقافة جلالته الواسعة وتفكيره العميق ونظره البعيد وحسن تقديره للعواقب والتبعات.

ومن البديهي أن يتجه الإهتمام في المقام الأول إلى شعبه الذي هو مسؤول عنه بالدرجة الأولى، ثم إلى أمته الإسلامية الممتدة رقعتها الجغرافية طولا وعرضاً من جبال هملايا في الهند إلى سواحل المحيط.

والمتتبعون لحياة جلالته قبل الملك وبعده يعرفون مدى اهتمامه هذا بقضايا الإسلام والمسلمين، ولا شك في أن بصماته واضحة في مواقف جلالة المرحوم والده من تلك القضايا، وفي طليعتها قضايا بعض الطرق التي انحرفت عن التصوف الحق وقضية فلسطين التي أدمتْ ولا تزال تدمي قلب كل مسلم، وقضية التضامن مع العرب والمسلمين الذي تجلى كأحسن ما يكون التجلي في خطاب طنجة الشهير، وقضية نشر الوعي الإسلامي عن طريق توسيع نطاق التعليم الديني، سواء في مرحلتيْه الإبتدائية والثانوية بواسطة المدارس الحرة أو في مرحلته العالية بواسطة جامعة القرويين وكلية ابن يوسف، وحتى بواسطة الطلاب الذين كانوا يشدون الرحال للدراسة في المعاهد الإسلامية

العليا بالبلاد الشرقية وفي مقدمتها جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة.

أما بعد ما آل الملكُ إلى جلالته منذ ربع قرن فإن الإهتمامَ أصبح أكثر من جلي وواضح، لظهوره في كل قول يقوله جلالته أو عمل يعمله، بدءاً من خطاب يفتتح فقراته بآية من كلام الله أو حديثٍ من قول الرسول، وتصعيداً بإرسال تجريدتيْن عسكريتيْن إلى سيناء والجولان، ومخاطبة رؤساء الدول الكبرى بلهجة صريحة خالية من التلويح والتلميح في شأن مسائل إسلامية تعني جلالته وشعبه مثلما تعني المسلمين ورؤساءهم في كل مكان.

ويضرب جلالتُه المثلَ تلو المثل من نفسه وأسرته لمحافظته الشديدة على آداب السلوك التي أوصى بها الرسول وحث عليها صلوات الله عليه وسلامه، وله في ذلك مواقفُ ثابتة وعادات رتيبة لا يتخلف عنها، فالقرآن هو مثلُه الأعلى وإمامُه المطاع، يقرأ منه جلالته حزبا كل مساء قبل أن ينام، ويكتب في هوامش صفحات مصحفه - وهو يتلو آياته - كلَّ ما يعِنّ له من أفكار ويخطر بباله من نظريات تتعلق بما يكمن في الآيات من أحكام أو تعليلات أو ما أشارت إليه قبل أربعة عشر قرنا من فتوحات علمية لم يحلّ العلمَ الحديثُ اقفالها إلا في السنين المتأخرة، مما لو جمع ما في المصحف الذي يتلو فيه جلالته من تعاليق وبسط بسطة علمية لخرج منها جزء لطيف يمكن أن نسميه التفسير الحسني كما نقول تفسير الزمخشري أو تفسير القرطبي، وجلالته حريص على تلقين أطفال شعبه القرآن الكريم، وقد أدخل أبناءه وبناته الكتابَ القرآني قبل أن يدخلهم المدرسة الحديثة، وقد رأيتُ جلالته يهتز طربا وفرحا عندما استظهر ولي عهده الأمير سيدي محمد حزبا كاملا من القرآن لم يتلعثم فيه ولم يتلجلج، وعندما استظهر سمو الأمير مولاي رشيد خمسين حديثاً نبوياً بأسانيدها لم يختلط عليه فيها سند بسند.

وبهذه الروح الإسلامية والإيمان الشديد بالدين القويم شجّع جلالته التعليمَ الديني الجامعي، وطبع المصحف، ونشر كتب التراث الإسلامي، وأحيا مدارس تحفيظ القرآن بالروايات في دار زهيرو قرب طنجة وزاوية سيدي الزوين قرب مراكش وغيرهما، تلك المدارسُ التي كانت - لو لا همته وعنايته - مشرفة على الدثور والاضمحلال.

ولا أريد أن أطيلَ بذكر ما يعرفه رعاياه ويطلعون عليه يوميا وسنويا من مظاهر الإهتمام بالدين، كإقامة الحفلات في الأعياد والمواسم الإسلامية، وبناء المساجد الكبرى والصغرى في كل مدينة وقرية، بل في كل زنقة وحومة، وترؤسه للدروس الدينية في كل رمضان، وإرسال المئين من الحجاج كل سنة على نفقته إلى الديار المقدسة، وكسوة أضرحة الرجال المشهورين بالعلم والصلاح والجهاد، ونفْحه اليتامى والأيامى والمقلين من ذوي البيوت النبيهة بالهبات والعطايا بالحرمين الشريفين وبيت المقدس والعتبات المقدسة بالعراق وأمثال ذلك شرقا وغربا.

ومثلُ هذا الإهتمام الذي يوليه لشؤون الإسلام والمسلمين من رعاياه بأرض المغرب يوليه لقضايا الإسلام والمسلمين خارج المغرب، ولو اقتضى ذلك تكليف المغرب والمغاربة نفقات طائلة، لأن ذلك يدخل في باب التضامن الذي أوجبه الله على المسلمين فيما بينهم، فجلالتُه يزور - عند سنوح كل فرصة - إخوانه ملوك المسلمين وأمراءهم ورؤساءهم ويزورونه، ويساهم في بناء المساجد والمعاهد الإسلامية بأوربا وافريقيا وآسيا، ويزودها بالمصاحف والكتب التي تعين المسلمين على فهم دينهم والتفقه في أحكامه وأخلاقه، ولا يحدث حادث يُعرض أرض بلد مسلم أو يهدد سير دواليبه وأجهزته بخطر إلا وكان جلالته سباقاً لدرء الخطر وإصلاح الخلل، حدث مرة ان أضرب ربانُ الطيران المدني الليبي عن العمل - وكانوا جميعا من الأجانب - فعبأ جلالته ربابنة الطيران المغربي وأرسلهم إلى ليبيا لقيادة طيرانها فلم تتعطل خطوطُ الطيران الليبي بسبب ذلك، وحدث أن فجّر اليهود طائرات خطوط الشرق الأوسط بمطار بيروت فأرسل جلالته طائرات من الخطوط الجوية الملكية إلى بيروت لتُعوض الطائرات التي فجرها الإسرائيليون، وحدثت زلازل وفيضانات ببعض الأقطار

الإسلامية فكانت المملكة المغربية في طليعة الدول التي أرسلت رجال الإنقاذ ومواد التموين والأغطية والخيام لإسعاف المنكوبين.

أما في الميدان الديبلوماسي والعسكري فإن قضايا الإسلام والمسلمين تأتي في طليعة اهتماماته، وقد حضر جلالته العديد من المؤتمرات الإسلامية التي عقدت بالخارج، كما ترأس العديد من المؤتمرات الإسلامية التي عقدت بالمغرب، ولا يبخل جلالته بمال ولا سلاح لنصرة الأمة الإسلامية، أرسل جلالته تجريدة عسكرية أولى إلى مصر سنة 1967 فلما انتهت الحربُ عادت أدراجها إلى المغرب بعدما وصلت إلى بنغازي من أرض ليبيا، وأرسل جلالته تجريدتيْن احداهما قاتلت الصهاينة بالجولان سنة 1973 وقاتلتْهم ثانية بسيناء، وبفضل القتال الضاري والإستماتة المثالية التي أظهرها الجنود المغاربة أمكن إنقاذ مدينة القنيطرة بسوريا وميناء بور سعيد بأرض مصر من احتلال إسرائيلي محقق.

وجلالته من أكبر المهتمين بقضية القدس الشريف وفلسطين، وهو الذي دعا إلى عقد أول مؤتمر جمع رؤساء المسلمين بالرباط سنة 1969 على إثر محاولة الإسرائيليين حرقَ المسجد الأقصى، كما أن عطايا المغرب المادية ـ سلاحاً ومالا ـ لمنظمة التحرير الفلسطينية تجل عن الحصر، وقد عرض جلالته على منظمة التحرير الفلسطينية أن يتنازل لها عن جزء من سلاح الطيران الملكي المغربي إذا وجدت مكانا صالحا لاستعماله ضد الغزاة الصهيونيين.

فلا غرابة أن يقدر قادةُ المسلمين هذه المجهودات التي يبذلها جلالته لدعم الإسلام والمسلمين، فينتخبونه رئيسا لمؤتمر القمة الإسلامي، ورئيسا لمؤتمر القمة العربي، ورئيسا دائما للجنة القدس.

إن الحسنَ الثاني خُلق وعاش للدفاع عن ملته وإخوانه في الدين، كما خُلق وعاش للدفاع عن كل قضية عادلة من شأن إيجاد حلّ لها أن يتوطدَ السلمُ وتزولَ السخائمُ من النفوس ويتقوى التفاهم والتعاون بين البشر، والخمسُ والعشرون سنة التي أمضاها في الملك خيرُ شاهد على ذلك، ولولا الأشواكُ والأحجارُ التي يبثُّها بعض الحسدة والأغبياء في الطريقِ لكانت خدماتُه وآراؤه وجهوده أثمرت الثمرات المنشودة، وأفضت إلى تحقيق الرغبات ونيل الأوطار وبلوغ الآمال، وهو على ذلك ماشٍ على الدرب مضطلع بالمهام المنوطة به كأحسن ما يكون الاضطلاع، واثق من تأييد ربه، ومساندة شعبه.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• في نطاق المبدأ الإسلامي (الوسط) والحد الفطري (الوسط) لا كبت ولا إباحية وإنما علاقات شرعية أخلاقية . وفي نطاق المبدأ الإسلامي (الوسط) لا محل للإسراف والتبذير، كما أنه لا محل للشح والتقتير، ولا محل للغنى الفاحش، كما أنه لا محل للفقر المدقع، ولا محل للفوضى، كما أنه لا محل للاستبداد، ولا محل للغلو في الدين، كما أنه لا محل للتطاول على قداسة الدين. ••

الأكاديمية

ملتقى إنساني للآراء والأفكار والقيم

للأستاذ محمد العربي الخطابي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

فكرة الأكاديمية ليست غريبة على العالم الإسلامي بل هي ضاربة في أغوار تاريخه الحضاري والثقافي، إنما الجديد هو هذا اللفظ الإغريقي الذي استعاره الأوربيون وحولوه من اسم مكان معروف[1] إلى مؤسسة علمية تعنى برعاية التراث اللغوي والثقافي لحفظه من الضياع وتجديده وتطويعه لواقع كل عصر.

لقد كانت حلقات الدرس في جوامع الإسلام الشهيرة بمثابة جامعات لإقراء العلم وسماعه وتحرير فصوله وأبوابه، إلا أنها كانت مع ذلك بمثابة مجامع يتناظر فيها الشيوخ والطلاب في مسائل الشريعة واللغة والأدب والعلوم العقلية، وكان بيت الحكمة في بغداد أول أكاديمية متخصصة في الترجمة واستنباط المصطلحات العلمية وشرح العلوم العقلية ونشرها، كما كانت مجالس كبراء الدولة من محبي العلوم بمثابة أكاديميات حرة تلقائية يعرض فيها كل جديد في الأدب واللغة والعلوم.

وكم من كتاب جليل خلد ما كان يجري في تلك المجالس الخاصة والعامة من مطارحات ومناظرات خدمت اللغة والثقافة العربيتين خدمة جلى[2].

وفي هذا العصر تأسست في العديد من العواصم العربية والإسلامية أكاديميات منظمة ودائمة ـ سميت في الغالب مجامع ـ للعناية بتجديد اللغة ورعاية الثقافة، على غرار الأكاديميات الأوربية ذات الصيت الذائع كالأكاديمية الفرنسية التي بلغت من العمر في هذه السنة ثلاثمائة وخمسين عاما.

وأكاديمية المملكة المغربية مؤسسة علمية فتية انبثقت عن تفكير ناضج وتأمل عميق لتبرز في شكل فريد يستلهم ماضي المملكة المغربية العريق ويواكب مطامح ملكها وشعبها في الحاضر والمستقبل.

فإذا نحن ألقينا نظرة على ديباجة الظهير الشريف الصادر بمثابة قانون في 24 شوال 1397 (8 أكتوبر 1977) تبينت لنا الدواعي التي حدت بصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني إلى تأسيس هذه الأكاديمية تحت رعايته السامية، ومن هذه الدواعي رسمت المبادي والأهداف المتوخاة وانتصب البنيان التنظيمي.

فما هي أبرز هذه الدواعي ؟ جاء في حيثيات الظهير :

أولا : «ونظرا إلى أن تضافر القوى الفكرية لا يقل ضرورة بالنسبة للأمة عن وحدتها الترابية».

نستلخص من هذه الفقرة أن المشرع قصد إلى إبراز أهمية الترابط والتكامل بين مراحل البناء الوطني، فوحدة أراضي البلاد ضرورة قصوى يفرضها استكمال السيادة وحاجة المواطنين جميعا إلى الإحساس بحسن تحمل الرسالة

---

1) الأكاديمية لفظ مشتق من اسم البطل الإغريقي أكاديموس، أطلق على غابة واقعة في شمال غربي أثينا، وكان للفيلسوف أفلاطون ضيعة بالقرب من هذا المكان يجتمع فيها إلى تلاميذه، فغلب عليها اسم الأكاديمية. ومن هنا أطلق الأوربيون هذا الاسم على كل مؤسسة علمية أو أدبية أو فنية. وقد ظهرت أولى الأكاديميات في روما في النصف الثاني من القرن الخامس عشر.

2) من ذلك على سبيل المثال كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي.

التاريخية التي خلفها لهم الأجداد ميراثا موصولا لا يجوز التفريط فيه، إلا أن الأوطان ليست مجرد موقع جغرافي واضح الحدود والعلامات، بل هي تواصل فكري وشعوري ونفسي يعين معالم هذه الأوطان ويميز شخصيتها، وبذلك تصبح القوى الفكرية ضرورة تستوجب الحفاظ عليها وتعهدها بالصقل والتجديد بحسب ما يقتضيه كل عصر، لأن الأمم قوة متحركة بفكرها وعبقريتها وثقافتها وحضارتها.

ثانيا : «ونظرا إلى موقع المغرب الجغرافي في مفترق القارات الذي يحدد وجهته التاريخية ويفرض عليه أن يضطلع بدور يجعله صلة وصل وأداة ربط وعامل تأليف بين الأمم والحضارات في أوربا وإفريقيا وفي عالم البحر الأبيض المتوسط وعالم المحيط الأطلسي».

«ونظرا إلى أنه يجب القيام بهذا الدور أيضا بين الماضي والمستقبل وبين مستلزمات التقاليد ومتطلبات التقدم».

هاتان الفقرتان مرتبطتان ببعضهما تتم إحداهما الأخرى، ومؤداهما معا أن الجغرافيا تساهم في توجيه دفة الثقافة والحضارة وفي ربط الماضي بالمستقبل وتطعيم التليد بالجديد.

والموقع الجغرافي لا يمكن أن يكون مجرد قدر يتحمل الشعب ـ أي شعب ـ عبئه بسلبية وانتظار، وإلا فإن حوزته تتعرض لخطر الابتلاع والضياع في غياهب التاريخ.

إن الموقع الجغرافي لا تحده الأنهار والجبال والبحار فحسب، بل ترسخ معالمه عوامل التاريخ ومكونات الحضارة، وتحصنه إرادة الشعوب وحرصها الملح على البقاء والتطور مع التفرد بخصائصها المميزة دون قسر أو إكراه إلا ما يمليه تعاقب الأزمان وعوامل النمو والارتقاء.

ونحن إذا تأملنا المغرب من نافذة التاريخ وتمحصنا مكوناته البشرية المتفاعلة مع موقعه الجغرافي فإننا سنجد أنه قد استوعب بسماحة عناصر بشرية متباينة تقاطرت عليه من مختلف القارات ومن حدوده الصحراوية من جهة الجنوب، فامتزجت بعناصره الأصلية امتزاج الأفكار والمشاعر والمهج، ولم يلفظ المغرب من القادمين إلا الغزاة الذين لم تكن لهم رسالة يبلغونها سوى الاستحواذ على الأرض وسكانها بالقهر والغلبة والاستعلاء كالرومان والوندال والبيزنطيين والفرنسيين والأسبان. وقد استوعب المغرب العرب المسلمين لأنهم أصحاب رسالة فامتزج أبناؤه بهم كما امتزجوا هم بأبنائه، ثم استوعب القادمين إليه من مهاجرة القيروان وقرطبة، ثم من الأندلسيين ـ بعد سقوط غرناطة ـ ومن الموريسكيين الفارين من الاضطهاد الصليبي، ومن الأفارقة القادمين إليه على مراحل من جنوب الصحراء، أما الآخرون ممن كان قصدهم السيطرة والغزو فقد قاومهم المغاربة ومجوهم لكن أخذوا عنهم ما استحسنوه من أنماط الثقافة وضروب الصناعة والتدبير.

إذن فالمحافظة على الصالح من التقاليد لا تتنافى مع التطلع إلى المستقبل الذي لا يعنى شيئا آخر غير التحرك في طريق التقدم دوما وباستمرار، ولابد أيضا أن يضطلع المغرب بالرسالة التي تمليها عليه مكونات تاريخه وموقعه الجغرافي أي أن يكون أداة ربط وعامل تأليف بين الأمم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وإنه لا شيء أقدر على ربط الشعوب بعضها ببعض وإيجاد الثقة بينها من سبل الفكر والثقافة المؤدية إلى غايتها بالاقتناع الحر وبالتسامح والتفاهم أي بالحكمة التي هي قمة النضوج العقلي.

ثالثا : «ونظرا إلى العمل الجليل الذي يمكن للمغرب أن يقوم به داخل حظيرة الإسلام وخارجها في سبيل الدفاع عن القيم الروحية ضاما في ذلك جهوده إلى جهود جميع الذين يجعلون من هذه القيم أساسا لسلوكهم كيفما كانت معتقداتهم في شكلها وأسلوب التعبير عنها».

هذه الحيثية هي حصيلة سابقاتها، فالمغرب بلد مسلم، من حقه ومن واجبه أن يتحمل الرسالة التي يفرضها عليه موقعه الجغرافي وتاريخه ومكونات شعبه بحيث لا يبقى مقتصرا على الدوران حول نفسه، بل عليه أن ينفتح على الخارج أي على الحضارات والثقافات الأخرى، إذ أن ذلك هو أقرب وسيلة إلى إبراز القيم الروحية وتنظيم الدفاع عنها من أجل سعادة الإنسان وطمأنينته وخلاصه من كل القيود

التي تعرقل نموه الروحي والفكري، وللوصول إلى هذه الغاية لابد من أن نضم جهودنا إلى جهود غيرنا للالتقاء على خير ما يكفل سيادة هذه القيم وتثبيت دعائمها في عالمنا المعاصر الذي يشتكي أهله من الفقر الشديد في هذه الناحية.

رابعا : «ونظرا إلى المكانة الراجحة التي تحتلها العلوم التجريبية والتقنيات في العالم الحديث وإلى المنافع التي يمكن أن تجلبها لجميع الشعوب السائرة في طريق التطور بشرط أن تأتمر في طرق استعمالها ومختلف فتوحاتها بما تقتضيه القيم الخلقية السامية وأن تخضع إلى قانون صادر عن تبصر وحكمة».

«ونظرا إلى الفوائد والمكتسبات السلمية التي هي ثمرة التبادل العلمي بين الأقطاب الذين يمثلون مختلف الثقافات ومجالات التخصص».

هاتان الحيثيتان توضحان الجانب العملي والخلقي للأهداف التي يتوخاها مؤسس الأكاديمية وراعيها، إن حياة الإنسان لا تكتمل ولا تبلغ مرامها إلا بالأمرين : العلم والعمل، فالعلم يدخل فيه كل ما من شأنه أن ينمي ملكات الإنسان الفطرية ويجود مهاراته وينظم قدراته كي يتسنى له أن يحسن صنعا مع نفسه ومع الجماعة الإنسانية التي يعيش داخلها، والعلم نظرية وتطبيق، أي تأمل وتفكير وتجريب وتدبير، أما العمل فهو الخلق القويم مع الإتقان والمعاناة لبلوغ الغاية التي هي انسجام المجتمع البشري وتكامله من حيث المعارف النافعة والصنائع المفيدة وطرق المعاش المتعددة.

والمعرفة كالهواء وأشعة الشمس ملك مباح للجميع، وقوامها التبادل والتواصل ومقابلة النتائج بعضها ببعض لنيل ما هو أبقى وأفضل من ثمراتها.

خامسا : «ونظرا إلى أن سلطان الدولة يجب أن يعترف بسلطان الفكر ويحيطه بما هو أهل له من إجلال وإكرام».

معنى هذه الحيثية أن الدولة التي يثبت سلطانها ويستقيم بنيانها وتشع أنوارها هي التي تسعى بمحض إرادتها واختيارها إلى إقامة سلطان العلم والفكر بجانبها لتكتمل لديها عناصر العدل والحق والنور التي هي أساس كل حكم صالح.

إن الدولة التي يكتب لها الاستقرار والاستمرار هي التي يقوم سلطانها على أساس شرائع وقوانين تشيع الخير والمساواة وتحافظ على توازن المجتمع بتقديم الصالح العام على أي اعتبار آخر، ومن هنا فإن سلطان الفكر يصبح ضروريا لإمداد سلطان الدولة بالرأي الصالح والحجة القائمة على العلم والحكمة والتبصر ومراعاة المقومات الأساسية التي لا تكون الأمة أمة إلا بها.

وقد أخذ المشرع بعين الاعتبار هذه الحيثية الهامة وجعلها من الأسباب الداعية إلى تأسيس الأكاديمية، ثم ربط كل ذلك بحيثية أخرى هذه صيغتها.

سادسا : «وشعورا منا بالخير الذي يمكن لشعبنا العزيز وللشعوب القريبة والبعيدة التي تربطه بها روابط التاريخ أو الصداقة أو الأمل أن تجنيه من وجود مؤسسة عليا تستطيع بحكم طبيعتها الذاتية أن تضمن بكيفية فعالة تحقيق المبادئ المومأ إليها أعلاه».

توضح هذه الحيثية أن الحياة الفكرية لا تظهر قيمتها إذا هي لم تحدث آثارها الإيجابية على الشعوب، ذلك أن المؤسسات الثقافية لا يمكن أن تكون أبراجا يوصد سكانها أبوابها عليهم، بل ينبغي أن تكون ملتقى مفتوحا يتبادل فيه الرأي بطريقة تتيح للسواد من الناس الاستفادة القصوى وسهولة التجاوب مع المبادئ المرسومة والغايات المتوخاة، إذ ليس أخطر على ثقافة الشعوب من أن تقوم فيها مجامع سفسطائية مغلقة تروج بين جدرانها مناقشات جوفاء لا يرجى من ورائها خير ظاهر للمجتمع الكبير.

هذه بعض الحيثيات الرئيسية التي تتصدر الظهير الشريف المحدث لأكاديمية المملكة المغربية التي تتألف - وفقا للأهداف المرسومة لها - من أعضاء مقيمين، مغاربة، وأعضاء مشاركين ينتسبون إلى شتى الجنسيات لا يراعى في اختيارهم «سوى الاستحقاق الشخصي، ودون أن تتقيد

صحة انتخابهم بأي شرط عدا قبول جلالتنا الشريفة» كما ينص الظهير في إحدى فقرات الديباجة.

أما الأهداف التي رسمها الفصل الثاني من الظهير الشريف للأكاديمية فهي :

«تشجيع تنمية البحث والاستقصاء في أهم ميادين النشاط الفكري : علم العقائد والفلسفة والأخلاق والقانون ومناهج الحكم والتاريخ والآداب والفنون الجميلة والرياضيات والعلوم التجريبية وغير التجريبية والتربية والطب والدبلوماسية وعلم الخطط الحربية والإدارة والاقتصاد والصناعة والتعمير والتقنيات التطبيقية، «مع العمل على إقرار تكافل مستمر بين هذه النشاطات في دائرة احترام القيم الأخلاقية والروحية الأساسية».

ومن الأهداف الأخرى للأكاديمية :

«السهر بتعاون مع الهيآت المختصة في الميدان المقصود، على حسن استعمال اللغة العربية بالمغرب وعلى إتقان الترجمة من اللغة العربية وإليها وإبداء الآراء السديدة في هذا الموضوع».

وقد دأبت الأكاديمية منذ تأسيسها على تحقيق هذه الأهداف بوسائل مختلفة منها :

1 ـ إحداث عدد من اللجان المتخصصة داخل الأكاديمية كلجنة القيم الروحية والفكرية، ولجنة التراث، ولجنة اللغة العربية، ولجنة العلوم والتكنولوجيا، ولجنة الاقتصاد.

2 ـ تنظيم ندوات عامة ـ بمعدل ندوتين في السنة ـ لدراسة شتى المواضيع التي تدخل في نطاق اختصاص الأكاديمية يشارك فيها أعضاء مقيمون ومشاركون وباحثون متخصصون من خارج الأكاديمية، ومن المواضيع التي نوقشت في هذه الندوات : الأزمات الروحية والفكرية في العالم المعاصر، حق الشعوب في تقرير مصيرها، أخلاقيات غزو الفضاء، الماء والتغذية والنمو السكاني، شروط التوفيق بين مدة الانتداب الرئاسي وبين الاستمرارية في السياسة الداخلية والخارجية في الأنظمة الديمقراطية، الغزالي وابن ميمون : صلة وصل بين الشرق والغرب.

وفضلا عن ذلك فقد قررت الأكاديمية، باقتراح من لجنة القيم الروحية والفكرية، تنظيم ندوات ومناظرات تتدارس فيها مواضيع تتصل بالتراث العلمي الإسلامي : الفقه، والفلسفة، وعلم الكلام، والعلوم العقلية (الرياضيات والفلك)، وقد عقدت الندوة الأولى في هذا المجال وتدارس الباحثون المتخصصون خلالها موضوع «فلسفة التشريع الإسلامي».

3 ـ إصدار المطبوعات، ومن ضمنها مجلة الأكاديمية (صدر منها ثلاثة أعداد) ومنشورات تتضمن حصيلة الندوات، وكتب من التراث العلمي الإسلامي.

4 ـ محاضرات علمية عمومية تعقد مرة في الشهر.

5 ـ حديث الخميس، يلقيه أحد الأعضاء المقيمين في اجتماعات الأكاديمية العادية التي تعقد مرتين في الشهر (الخميس). وتتناول هذه الأحاديث مختلف المواضيع اللغوية والأدبية والتاريخية والعلمية، تتلوها مناقشة عامة.

☆ ☆ ☆

وبعد، فإن أكاديمية المملكة المغربية مؤسسة فتية لا يتجاوز عمرها بضع سنين، لكنها مع ذلك خطت خطوات ثابتة وموفقة في الاتجاه النبيل الذي رسمه لها مؤسسها وراعيها، وبذلك استطاعت أن تصبح عضوا كامل العضوية في الاتحاد الأكاديمي العالمي الذي يوجد مقره في بروكسيل، وهي الأكاديمية العربية الثانية ـ بعد المجمع المصري ـ التي تحظى بهذا الامتياز، كما أصبحت مطبوعاتها المتعددة اللغات من المراجع التي تعتمد عليها المؤسسات العلمية في الشرق والغرب.

لقد أصبحت الأكاديمية، بالرغم من عمرها القصير، ملتقى حافلا للأفكار والآراء العلمية المتنوعة في دائرة احترام القيم الأخلاقية والروحية الأساسية، وهي من منجزات العهد الحسني البارزة تربط الماضي بالحاضر والمستقبل وتساهم في تجديد مآثرنا العلمية وصقل المواهب الفكرية لأبناء شعبنا على مقتضى العصر.

الشخصية المغربية

ومثلها القدوة في ملحمة

التحدي

للدكتورة
عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطئ)
استاذ الدراسات
القرآنية بجامعة
القرويين

استهلت سنة 1398 هـ - 1978 م، وقد مضى عليَّ في المغرب ثماني سنين، كان لي فيها منزلا ومدرسة ورباطا. وآذنت ظروف طارئة برحيل مفاجئ، فلما حاولت، في معاناة صعبة، أن أجمع نفسي لوداع، خانني الصبر وخذلني التجلد، وتمثلت شاعرنا «البوصيري» إذ يقول في موقف وداع للأحباب :

إنما أغرى بنا الوَجْدَ أنا ما حَسِبْنَا لفراق حسابا

وأرجأت الفراق عاما في إثر عام، ومازلت هنا بالمغرب، أتأهب لرحيل..

في السنوات الثماني الأولى، وقد عرفت المغرب من قرب، حسبت أني لقيت التاريخ في رؤية مستوعبة لأبعاد المكان : ما بين غار حراء ومضيق جبل طارق على مطل الأندلس.

وأبعاد الزمان : من الفتح الإسلامي قبل نهاية القرن الأول للهجرة، إلى المسيرة الخضراء التاريخية إلى الصحراء المغربية.

ودونت في ذلك اللقاء الرحب مع التاريخ، كتابا بقي ينتظر الفصل الختامي...

اليوم وأنا أجمع نفسي لوشك وداع، أسترجع ما دونته من قبل عن لقائي مع التاريخ في المغرب الأقصى، فأكتشف أنني فيما مضى من اللقاء، كنت ألقى نفسي في ذلك التاريخ وأراني في كل ما أرى، وأستعيد خطاي في المدرسة الإسلامية من عهد صباي، وأجد العهد فيمن أشْرَفُ

بـزمـالتهم وصحبتهم من علمـاء القرويين، بعلمــاء السلف المغاربة الذين كانوا شيوخا لنا أئمة في المدرسة الإسلامية، منذ صار المغرب بهم دار قرآن وحديث وسيرة وعربية... وكان تراثهم زاداً لنا على طول الطريق..

في رؤيتي الجديدة، ألقى الشخصية المغربية، إذ أنا شاهدة عصر لمعركتها النبيلة في صراع القيم وجواذب التيارات، وجهادها الباسل في ملحمة (التحدي) للحفاظ على عز أصالتها العريقة، مع حيوية وجودها المعاصر.

☆ ☆ ☆

وأعود على بدء فأعجب للأقدار :

موعدي مع الشخصية المغربية في أول لقاء لي بها هنا، كان من حين لم أحتسب، في شخص أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، يوم استقبل في القصر الملكي العامر بالرباط، وفود المدعوين من علماء الإسلام لشهود الاحتفال الكبير في شهر رمضان المعظم من سنة 1388 هـ، بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن **﴿هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾.**

ما إن رأيت أمير المؤمنين حتى أيقنت أنني ألقى الشخصية الإسلامية كما تمثلتها ورنوت إليها، في هذه المرحلة المعاصرة من وجودنا، المسحوقة بالهزيمة المتصدعة بمصارع الفتن ومجازر البغي.

وتحدث إلينا جلالته يسأل عن جديد بحوثنا وما يشغلنا من قضايا فكرية، وأفضت بنا شجون الحديث إلى هَمّ أمتنا الشاغل بعد هزيمة خامس يونيه المشؤوم سنة 1967 م. فرأى لنا جلالته أن نواجه العدو أمة واحدة لواؤها الإسلام الذي ما خذلها قط فيما مضى من تاريخنا، وقال حفظه الله : «ذلك ما صارحت به إخواني الرؤساء قادة دول المواجهة، ومازلت أتعلق بالرجاء وإلا فما مَثَلي ومثَلُهم إلا كما قال الشاعر «دريد بن الصمة» :

ومـا أنـا إلا من غـزيَّـةَ إن غـوَتْ

غـويت، وإن ترشـد غـزيـة أرشـدِ

فما أن سمعته يتحدث بطلاقة آسرة وعربية نقية، حتى خيل إلي أنني صحبته طويلا في مدرستنا الإسلامية....

بعد سنين من ذلك اللقاء الأول، كنت بالمغرب أصغي إلى عاهله أمير المؤمنين، يؤذن شعبه بالمسيرة إلى صحرائه المغربية بلواء المصحف الشريف، فكانت نصيحته الأولى لكتائب جنده المومنين، أن يتيمموا على الصعيد الطاهر، بالرمال الزكية بمجرد وصولهم، ثم يستقبلوا القبلة ويصلوا ركعتين شكرا لله تعالى».

وبعد أن زودهم بنصائحه، قال داعيا :

«شعبي العزيز، سر على بركة الله تكلؤك عنايته وتحف بك رعايته وسدد الله أقدامك وخطاك وجعل هذه المسيرة مسيرة فتح مبين...»

وتنفس الصبح فإذا بالمواكب التي خرجت من حواضر المغرب وريفه وجباله وبواديه، قد اندمجت في ركب واحد خرج من «مراكش» قاعدة انطلاق المسيرة ومركز قيادتها العليا، واستقبلوا الصحراء بشوق مرهف، صفا واحدا وقلبا واحدا، المصاحف في أيديهم والله والمصطفى وأمته معهم. فلما بلغوا صحراءهم تطهرت بعرقهم ودموعهم من دنس الاغتصاب، وخشع الكون لمرآهم يخرون عليها ركعا سجدا «وأشرقت الأرض بنور ربها».

وعلى مرأى ومسمع من عالم اليوم، اتخذوا من صحرائهم المطهرة مسجدا، وأقاموا صلاة الجمعة على ساحتها المكشوفة الرحبة، ليس بينهم وبين السماء حجاب من سقف أو جدار..

من قريب وبعيد، كنت أملأ بصري من مشاهد المسيرة فألقى تاريخ أمتي الذي قرأته من قبل في مدونات السيرة النبوية والمغازي والفتوح الكبرى، والمعارك الباسلة لسحق الطاغوت.

وكتبت يومئذ : هكذا إذن كان واقع التاريخ المكتوب. وهكذا إذن كان أسلافنا المومنون يستجيبون لداعي الجهاد، لا يبالي أحد منهم على أي جنب كان في الله مصرعه.

بعد سنة واحدة من المسيرة التاريخية المشهودة ظهر كتاب (التحدي) في طبعته الأولى، مؤرخة في سادس شهر ربيع الأول 1396 ـ ثامن مارس 1976م فلقيت الشخصية المغربية تتألق في مَثَلها القدوة، وتتوهج في ملحمة النضال

ضد ذرائع المسخ والتشويه والاستلاب، دون تحجُّر في الماضي وصم عن نبض العصر، أو غفلة عن حركة الزمن.

تلقانا هذه الشخصية في كل المواقف والفصول من ملحمة (التحدي) بحيث يصعب اختيار شواهد على تقائها في مَثَلها القدوة. ويمكن مع ذلك أن تجلوها كلمات جامعة في (روح الدستور) ثم في الفصل الختامي للتحدي، وعنوانه (الشجرة).

في روح الدستور، تحدث جلالة الملك الحسن الثاني عن التعليم والثقافة، وما كان من إهانة جماعية للأمة وجريمة حضارية، بعزل اللغة العربية وتاريخ المغرب الإسلامي عن المدرسة المغربية في عهد الحماية المشئوم، فقال بعد بيان إحصائي مجمل، عن عدد التلاميذ في عهد الحماية :

«يجب أن نذكر هنا حقيقة ساخرة كان لها نتائج خطيرة للغاية في حياة الشعب المغربي : ففي زمن الحماية كان التعليم، مثل الإدارة، مفرنسا بصورة منهجية، وظل المغاربة زهاء خمسين سنة محرومين في المدارس من لغتهم ممنوعين من تعلم أدبهم وتاريخهم...

«إن كل الأبحاث المختصة بالفنون الأهلية والفنون الجميلة والأوابد التاريخية والآثار، والبحوث التي كان يقوم بها المعهد العلمي الشريف، شأنها شأن نشرة العلوم الطبيعية في المغرب، كانت تحرر بالفرنسية فقط، باستثناء المؤلفات المطبوعة بالإسبانية والإنجليزية والألمانية» وكذلك كان الحال المنشورات مختبرات علوم : الحشرات، والحيوان، والنبات، ووالأرصاد الجوية «وفي كل ميادين الثقافة والحضارة كانت اللغة العربية محرمة، ومثل هذه الأخطاء، هي التي جعلت ردود الفعل المغربية جدّ قوية عام 1956 ضد لغة أجنبية أريد فرضها..».

ويكشف جلالته عن أبعاد المأساة من حيث هي جريمة وطنية وجريمة حضارية تنبذ لغة «كانت لبضعة قرون لغة العلم والحضارة» مع كشفه في الوقت نفسه عن نبل المسلمين العرب وأريحيتهم العلمية وسعة أفقهم، مع جهالة المستعمرين وقصر نظرهم، قال :

«إن العربية هي لغتنا الدينية والوطنية في آن واحد، ولم نكن نستطيع أن نهجرها من غير أن نصبح ما سماه «موريس باري : Maurice Barrès» بحق : (المقتلعين من الجذور). وإن طرد اللغة العربية عمليا من المدرسة ومن حياة المواطنين لم يكن يشعر به كإهانة جماعية فحسب، بل كذلك كظلم لا يمكن فهمه ولا تعليله وهذه الإهانة وهذا الظلم كان يشعر بهما إلى حد كبير، لا سيما والإنسان المغربي لم يفقد قط وعيه بالنسبة لدينه، ولا بالنسبة لانتسابه إلى دولة سيدة. وجراحات كهذه لا يلتئم إلا مع الوقت».

وذكَّر جلالته الناسين والغافلين من المستعمرين وتلاميذهم، بما يدين به الإرث الإنساني للمسلمين العرب من ميراث فكري وأدبي وعلمي وحضاري، ثم لم يحمله عمق إحساسه بجريمة تعطيل العربية ونبذها، على التصدى للغة الفرنسية بالمقت والعداوة، بل تقبلها بصدر رحب «لغة أجنبية أولى» إذ هي «نافذة مفتوحة لا على العالم الغربي فحسب، بل على عالم المنطق والرصانة». وإن كانت اللغة الإنجليزية قد أزاحت، في ميدان المصطلحات التقنية، اللغة الفرنسية «التي حافظت مع ذلك على قيمتها كلغة عصرية، لا في الميادين الدبلوماسي والقضائي فحسب، بل كذلك في الميادين العلمية والتجارية والتطبيقية. وقد كان التخلي عنها في الحقيقة أمرا يتسم بعدم الواقعية... وجزء غير قليل عن القارة الإفريقية هو من متكلمي الفرنسية».

☆ ☆ ☆

وكتب جلالته بعنوان (الشجرة) في ختام التحدي : «المغرب يشبه بشجرة تمتد جذورها المغذية امتدادا عميقا في التراب الإفريقي، وتتنفس بفضل أوراقها النسيم الأوربي، بيد أن حياة المغرب ليست عمودية الامتداد فحسب، بل هي تمتد كذلك أفقيا نحو الشرق الذي نحن مرتبطون معه بالتالد والطريف من الصلات، وحتى لو أردنا ـ ونحن لا نريد قطعا ـ فإن من المستحيل علينا قطع هذه الصلات، إنها روابط الدم والروح وقد بقيت عبر قرون حيَّة راسخة...

«إن المغرب يحترز أن يعيش في الماضي، ولكنه مع ذلك يأخذ من ماضيه العبر الكبيرة والدروس التي تقوده في الحاضر، والتي يمكن أن ترسم خُطاه في المستقبل...

«الويل كل الويل لشعوب اجتثت جذورها ! ذلك أن الشجرة التي لا جذور لها لا تنبت ورقا ولا ثمرا، إنها شجرة ميتة. وإذا كان الجديد هو المطلوب، فإن من الأفضل أن يُبْنَى فوق ما هو متين وصلب، فوق ما يبقى».

☆ ☆ ☆

في وميض هذا الوهج الساطع من الموقع الفكري لملحمة التحدي، تراءت لي كتائب جند الإسلام المغاربة، يستبسلون جيلا، بعد جيل في حراسة ثغوره في جبهته المغربية القصوى، ويتفانون في حمل لوائه ليحفظوها له دار إسلام، ومنار حضارة رائدة قائدة في العصر الوسيط، إن تكن قد تأخرت في العصر الحديث عن موضعها القيادي بفعل عوامل قاهرة ومقتضى سنن ثابتة، فإن الجذور الراسخة تمدُّ ملحمة التحدي بمذخور حيويتها التي تتجلى في اعتزاز جلالة الملك عاهل المغرب بتاريخ المغرب الإسلامي، حاضره وماضيه، فيقول في الشجرة :

«قبل قليل من المسيرة الخضراء، كان علينا أن نحتفل بالذكرى الألفية لمولد شاعر قرطبي كبير هو ابن زيدون، وبهذه المناسبة دعونا زهاء سبعين أخصائيا في شئون الثقافة العربية الإسلامية، خمسة وأربعون منهم لم يكونوا يعرفون بلدنا من قبل، وأعتقد أن دهشتهم لم تكن تعد لها إلا فرحتهم بأن يروا المغرب بلدا عصريا حافظ على أوابد من العقيدة لم تمس، وعلى كنوز من الثقافة والحضارة الإسلامية. وأظن أنهم حملوا معهم من فاس، من جامع القرويين، من معاهدنا المتخصصة في دراسة العلوم الإسلامية، ذكرى لا يمكن إلا أن تقوى صلاتنا مع إخواننا في المشرق... لقد استطاعوا أن يشهدوا أن إرثنا الروحي لم يبق مصونا فحسب، بل شهدوا كذلك أننا سهرنا ونسهر لجعله يتسع دون انقطاع لكن نبقى دوما قادرين على أن نسهم - ونحن نتابع نهضتنا العصرية - في تطوير الفكر الإسلامي. وهكذا علينا أن نربط الماضي بالحاضر لنعد المستقبل...

«هذه إذن هي الشجرة : الشجرة المغربية بأوراقها الخضراء وجذورها الضاربة في الأعماق»..

☆ ☆ ☆

ذلك من حديث قائد المسيرة التاريخية إلى الصحراء المغربية، ومعركة (التحدي) للنضال عن الشخصية المغربية «وخصائصها الذاتية التي جعلت من المغاربة طوال قرون، أمة وشعبا»..

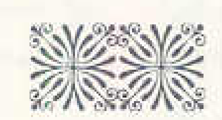
وأكتب اليوم هذا المقال الموجز عن الشخصية المغربية في مثلها القدوة، وأنا ما أزال بالمغرب أشارك أهلي هنا أفراح الاحتفال بالعيد الخامس والعشرين للعهد الحسني، فأشهد الملحمة ماضية في نضالها للحفاظ على أصالة الشخصية المغربية مع حيوية وجودها المعاصر.

وما أشقها من معركة تخفف من أعبائها من استكانوا إلى الغيبوبة وراء الزمان، وإن تعلقوا بأحدث مظاهر العصرية !.

ومن استراحوا من تكاليفها، فنبذوا قديمهم وراءهم ظهريا، واختالوا في أزياء محدثة مستعارة، هيهات أن توارى سوءة المسخ وعقدة القبعة !.

وحمل المغاربة الأمانة الصعبة وتكاليفها الباهظة «وكانوا أحق بها وأهلها».

والسلام على المغرب، ملكا وشعبا ودارا...





للدكتور سعيد ابن البشير
استاذ بكلية الحقوق
(جامعة محمد الخامس)

• ان العربية هي لغتنا الدينية والوطنية في آن واحد ولم نكن نستطيع أن نهجرها من غير أن نصبح ماسماه موريس باريس بالمقتلعين من الجذور.

• الويل كل الويل لشعوب اجتثت جذورها. ذلك أن الشجرة التي لا جذور لها لا تنبت ورقا ولا ثمرا، إنها شجرة ميتة.

جلالة الملك الحسن الثاني في «التحدي»

لعل أول سؤال يطرح نفسه ونحن نثير موضوع الأمن الثقافي، هو مدلول الثقافة ؟ الثقافة ليست في نظرنا مجموعة علوم يتلقاها الإنسان فيصبح متعلما وبالتالي مثقفا. إن المعرفة العلمية تعتبر من غير شك أداة من أدوات الثقافة، ولكن ليست هي الثقافة، الثقافة وحدة متكاملة من المبادئ والقيم والنظرة الفلسفية العامة إلى الحياةالتي توجه الإنسان في سلوكه وحياته اليومية بكل عناصرها المادية والفكرية والروحية والإبداعية، وتوجه المجتمع كذلك في سعيه الهادف إلى إسعاد المجموعة البشرية في كل مجالات الحياة، العلمية والاقتصادية والاجتماعية والروحية، هذا السعي الذي يتوجه به الفرد ويسعد به في آن واحد، والثقافة أيضا هي التي تمكن الفرد من التأثير على المجتمع باجتهاده المادي والفكري والروحي، وبعمله الخلاق المبدع. فتحدث الثقافة إذن هذا التفاعل الخصب المخصب بين الفرد والمجتمع. وقد تكون الثقافة في نهاية المطاف هي هذا العقد الذي يجمع الفرد والمجتمع، ويخلق

الانسجام والتماسك بينهما، فتنشأ عن ذلك السعادة المادية والفكرية والروحية التي ينشدها كل نظام وكل مجتمع لأفراده.

ومن هنا يتضح العنصر المتحرك الديناميكي في الثقافة، فهي ليست فكرا مجردا ولا تصورا مجردا للحياة ولكنها قيم فكرية ومادية وروحية فاعلة متحركة نحو الأفضل، وظاهرة الشمول التي تطبع الثقافة، هي ظاهرة شمول الحياة التي لا يستأثر بها الجانب المادي أو الجانب الروحي.

ذلك أن تحقيق هذا الشمول الذي يرتبط بالحكم السياسي وبالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية والفنية، هو الذي يؤدي إلىالتوازن على مستوى الفرد والجماعة، فيجلب الاطمئنان والسعادة المادية والروحية. وإذا كانت الثقافة هي هذا النسيج، نسيج القيم الذي يعطي لونا خاصا واتجاها معينا لكل تفكير يتم في ذهننا أو عمل مادي نقوم به، أو صناعة نمتهنها، أو فن من الفنون يبرز عبقريتنا الخلاقة المبدعة، أو حركة وجدانية تعطي الحياة لأرواحنا، إذا كانت الثقافة إذن هي هذا، فتبرز بشكل واضح كعنصر مميز للمجتمع وتخلق في مختلف المجتمعات الإنسانية، تيارات متآلفة أو مختلفة، حسب تقاربها وانسجامها أو تباعدها وتنافرها. ولكن الثقافة في كل الحالات وبطبيعتها تناهض النمطية لأنها تميز الإنسان أو المجتمع ككائن حي مستقل بتفكيره وإرادته وعبقريته الخلاقة المبدعة، فيحيا في المجموعة الإنسانية من استقل ثقافيا، ويموت بالذوبان في الغير من كان مجرد تابع. وإذا اعتبرنا الثقافة بهذا المفهوم الشامل الواسع، أدركنا طبيعة وخطورة الأزمة الثقافية التي نعيشها في الوطن العربي والإسلامي بصفة عامة، فقد واكبت فترة الانحطاط مجاراتنا للمنهج الفكري والاقتصادي والاجتماعي للغرب. فسقطنا في فخ التناقض بين بيئتنا ونسيجنا القيمي الأساسي ومعطياتنا الخاصة، وبين الهياكل الفكرية والمذهبية والمادية التي أفرزتها قرون من التطور في الغرب. ففي الميدان الاجتماعي مثلا ودون أن ندخل في التفاصيل، انبهرنا بالغرب وبطريقة حياته، فخرجنا بإرادة أو بغير إرادة من نظامنا الثقافي الإسلامي المتميز، إلى الفردية التي أفرزها النظام الغربي في تطوراته، فلم تعد الأسرة في كثير من الدول الغربية الخلية والركيزة الأساسية التي يقوم عليها نظام وبناء المجتمع، ونشأت في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية بحكم الاقتداء مشكلات لا يعرفها النظام الإسلامي، بحكم بنائه على بنية اجتماعية تختلف عن بنية المجتمع الغربي وما يتبعها من فلسفة الحياة ونظامها. ويعطينا هذا المثال فكرة عن استقلال المنهج الثقافي الإسلامي في مجاله الاقتصادي والاجتماعي بل وفي فلسفته العامة، فهو لا يقول بالفردية المطلقة أو المهيمنة بحكم بنائه على أساس الخلية الاجتماعية الأولى وهي الأسرة وارتباطه بمصلحة الأمة الإسلامية ككل وهي أمة لا تعرف حدودا سياسية بين الأقطار لأن العقيدة جعلت من الأسرة وحدة متراصة وجعلت أيضا من الأمة الإسلامية وحدة متماسكة تأبى هذه الحدود وتجمع فكرا ونظاما ومصلحة ما فرقته الجغرافيا. ولكن النظام الإسلامي مع طابعه الجماعي المتميز لا يقتل الكيان الفردي داخل المجتمع. فالفرد بمبادراته الخاصة الاقتصادية والاجتماعية وبعطائه الفكري الحر يحتفظ بشخصية لا يمكن للمجتمع أن يكبتها. فهاهي الثقافة الإسلامية تبرز مدى التوفيق بين النظام الجماعي وحرية الفرد الفكرية والاقتصادية والاجتماعية. ألسنا بأمة وسطا ؟

وقبل الانتقال من هذه المقدمة، التي كان لابد من توجيه الاهتمام فيها إلى تعريف الثقافة، ينبغي أن نقول إن مدلول الثقافة عندنا قد لا ينطبق كلية على الثقافة بمفهومها الغربي. ذلك أن الصراع الذي حدث بين الحركة الفكرية والعلمية وبين الكنيسة في أوربا، والذي أدى سياسيا إلى الفصل بين الدين والدولة، وتعليميا إلى فصل المادة الدينية عن المواد الأدبية والعلمية في المدارس والجامعات، وثقافيا - في النهاية - إلى فصل الجانب الفكري والفني عن الجانب الروحي، إن هذا الصراع - والواقع الثقافي الذي نشأ عنه في الغرب - جعل الثقافة عندنا في الوطن العربي والأمة الإسلامية تختلف في

مفهومها الشمولي ـ الذي يضم الجانب الديني والعقائدي ـ عن مدلول الثقافة في الغرب، التي تستبعد بالضبط هذا الجانب الديني والروحي. إن عنصري الفكر والدين تطورا نحو الانفصام في الغرب وسارا على عكس ذلك في العالم العربي الإسلامي في ارتباط حميمي وثيق لأنهما في الفلسفة الثقافية الإسلامية من جنس واحد وتركيبهما وتزاوجهما المتآلف هو التعبير عن استمرارية المجتمع الإسلامي واستمرارية الثقافة الإسلامية بهذه الأمانة التي تحملها الإنسان والتي تأخذ بالنسبة للمسلم معنى الاستخلاف في الأرض الذي يقتضي الربط بين السماء والأرض، بين تطبيق تعاليم الدين التعبدية وتعاليمه في المعاملات. وإهمال جزء من هذين الشطرين يعد عدم إدراك لماهية ثقافتنا ومكوناتها الملتزمة بعضها لبعض. وهذا يقودنا إلى تحليل بعض العناصر الأساسية التي تقوم عليها ثقافتنا كأساس للوجود ولحفظ الذاتية المتميزة المستقلة من جهة، وكأداة للحوار مع الثقافات والحضارات الأخرى من جهة ثانية.

أولا ـ الثقافة أساس للوجود :

تنبني الثقافة العربية الإسلامية على مقومات، منها ما هو مرتبط أولا بعقيدة الإيمان بالله، وبمبادئ الشريعة الإسلامية وأصولها وقواعدها، كما تجلت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة.

ولن نتعرض منها ـ وهي الإسلام كله ـ إلا لجانب ولظاهرة مميزة بالنسبة للأديان الأخرى، وهي أن القيم الإسلامية لم تقتصر على الأخلاق، ولكنها قيم الحياة الجامعة للوجود الإنساني بمعطياته الروحية والفكرية والمادية، فالإسلام ليس دين أخلاق وحسب، ولكنه منهاج ديني وسياسي واجتماعي للدولة، إنه أرسى قواعد تنظيمها في الميادين الاقتصادية والسياسية والمالية والاجتماعية، وقد أتى الإسلام في هذه المجالات بالمبادئ وبالإطار العام الذي تندرج فيه قواعد الحكم وعلاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة الناس فيما بينهم، وكان على المسلمين منذ العهود الأولى للإسلام أن يجعلوا من القانون الوضعي تطبيقا عمليا للمبادئ التي وردت في القرآن والسنة.

وهنا برزت أهمية الاجتهاد الذي أعطى في مجال الفقه والقضاء ثروة عظيمة ما زالت إلى يومنا هذا تنعكس آثارها على الحضارة الإنسانية، ونذكر منها على سبيل المثال فقط، نظرية التعسف في استعمال الحق، والتوازن في المعاملات باعتبار قاعدة لا ضرر ولا ضرار. إن هذه الاجتهادات تعكس من جهة أخرى حقيقة أساسية نود أن نتعرض لها، وهي أن الرسول ﷺ، أوضح النظرة الإسلامية المنهجية العلمية في تحديد طريقة وضع القواعد. واستنباطها وفي طريقة إعمال الفكر واستعمال حرية الاختيار التي تنطلق من الثوابت كأساس لتعمل في حقل المتحرك المتجدد المتطور. ذلك أنه لما سأل أبا ذر بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله. قال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله. قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله إلى ما يرضي الله ورسوله.

فتح رسول الله ﷺ باب الاجتهاد، وفتح في نفس الوقت باب حرية الفكر، وذلك لأن الإسلام ـ كما قلنا ـ جاء بالمبادئ العامة، جاء بالإطار العام وترك للمسلمين حرية التصرف داخل هذا الإطار، فكان علينا إذن في كل مجالات الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية أن نعمل بالمبادئ الأساسية للعقيدة الإسلامية وأن نضع عن طريق القوانين الوضعية، القواعد التي تسير في ضوئها هذه المجالات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والفنية وغيرها.

لننطلق إذن نحو تحليل بعض المقومات الثقافية، ولنكن في طليعتها الحرية، فهي أشرف ما منحه الله للإنسان، الحرية هي الأساس الذي انبنى عليه الاجتهاد، والحرية من صميم العقيدة، لأنها من صميم عمل الإنسان المسلم إنها من صميم الأمانة، الحرية إذن تكون صفة أساسية من الصفات الإنسانية، ذلك أن الإنسان يولد حرا، فلا عبودية إلا لله وحده، ثم إن مسؤولية الإنسان مرتبطة أساسا بالحرية، واستقلال الإرادة في اختيار الخير أو الشر

﴿إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾. صدق الله العظيم.

والحرية كما قلنا، مرتبطة بصفة عامة بالأمانة التي تحملها الإنسان. إن حرية الفكر ملازمة للثقافة، وهي ملازمة كذلك لطبيعة الإنسان، لأن الله تعالى خلق الإنسان والحرية تكون جزءا منه، بمعنى أن الإنسان يخلق مصيره بنفسه بإرادة مستقلة ودون إكراه، ولم يكن الإكراه في قيمنا الإسلامية حتى في الدين ذاته ﴿لا إكراه في الدين﴾. يقول الله تعالى في كتابه العزيز. والحرية هذه تتناقض إذن مع التبعية. التبعية الثقافية تجعل الإنسان فاقدا لجزء من إنسانيته، وهو الجزء الأهم، إنه يفقد الحرية واستقلال الإرادة، وقد منحهما الله ليتحمل الأمانة باختيار سبيل الخير، ولا يرقى الإنسان في هذا السبيل إلا بالإمعان في ممارسة الحرية التي تبعده عن التقليد والتبعية ليصعد سلم القيم بمحض إرادته. ولقد أشار أستاذنا الكبير السيد عبد الكريم غلاب في كتابه : (الثقافة والفكر) إلى هذا الجانب من الثقافة الإسلامية وقال : إن الحرية أساسية للممارسة الثقافة، وإن الحرية لا يمكن أن نتصورها في هذا المجال الثقافي إلا لكونها حرية ملتزمة، وقد أوضح الأستاذ أن الحرية التي أدت بالغرب إلى الفردية، أدت في النهاية إلى اللانتماء، أي أنها أدخلت العبثية لهذه الحرية التي لايمكن أن نتصورها في مفهومنا الإسلامي كحرية مطلقة للفرد ولكنها حرية ملتزمة، إنها حرية متمسكة بالمبادئ والقيم التي تقوم عليها العقيدة المؤسسة والمنظمة للكيان الاجتماعي.

والمجتمعات البشرية، تفرقت في تحديد مستوى تطبيق الحرية. أيكون ذلك على مستوى الفرد أو الجماعة ؟ فبعد أن تخلصت مختلف المجتمعات من العبودية التي فرضها النظام الإقطاعي، - وكان من فضل الإسلام على الحضارة الإنسانية آنذاك أن جاءها بالحرية، حرية الاعتقاد، «لا إكراه في الدين» وحرية الذات، وحرية الفكر - بعد هذا تفرقت مذاهب الفكر بين الفردية والجماعية في عصرنا الحديث، فالنظام الماركسي يحد من حرية الفرد لأن المجتمع المتمثل في الدولة هو الذي يمارس هذه الحرية وما الفرد إلا دولاب من دواليب المجتمع، لا وجود له إلا بكونه جزءا منه. أما الأنظمة الفردية فقد اعتبرت حرية الفرد أساسية في الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية والأخلاقية.

ولنتساءل عن طبيعة الحرية في النظام الإسلامي. نستطيع القول بأن الإسلام جاء ليكون حلا وسطا فقد منح حرية الاختيار للدولة فيما يتصل بالمصالح العامةوقد أكد هذا الاتجاه الأصوليون عندما قالوا : حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله، كما ورد في الموافقات للإمام الشاطبي فالدولة تخطط وتوجه في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى تكون المبادرات الخاصة وسيلة تفتح الفرد وتعزيز كيانه وشخصيته ووسيلة مساهمته في نهوض المجتمع وتطوره. والدولة تساعد مبادرة الفرد وحريته ولا تقتلهما بجعل الفرد مجرد آلة تحركها الدولة كما تريد. إن حرية الفرد إذن تسير إلى جانب حرية الجماعة في انسجام وتآزر متبادلين. وفي مفهومنا الإسلامي فإن حرية الفرد تتآلف ولا تتنافر مع حرية الدولة. وإذا كانت المصلحة العامة تحظى بالأولوية فإن المصلحة الفردية لا تتعارض معها ولكنها تعد جزءا منها. ومما يجعل التوافق أكيدا وميسرا في نفس الوقت أن حرية الدولة وحرية الفرد تلتزمان معا بالمبادئ والقيم الإسلامية فيأخذ مبدأ سيادة القانون معناه الرفيع. ذلك أن هذه القيم الثابتة يلتزم بها الحاكم والمحكوم على السواء.

أما حرية الفكر والبحث فإنها عرفت في الغرب تطورا جعل الإسلام يتميز منها بموقفه المبدئي، وهكذا، فلما قامت الحركة العلمية الجديدة في أوربا في عهد النهضة في القرن السادس عشر الميلادي اصطدمت الكنيسة بالفكر العلمي الجديد واعتبرت أن هذا الفكر سيهدم أسس العقيدة المسيحية، ولهذا أخذت تقاوم الحركة العلمية، فأقيمت محاكم التفتيش لمحاكمة القائمين بهذه الحركة الفكرية. وظلت المواجهة قائمة بين حرية الفكر والمسيحية، وأصبح الفكر العلمي في منهجه وطريقته يختلف عن الفكر الديني في الغرب. وقد برز هذا الفصل

بين الفكر الديني والفكر العلمي في كثير من الدراسات في المجال السياسي إلى حد الفصل التام ـ كما سنرى فيما بعد ـ بين الدين والدولة ووصل إلى حد القول بأن كل ما يتعلق بالدولة منفصل عن الدين ومنفصل أيضا عن الأخلاق، وهذا ما يسير في اتجاه عكسي تماما بالنسبة للاتجاه الإسلامي. أما في الثقافة الإسلامية، فإن حرية الفكر تعد جزءا من الكيان الإسلامي، إذ أن القرآن الكريم دعا إليها وكرمها، ويكفي أن نذكر في هذا الباب الحوار العظيم الذي قام في القرآن الكريم بين الحق سبحانه وتعالى وبين سيدنا إبراهيم ـ ﴿**وإذ قال إبراهيم ربي أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**﴾ ـ أراد الله سبحانه وتعالى أن يكرم هذا الاجتهاد وهذه الحرية، واستجاب للتطلع العلمي للنبي الكريم وقال لسيدنا إبراهيم : ﴿**قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم**﴾.

هو إذن تنويه من الله سبحانه وتعالى لنبيه الذي أراد النفاذ إلى عمق العقيدة لا بمجرد التقليد ولكن بالبحث وإعمال الفكر وإعمال الحرية في هذا الفكر... والآيات متعددة في هذا المجال : ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ ﴿**إنما يتذكر أولوا الألباب**﴾ صدق الله العظيم.

الجانب الثاني في الثقافة بعد هذا الجانب الأول المتعلق بالحرية، هو أن الثقافة متطورة وليست فكرا جامدا. الحركية فعلا من طبيعة الثقافة، فهي تأخذ بعين الاعتبار البعد الزمني كما يقول المفكر التونسي محمود المسعدي أي أنها لا تعبر عن شيء جامد غير متطور، بل إن التطور من صميم مادتها، لأن الإنسان هو موضوع وهدف الثقافة، والكينونة الفكرية أو الاجتماعية لا تحقق إلا بالصيرورة، وإلا أصبح الكائن جامدا ميتا، وهذا صحيح بالنسبة لثقافة الفرد وثقافة المجتمع كمعبر عن الفكر الجماعي والفن الجماعي والقيم الجماعية فالفكر لايعيش ولا يقوى ولا يزدهر إلا بالتجدد فلم يزدهر الفقه الإسلامي مثلا إلا بالتطور في اجتهاده تبعا للحياة المتجددة عبر الأزمان والمجتمعات ولقد أصبح ضوء الفكر خافتا عندما وقف الاجتهاد للأسف الشديد بدعوى أن الفقيه لم يعد في مستوى المجتهد، ولنا أن نطرح هذا السؤال : هل وقفت الحياة حتى يقف اجتهاد الفقيه، أم لم يعد هذا الفقيه، في مستوى الحياة ؟ اننا نعتبر أن هذه من الكوارث التي عرفتها مجتمعاتنا الإسلامية، ولن تستعيد الثقافة الإسلامية ازدهارها إلا بالتجديد والبحث والاجتهاد.

وان الأمر أكبر من مجرد إحياء التراث القديم الذي ينبغي أن يتجدد ويعطي دفعة قوية للفكر الحديث، فازدهارنا وتقدمنا ليس في مجرد تمجيد ماضينا وثقافتنا الإسلامية بل يجب أن نعد نظاما ثقافيا يسود الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية لا من الناحية النظرية وحسب ولكن من الجانب العملي أيضا. وان تطبيق هذا النظام في ثقافتنا وفي حياتنا اليومية هو الذي يساعدنا على مواجهة المذاهب الهدامة ومواجهة الاستلاب ولنا ما يكفي من الرصيد لذلك، فينبغي أن تتجدد الثقافة الإسلامية باستمرار، وإن تساير الزمن، وان الفكر يكبر من العصر إذا أخذ حجم هذا العصر، ويصغر أو يظل في حكم معين إذا أوقف نموه، وفلم يعد يساير قافلة الزمن.

ولا شك أن الفكر الملتزم مرتبط بالقيم، ومن القيم في ثقافتنا الإسلامية ما هو ثابت أي ممتد مع الزمن، ومنها ما هو متحرك متغير مع تطور الزمن، فالنصف الأول يعتبر من الحقائق المطلقة المرتبطة بالألوهية التي لها صفة الوجود المطلق، أي الوجود الذي لا يرتبط بزمن ولا بمكان ولذلك فإننا نعتبر القيم الواردة في القرآن ذات بعد زمني مطلق فهي من حيث المعنى ومن حيث قابلية التطبيق على الفرد أو المجتمع لا تحد بوقت دون غيره، أما القيم المتحركة فهي التي ترك أمر الاجتهاد فيها للإنسان، هذا الكائن المتطور المتحرك جسما وفكرا وذوقا، فيجب إذن أن نعتبر في ثقافتنا مسيرة الإنسان بكل مراحلها وتجاربها، وينبغي أن تنعكس هذه المراحل وهذه التجارب على الفكر بكل مجالاته العلمية والأدبية والفلسفية والفنية. إن الفكر والفن يتطوران ويتحولان ويتغيران مع تطور مراحل

حياة الإنسان كفرد، ومع تطوره أيضا كمجتمع وحتى بالنسبة لهذه القيم المتحركة التي تطبعها القواعد الوضعية يجب أن لا نكون مجرد مجتمع مستهلك للمواد ولبعض أساليب الحياة التي ترد علينا من المجتمعات الأخرى وبالأحرى أن لا نكون مستهلكين للقيم التي لا تنسجم مع قيمنا الثابتة والتي هي سر وجودنا وأساس استقلال شخصيتنا.

العامل الثالث في الثقافة وهو أساسي، عامل اللغة

تعد اللغة - وهذا بديهي - من مقومات الثقافة انها ليست مجرد وعاء للفكر كما كان يقال في عهد الاستعمار. بل انها تحمل المضامين الحضارية والثقافية للشعوب، ونستطيع القول إنه لا توجد في أية لغة كلمة محايدة ليست محملة بمعنى ثقافي، ولقد بدأ الاستيلاء الثقافي في البلاد العربية بمحاولة الاستعمار القضاء على اللغة الوطنية، لغة القرآن. ولم يكن في الاستعمار شكل أخطر من الغزو الثقافي عن طريق إحلال اللغة الأجنبية محل اللغة العربية واستبدال شخصيتنا الثقافية بشخصيته أي شخصية الاستعمار الفكرية والثقافية. وحاول المستعمر اكتساح المجالات السياسية والاقتصادية عن طريق الثقافة، وذلك بإذابة الشخصية الوطنية في ذاته الحضارية واستهدف اللغة أولا بحمولتها الحضارية ولقد أدرك الفكر الوطني في بلادنا هذه الحقيقة وانطلق يقاوم المستعمر بنفس السلاح الذي قاومنا به هذا المستعمر، فأخذ ينشر الثقافة فكرا وقيما، في المدن والقرى، في المساجد والمدارس، فقذف الرعب في قلوب المستعمر بقذيفة الكلمة المسلمة قبل أن يصوب نحوه قذيفة المسدس. وبهذا التسلسل المنطقي والوطني الصائب كانت المقاومة الثقافية ثم المقاومة المسلحة، فكانت هذه نتيجة لتلك، ولكن السلاح قد هدأ والمواجهة أو المنافسة الثقافية على الأقل باقية ومستمرة استمرار الزمن لأنها تأخذ قوتها وجدتها من هذا الزمن وعلينا الآن في العالم العربي أن ندرك الخطر الذي يحدق باللغة، فلا يكفي أن نعرب شكلا باستعمال الحرف العربي والكلمة العربية بل ينبغي أن نقدم على التعريب الحقيقي للغة العربية ذاتها. نعم أقول تعريب العربية وأقصد بذلك التعريب الحضاري للغتنا. ذلك أننا أصبحنا بالفعل في كثير من مجتمعاتنا نستهلك الثقافة الأجنبية، نستهلك القيم الدخيلة لا باللغة الأجنبية ولكن بلغتنا الوطنية، وقد يكون هذا أخطر من استهلاك هذه الثقافات باللغة الأجنبية. لقد أصبحنا نقوم بهذا في المجالات السياسية والفكرية والاجتماعية والفنية، وأصبح معجمنا العربي يأخذ الحرف من لغتنا، والكلمة من لغتنا، والمضامين السياسية أو الفكرية أو الاقتصادية من مضامين الثقافة الأجنبية. والواقع أن لغتنا إذا أخذناها كلغة لم تزدهر ولم تتطور إلا بمضمون الثقافة الإسلامية فيجب إذن أن تكون لهذه الثقافة المكانة الأولى في برامجنا التعليمية وفي حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية، ولنقل في حياتنا بصفة عامة.

العامل الرابع في الثقافة : ضرورة التعليم

لقد ظنت بعض المجتمعات الإنسانية خطأ، أن المجتمعات قد تقوم بالنخبة المثقفة فقط، وان التنمية الاقتصادية والاجتماعية قد تتم على أساس عمل هذه النخبة، وعلى أساس توجيهاتها من غير حاجة إلى الغير، وكانت مخطئة في هذا الاتجاه، إذ أن التاريخ أثبت فعلا - كما سنرى هذا في بعض الأمثلة - ألا تطور في أي مجال من مجالات الحياة سواء تعلق الأمر بالسياسة أو بالاقتصاد أو بالقضايا الاجتماعية إلا بتطور الثقافة أولا، وقد أبان التاريخ لنا كذلك بأن التنمية الشمولية لا يمكن أن تتم إلا على أساس تعميم الثقافة في المجتمع، فلا يمكن للمجتمع أن يتطور بالنخبة فقط ولكنه يتطور بهذا التجاوب والتفاعل الذي يتم بين طليعة الفكر وعموم الأمة. إذ لافكر إلا ما ينطلق من المبادئ ومن واقع المجتمع في آن واحد ولا أثر للفكر في المجتمع إلا بالإدراك الشعبي الفاعل الذي ينقل الفكرة من نظرية إلى سلوك اجتماعي ملموس، فالنخبة تعطي للنظرية الوجود في الفكر والمواطن بإدراكه وتجاوبه يعطيها الحياة والنماء في المجتمع فتنساب فيه الفكرة كما تتحرك المادة الغذائية في الشرايين. وعلى هذا فليس من الغريب أن نعتبر تعميم الثقافة أمرا واجبا وأن

تكون الثقافة فرض عين لا فرض كفاية. إن التنمية الشاملة كما قلنا لا تتم إلا بالثقافة، والثقافة أساسها، والأمثلة عديدة في التاريخ الإنساني.

ففي بريطانيا مثلا يمكن أن نقول إن التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي انطلق تدريجيا في القرن السادس عشر، وانتهى إلى نقطة تحول كبيرة في القرن الثامن عشر حيث عرفت بريطانيا ثورة صناعية وتحولا دستوريا كبيرا وقد كانت من قبل محاولات لتطوير النظام السياسي، وإدخال الديموقراطية والحرية إلى هذا النظام، ولكن هذا لم يتم بصفة قوية وفعالة إلا في القرن الثامن عشر بصفة خاصة، عندما أخذت الثقافة تعم مختلف فئات المجتمع البريطاني ويمكن أن نذكر أمثلة متعددة في هذا الباب. فمن العصر الحديث نذكر مثالا حيا للحقيقة التي نتحدث عنها وهو مثال اليابان الذي عمم الثقافة حتى أصبحت نسبة 85 ٪ من السكان اليابانيين النشيطين في مختلف ميادين العمل حاصلة على الشهادة الثانوية على الأقل وقد ازدهر الاقتصاد الياباني لا بتعميم التعليم وحسب ولكن بتعميم الثقافة أي بتعميم الإيمان والعمل بالقيم الأخلاقية والحضارية مما جعل المجتمع الياباني يصون شخصيته وهويته الثقافية ويتطور بروح حضارية متميزة تعطي لمؤسساته السياسية والاقتصادية والاجتماعية السند الفكري والروحي للتنمية المادية.

لهذا نقول مرة أخرى إن التنمية لا تقوم ولا تصل إلى الغاية التي تعمل من أجلها وهي إسعاد المجتمع ماديا وروحيا إلا إذا واكب النشاط الفكري للنخبة تحرك لجميع فئات المجتمع حتى تصل الفكرة إلى كل عقل فتتحول إلى مادة حضارية تطبع الكيان الاجتماعي ككل، من غير أن يتأثر من سوء توازن داخلي أو ضعف في بعض خلاياه مما يؤثر على الجسم كله.

فليس من قبيل الصدف أن تكون الفترة التي ازدهرت فيها المجتمعات الإسلامية في كل المجالات الاقتصادية والاجتماعية هي بالضبط تلك الفترات التي عمت فيها الثقافة فئات المجتمع.

فالعصر الأموي والعصر العباسي سواء في الدول العربية المزدهرة أو في جنوب غرب أوربا وفي الأندلس بالذات يعطيان مثالا حيا لما لتعميم الثقافة من أثر داخلي وخارجي فقد ازدهرت العلوم الإنسانية والعلوم البحتة والعلوم التجريبية حتى أن جامعات أوربية ظلت تستند في دراساتها إلى الكتب العربية وذلك إلى نهاية القرن الثامن عشر. بل إن آثار الفقه الإسلامي مازالت ظاهرة إلى اليوم في بعض جوانب القانون الأوربي الحديث.

لكن عندما عمت الأمية مجتمعاتنا الإسلامية، اصطدمت المحاولات الإصلاحية بعرقلة الأمية فظل الفكر يواجه معضلة جدار الجمود الثقافي وقد تكون هذه أخطر مميزات عصر الأزمة العربية والإسلامية.

فالحركة الإصلاحية التي قام بها المصلح العظيم جمال الدين الأفغاني وإلى جانبه محمد عبده ورشيد رضا حركة عميقة وقوية ولم تكن منحصرة في المشرق من حيث مقومات الإصلاح ولكنها باتجاهها الإسلامي الواسع شملت الأمة الإسلامية شرقا وغربا. ولقد كان لها الأثر الواضح على الحركة السلفية التي منها انطلق الفكر والعمل الوطني.

ومع ذلك فأفكار الحركة الإصلاحية لجمال الدين لم تسع المجتمع الإسلامي كله وظلت محصورة في الفئة المثقفة وهي قليلة آنذاك في العالم الإسلامي فلم يستطع المجتمع أن يتحرك ثقافيا واقتصاديا في توازن وانسجام لأن النخبة كانت من غير شك واعية كل الوعي بخطورة وعمق الإصلاح الذي آمنت به وبجدواه إلا أن الإصلاح لم يصل إلى عمق الجماهير التي من شأن وعيها واستجابتها أن يعطيا المدلول العملي الفعال للنظرية.

نحن إذن في الوطن العربي وفي الأمة الإسلامية في حاجة أكيدة إلى تعميم الثقافة، ولا يمكن أن نتطور بغير هذا التعميم، نحن في حاجة إلى مخطط ثقافي يوازي المخططات الاقتصادية ويدعمها... وينبغي إلا نضيع الوقت في المخططات الاقتصادية والاجتماعية، إذا لم يكن الدعم الأساسي لهذه المخططات هو التنمية الثقافية. لقد

قدمنا أمثلة من التاريخ، وينبغي أن نأخذ العبرة منها وإن واقعنا من جهة أخرى، يدعو إلى عمل قوي ومستعجل لمواجهة التيارات الهدامة والغزو الثقافي، وكما قلت منذ حين، فإن الأمر لا يتعلق بمجرد التعريب الشكلي، ولكن ينبغي أن تقوم بعمل قوي لنشر ثقافتنا بلغة عربية تحمل المضامين الإسلامية وتتطعم بعناصر الثقافات الأخرى، التي تنسجم معها في الجوهر. والطريق طويل لأن التأخر الذي لحق بالدول العربية والإسلامية تأخر واضح ونقص كبير في المجال الثقافي. ولنذكر بعض الأرقام :

- قامت دراسات في بعض المنظمات العالمية كاليونسكو لتحديد مستوى التطور الثقافي للدول والجهات كمقياس لتنميتها العامة ولنذكر بعض الأمثلة لهذه الإحصائيات في المجال الثقافي.

- ما هو عدد أجهزة الراديو لكل ألف مواطن ؟ في إفريقيا : 77 جهازا لكل 1000.

وفي أوربا 450 جهازا.

- في مجال الكتاب : نشر الكتاب في الدول العربية، يمثل : ٪ 0,9 من المجموع العالمي بينما تمثل أوربا ٪ 55,3.

- الصحف في الدول العربية : لكل ألف مواطن 33 عدد من الصحف.

وفي أوربا 310 لكل ألف.

وفي الدول الآخذة في طريق النمو بصفة عامة : 35 لكل ألف أيضا بما فيها طبعا الدول العربية، أما الدول المتقدمة عامة فحصتها : 324.

- إنتاج ورق الصحف في الدول العربية 0,50 مليون طن.

- في أوربا 9,7 مليون طن.

- في الدول المتقدمة بصفة عامة 18,7 مليون طن.

- في الدول المتخلفة 1,1 مليون طن.

الأرقام ناطقة ويمكن أن نذكر أرقاما أخرى، كرقم مخجل حقيقة بالنسبة لثقافتنا، وهو أن لكل مواطن في أوربا 4 كتب، ولكل مواطن عربي نصف كتاب. وإذا كان هذا الرقم الأخير بليغا ولا يحتاج إلى تعليق فهو يعطينا فكرة عن مدى المجهود الذي يجب أن يبذل لنشر المكتبات العمومية وشيوع الكتاب كأداة لا تعوض في كل بيت، في كل مدينة وفي كل قرية. وحبذا لو أسهمت الوسائل السمعية البصرية في تقديم ومناقشة الكتب الجديدة وفي التوعية الثقافية عامة لقد حللنا العناصر التي تجعل من الثقافة أساسا للوجود وننتقل الآن إلى ما للثقافة من دور في الحوار الدولي.

ثانيا : الثقافة كأداة للحوار :

لقد استفدنا وأفدنا من هذا الحوار في تاريخنا الثقافي، فلنذكر وكما قلنا في الجزء الأول بما اضطلع به فقهنا من دور كبير في القانون الوضعي لدول متعددة وخاصة منها الأوربية. ولنذكر أيضا ببعض أعلامنا وما أكثرهم : ابن سينا، ابن رشد، الفارابي، الرازي، ابن خلدون، الشريف الإدريسي وغيرهم كثير ولنذكر أيضا بأننا أخذنا عن بعض الثقافات، أخذنا مثلا من الثقافة اليونانية، فطورنا هندستها، ولكننا في المقابل أعطينا الجبر كعلم جديد للعالم... كما طورنا الطب، لنا كذلك دراسات في علم الإحياء، في الفيزياء، في الكيمياء، في الفلسفة الأدب في الفكر بصفة عامة.

إلا أن هذا ينبغي الا ينسينا بأننا عندما نتحدث عن الحوار بالنسبة لثقافتنا فإننا نتحدث عن الماضي، ولا نستطيع أن نقول هذا بالنسبة للحاضر، وفعلا فإن الحضارة لا تستطيع الحوار إلا إذا كانت قوية، ولا تستطيع الثقافة أن تؤثر إلا إذا كانت على الأقل في مستوى الثقافات الأخرى... يقول أبو الأعلى المودودي في كتابة (نحن والحضارة الغربية) :

إن الغلبة والاستيلاء المعنوي يقوم بنيانهما في الحقيقة على الاجتهاد. والتحقيق العلمي. فكل أمة تسبق غيرها إليه تتولى قيادة العالم وزعامة الأمم وتستولي أفكارها هي على العقول. وأما الأمة التي تتخلف في هذا الطريق فلا تجد مناصا من اتباع الغير وتقليده إذ لا تبقى

في أفكارها ومعتقداتها من القوة والأصالة ما يكسبها السيطرة على الاذهان.

وكان أبو الأعلى المودودي في هذه القولة يردد في الواقع ما قاله ابن خلدون في المقدمة. يقول ابن خلدون في مقدمته : «في أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه».

إن التنافس القائم بين الدول في عصرنا هذا يتجلى في مختلف ميادين الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية ويعد التنافس الثقافي محور التسابق في هذه الميادين لأن الاحتواء السياسي والاقتصادي يتم عن طريق استمالة الفكر وإخضاعه في النهاية. ان جزءا غير يسير من ميزانيات وزارات الشؤون الخارجية في العالم يخصص للتعاون الثقافي فتكون الغاية هي نشر اللغة والحضارة والمذهب السياسي والاقتصادي للدولة المعنية في أكثر ما يمكن من دول العالم. ولا يتأتى هذا العمل لأي دولة إلا إذا كانت تجهيزاتها الثقافية الوطنية ونشاط مؤسساتها الثقافية بالحجم والمستوى اللذين يضمنان التعامل مع الغير بالتأثير الذي تستطيعه قوة الثقافة كعملة فكرية تتحدى الحواجز والحدود السياسية بالكتاب والمجلة والراديو والتسجيلات الصوتية والمرئية. فبمستوى هذه الوسائل تستطيع ثقافة ما أن تلعب دورها في العالم وأن تؤثر على المجتمعات الأخرى فتتأثر بها ثم تصبح خاضعة فتحصل التبعية ويقع الاستلاب الفكري والثقافي وتقتلع الشخصية من جذورها لتنتقل إلى نظام ثقافي آخر. هذا ما يهددنا وما ينبغي أن ننتبه إليه.

ما هي إذن طريقة العلاج ؟ أهي الرجوع إلى الماضي والوقوف عنده بالتمجيد ؟ إنها طريقة لا تفيد لأن التمجيد بالكلمة والكلمة لا أثر لها في الكيان الثقافي والاجتماعي إلا إذا تحولت إلى واقع ملموس فتكون الظاهرة الثقافية والاجتماعية في حياة الأمة هي المعبر الحي الصادق على الإيمان بالقيم.

أما محاولة الاندماج في حضارة أخرى فهي أيضا غير مقبولة أولا لأنها تعني فناء الشخصية الذاتية بالذوبان في الغير ولأنها غير قابلة للنجاح موضوعيا لأن الحضارة تنشأ عن معطيات ذاتية يفرزها التطور عبر الزمان - فالحضارة لا تصدر ككل، ولا تستورد ككل، وإنما نأخذ من ثقافة وحضارة الآخر ما هو إنساني مشترك بين الثقافات والحضارات أي ما هو قابل للانسجام مع ثقافتنا وما يمكن أن تنتعش منه جذور ثقافتنا العميقة في الارض. ويمكن القول بأن ما يمكن التحاور والتبادل فيه هو البعد الإنساني للثقافة حيث المجال المشترك لكل الثقافات.

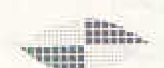
ومع عالمية بعض المجالات كالتكنولوجيا الحديثة التي غزت كل الأسواق والمجتمعات، فإنه ينبغي لنا ألا نكتفي بنقلها كما هي، أي كما توجد في المجتمعات الأخرى بل ينبغي أن نتحكم فيها حتى تسخر لأهداف ثقافتنا وحضارتنا، فالآلات التي خلقتها التكنولوجيا نشأت عن معطيات وحاجات معينة مرتبطة بطبيعة العيش وبفلسفة اجتماعية معينة في مجتمع معين، ولذلك، فلا يمكن إلا التأكيد على ضرورة الاستفادة من العلم ومن المخترعات والاكتشافات في مجال الطب والبيولوجيا والزراعة والهندسة والإعلام ووسائل النقل والاتصال، ولكن يجب في نفس الوقت تكييف كل الاكتشافات والمخترعات مع معطيات مجتمعنا وبالتالي مع القيم التي تعد التكنولوجيا وسيلة لخدمتها.

وكيفما كان الأمر فإن النمو لا يمكن أن يكون إلا ذاتيا. إن النمو لا يأتي من الخارج، أي أن المجهود الفكري والعلمي والمادي يجب أن ينبع من الذات، فإذا نقلنا العلوم والتكنولوجيا بدون هضم فيؤدي ذلك إلى مسخ شخصيتنا بتشويه حضارتنا، بما فيها اللغة التي لا يمكن أن تزدهر وتحيا وتتطور إلا بحمولتها الثقافية والحضارية الغنية. ولنقل في النهاية، إننا في مواجهة التحدي الثقافي الغربي، وعلينا أن ندرك أنها مواجهة بالفعل، إننا نواجه هذا التحدي الثقافي الأجنبي بقيمه الفكرية والاقتصادية والاجتماعية،

وقد حاول غزو الدول العربية والإسلامية بلغته وينبغي إذن أن نقدم البديل.

والبديل لا يمكن أن يكون من غير شك إلا بالرجوع إلى قيمنا الإسلامية ودراستها دراسة معمقة تأخذ بعين الاعتبار المبادئ التي قامت عليها ثقافتنا، وما جد في المجتمع الإنساني في كل المجالات. هذه سبيلنا إذا أردنا أن نمارس تلك الحرية التي قلنا عنها إنها أشرف ما منحه الله للإنسان.

إن الثقافة ترتكز كما رأينا في البداية على عنصرين أساسيين : هما الجانب الروحي والفكري من جهة وجانب التطور المادي من جهة ثانية. وإن أمننا الثقافي يكمن في أن نميز في علاقاتنا الثقافية الخارجية بين الأمرين وأن نأخذ من الغرب العلوم المرتبطة بالتنمية المادية كما أخذ ذلك من حضارتنا بالأمس في شتى الميادين العلمية. وعلينا مع ذلك أن نتحكم في هذا الجانب المادي في تكنولوجيته واقتصادياته فلا نأخذ إلا مالا يتضارب ومالا يتنافى مع قيمنا. فليست الماديات بمنفصلة تمام الانفصال عن هذه القيم الفكرية والروحية. أما عن الجانب الروحي والفكري فهو الذي يمس روح وجوهر ثقافتنا وهو محركها الأساسي. إنه جانب لا يستورد : فبه نتميز في حضارتنا وشخصيتنا الثقافية وهويتنا عن الغير، وبه نقيم التوازن بين الماديات والروحيات، هذا التوازن الذي فقدته الحضارة في المجتمعات الإنسانية الحديثة والذي نستطيع أن نقدم به البديل. فمتى تسطع هذه الشمس من جديد على الغرب ؟ لن تسطع إلا إذا أدركنا علميا أن الهزيمة التي أصيب بها العالم الإسلامي ليست هزيمة الإسلام ولكنها هزيمة المسلمين. ولن نحصن أمننا الثقافي من جديد إلا بولوج باب الاجتهاد لا لاختيار المبادئ والقيم التي تقوم عليها ثقافتنا فنحن في القرن الخامس عشر من هذا الاختيار ولكن للتأمل في القوانين وفي المناهج التي ينبغي اتباعها في مجتمعنا الإسلامي للنهوض به أولا ولفرض ثقافتنا في العالم كمحاور قوى قابل للتطبيق العملي في القرن الواحد والعشرين. وبذلك نكون قد أعطينا لمجتمعنا المواصفات التي تنعكس عليها مؤسساتنا السياسية وتعليمنا وتنظيماتنا الاجتماعية. فاقتحام الحوار في هذا العالم لن يكون لمجرد أن بين أيدينا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولكن بإعطاء العالم نموذج مجتمع يعيش الثقافة الإسلامية ولا يكتفي بالحنين إليها. لقد جاء الرسول ﷺ بأعظم ثورة عرفها العالم على الأوضاع الفاسدة ولكنه حين فعل لم يقدم نظرية ولكنه قدم للعالم نموذج مجتمع حي بثقافته الذاتية وبالسلوك الذي يعكس ما استقر عليه القلب والعقل من إيمان واجتهاد. ويبقى أن الاجتهاد هو محرك الإيمان وبه يكون التطوير والتأثير على الغير. إن الاجتهاد إذا كان يعني التمسك بالقيم والمبادئ الثابتة التي تكون الأساس القار فإنه يعني كذلك التحرر من قيود الزمن والظروف التي تم فيها اجتهاد معين. ذلك أن المجتمع الذي نعيشه اليوم بكل تطوراته ليس هو مجتمع القرون الماضية فالاجتهاد إذن يأخذ طريقه إلى ما يحدث وما يستجد للناس وللمجتمع من قضايا وحاجات تستلزم التجديد في الاجتهاد فليس من أئمة العلم من اعتبر أن اجتهاده قطعي ولا اعتبر أن التقليد الجامد سبيل التطور. ولنقل من جديد إن بالاجتهاد نمارس حرية الفكر وبه نعطي للحياة حركتها الدائمة وتطورها. بل وبه يعطي الإنسان لنفسه سر الحياة ومعنى الاسهام فيها على صعيد المجتمع وبه يعطي مدلول الاستخلاف.





في أوج الدبلوماسية العالمية

للدكتور عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

إن كلّ ذلك الصّيت الذي حملته المملكة المغربية عبر الأحقاب والدهور لم يكن فقط وليد ممارستها على الصعيد الدّاخلي ولكنه - وهذا ملحظ يجب أن يقال - كان ناشئا عن تزكيات عالمية لمبادرات المملكة إزاء قضايا معينة عرفتها المجموعة الدولية :

لنأخذ لنا مثلا موقف المغرب إزاء الوضع في الأندلس على عهد المرابطين عندما هبّ لنجدة الذين استصرخوا به من وراء البحار... وإزاء الحالة في غرب إفريقيا عندما تناهت إليه أصداء محاولات الاجهاز على ما أنشأه الفاتحون هناك من قيَم ومبادىء...

ولنأخذ مثلا آخر من المبادرات الرائدة، في بداية العهد الموحدي، عندما جعل المغرب حدا لاحتلال النورمانديين لمهدية تونس وضرب بأسطوله الحصار على كل الذين كان تحدثهم نفوسهم باكتساب موضع قدم على الساحل الإفريقي.

وماذا كان يعني حديث التاريخ عن الوجود المغربي على ساحة القتال في بلاد الشام للتنفيس عن المجاهدين في الحروب الصليبية ؟.

وماذا يعني حديث التاريخ عن الاتفاقيات والمعاهدات التي كانت تربط المغرب بسائر الممالك المسيحية على طول حوض البحر المتوسط ؟.

وماذا كان يعني قيام المغرب بمساعيه الحميدة - منذ العصور الوسطى من أجل أن يحافظ ملوك المشرق على وشائج القربى التي تجمعهم فلا يتنابذون ولا يتخاذلون ؟.

وماذا كان يعني قيامه بنفس الدور قبل قرون خلت من أجل أن لا يصطدم أيضا ملوك أروبا فيما بينهم، حفاظا على أمن وسلامة البحر المتوسط ؟.

بل وماذا كان يعني أن يقوم المغرب بإصلاح ذات البين بين الأمم على مستوى القارات : بين العثمانيين الذين تنفّذوا في آسيا وبين الإمارات والجمهوريات في أروبا ثم بين الولايات الأمريكية من جهة وبين الايالات الإفريقية من جهة أخرى !.

إن مثل تلك المواقف هي التي جعلت من المغرب الدولة التي كان لها صدى في كلّ مكان، والتي أسهمت في صنع تاريخ هذا العالم الذي نعيشه في حاضرنا...

وتظل القولة السائرة : «هذا الشّبل من ذلك العرين» صادقةً قويّةَ الدلالة، بل إن هذه القولة هي التي ساعدت علماء الإجتماع وأقطاب السياسة على أن ينشدوا أسباب أحداث اليوم فيما جرى بالأمس، وأن يقرأوا ماجريات الغد على ضوء ما يشاهدونه الساعة.

لقد لذّ لي بحكم هوايتي كأحد المهتمين بالعلاقات الخارجية للمغرب، وبحكم متابعتي اليومية لما يجدّ، على المستوى الدّولي، من فعل أو قول، لذّ لي أن أرصد - كما

رصدت بالأمس ـ صيت بلادي اليوم في الجهات الأخرى... كان عليّ أن أرحل إلى الأماكن النائية على نحو ما فعلت في الأماكن المجاورة... كان عليّ أن أقرأ بكلّ لسان ماذا يقال عن بلادي وأن أقوم كذلك بمقارنات ومفارقات من أجل تقييم المقول والقائل، والمنقول والناقل... نشدت هذا وذاك المغرب العظيم يتهـدف للسّطو الأجنبي فتُعبّر انتفاضته، قمةً وقاعدة أمام العالم كله، عن أمة جديرة بذلك الماضي المجيد الذي عرفنا عنه بالأمس... قرأنا عن بطل المغرب جلالة الملك محمد الخامس الذي عرف صحبة ولي عهده ـ كيف يعبىء البلاد قاطبة ضدّ الإحتلال... وعرف كيف يحبط كل المؤتمرات التي كانت تهدف لعزلنا عن المجموعة الدولية وتحاول أن تصرفنا عن التزاماتنا أمام الأسرة الإسلامية.

تظلّ ملحمة استعادة المغرب لسيادته واستقلاله أمثولةً رائعةً لكلّ المناضلين في كلّ مكان، وهل عرف التاريخ العالمي أمّةً كان الملك فيها وأسرته الكريمة (في طليعة الذين يختارون المنفى السحيق على أن تظلّ أمتهم ترزح تحت نير الاستعباد ؟ وهل عرف التاريخ أمّةً ربطت مصيرها بمصير مليكها غير المغرب ؟.

وعندما استرجع المغرب سيادته، هل كان «أنانيا» يكتفي بمكاسبه ؟ كذلك كان يفكّر قوم لا يعرفون أما هو فقد كان مضرب المثل في الإيثار... ومن ينكر دور المغرب في تحرير افريقيا..؟!.

وهنا أيضا ـ وبعد استقلال عددٍ من الأمم الصديقة والشقيقة ـ وجدنا المغرب وهو يتدخّل اليوم كما تدخّل بالأمس من أجل بسط السلام وإقرار الشرعية في بعض جهات افريقيا... وهو يعبّىء قواته من أجل إزاحة الظلم والحيف الذي تعرض له إخوته في المشرق من لدن الصّهاينة المعتدين..

على هذا الصعيد كما على صعيد آخر : صعيد الأخلاق المثلى التي تظل الرصيد الثمين لكل الأمم، الأخلاق التي تتجلّى في الوفاء والصدق وتفهّم الغير والتفتح على الناس في رباطة الجأش أيضا ووضوح الرؤية كذلك، في التعالي على سفاسف القول وعدم الاغترار بالمظاهر... في القصد توّاً إلى الهدف المنشود دون ما التواء ولا مراوغة.. ودون ما تردّد ولا توقّف...

وحتى أختصر الطريق لنفسي وجدتني أمام عنصر كان له الأثر القويّ على رفع إسم المغرب عالياً بين الأمم الأخرى، وبدأ ذلك عن طريق الأسلوب المبدع الملهم الذي ما انفك جلالة الملك الحسن الثاني يخاطب به الفكر الغربي طيلة الخمس والعشرين سنة الماضية... سواء عن طريق الإعلام العالمي أو عن طريق المنظمات الدولية أو منبر الأمم المتحدة...

لقد قرأنا عن عرش الملوك العلويين أنه لم يكن كرسيا من ابنوس مطعّم باللؤلؤ والمرجان ولا منبتا بالفضة والذهب، ولكنه كان مطية خيولهم التي كانوا يدبّرون منها أمر الملك ومنها يتتبعون ظروف البلاد وتطوراتها أينما كانوا...

ونحن اليوم في عصر تجاوز الخيول إلى السيارات والقاطرات والطائرات، فهل اختلف الأمر اليوم عن الأمس ؟ إن العاهل حفظه الله يظلّ على مكتبه ومع ملفاته سواء أكان بفاس أو مراكش بالرباط أو الرياض، باريز أو نيويورك أو موسكو... وسواء كان على متن البحر أو الجوّ، فهو مع المغرب ومع المواطنين ومع مسؤولياته الكبرى على شتّى الأصعدة.

تتبّعوا نشاطه وهو في الحلّ والترحال فتجدون أنه هو هو... ستجدون أن تلك التّنقلات لم تنل من توازن أعماله، ولم تجعل لقضيةٍ من القضايا رجحان كفة على حساب القضية الأخرى... فهو يصرح... ويستقبل وينبّه ويرشد... على نحو ما عليه إسماعيل العظيم ومحمد الثالث والحسن الأول... وهكذا كان واسطة عقدٍ تسلسلت لئالئه النيّرة كابراً عن كابر فلم يكن غريباً ولا دخيلاً ولا طارئاً ولا عابراً ولكنه كان يشعر بأنه يقوم على أرضية صلبة ووراء خلفية حافلة !.

وما تستوي أحساب قوم تورّثت
قديما وأحساب نبتن مع البقل !!

لقد عرفته الساحة الدولية منذ أن تربع على عرش أسلافه فعرفت فيه مثال القائد الفذّ الذي يمتلك الحكمة وفصل الخطاب، وتأويل الأحاديث، وحسبك أن تقوم برحلة لأرشيفات المنظمات الدّولية وتطلب إليها أن تمدك بالمقولات التي سجلتها عن الملك الحسن فيما يتصل بالعلاقات الدّولية، وفيما التقطته من استجواباته أو تصريحاته أو خطاباته هنا وهناك، وفيما سجّلته عنه هناك في مختلف القارات في شتّى المناسبات...

ستجد أن «المصطلح الذي أثر عنه واشتهر به هو غير المصطلح» الذي يعتاده الآخرون، ومن ثمت قلنا أن «أسلوب» جلالة الملك الحسن «أسلوب» طارىء على المجتمع الدولي... وأحبّ بهذه المناسبة أن ألفت النظر - كبداية - لظاهرةٍ نيّرة اتسم بها نطقه الكريم أمام تلك المحافل.

إن معظم التدخلات التي رددت صداها جنبات تلك المجامع، إن لم أقل كلها، كانت تخلو من ذكر ما يتصل بعالم الروح..! لكنّ جلالة الملك المؤمن تعوّد - وهو من مدرسة الرسول - ﷺ - أن لا يتصرف إلا وهو مقتنع بأن هناك قوةً خارقةً تجهلها أو تتجاهل ذكرها القوى العالمية، إن تلك القوة بالنسبة إليه تظلّ «الشحنة» التي تقوّى من عزيمته وتشحذ من إرادته... وهكذا سجل أرشيف الأمم المتحدة أن المملكة المغربية أول دولة فضلت أن تكون تحيتها الأولى للمنتظم الأممي ليست رسمًا فنيًا ولا قطعة من البرونز أو زربية مبثوثة، ولكنها لوحة تبتدىء باسم الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قبل أن تكون ديباجة دستور الأمم المتحدة... تلك كانت هدية المغرب إلى أبهاء الأمم المتحدة، وهي الهدية التي ما تزال اليوم تستوقف الزوار الذين يترددون على نيويورك في كل مطلع شمس...

ومن هنا لم يكن غريبا علينا أن نجد أن أرشيف الأمم المتحدة يسجل أن العاهل المغربي كان أول رئيس دولة يتيمّن بكلام الله وحديث رسول الله، فيما يلفظ به من قول، ومن ثمت أصبح على الذين يستمعون إلى جلالة الحسن أن يبحثوا في الموسوعات الإسلامية عن المفردات والمصطلحات التي يستعملها جلالته في حواره مع المنتظم الدّولي.

وهكذا فرض على المنتسبين للأمم المتحدة بما فيهم العقلانيون والعلمانيون، أن يضيفوا إلى قواميسهم السياسية موسوعاتٍ أخرى تهتمّ بالدّين وتعتمد على مخاطبة الوجدان ! لقد كان - أعزه الله - أحسن وأصدق من عرّف بالإسلام في الأمم المتحدة حتى صحّ الاعتقاد بأنه حفظه الله لو لم يكن وليد هذا القرن لقال الناس : إنه أقرب إلى عهد الرسول عليه الصلوات..!.

أضف إلى ذلك ما اعتاد أن يستشهد به من عيون الشعر العربي القديم والحديث أو من الأدب العالمي مما يترجم من جهة أخرى عن تمكن رفيع في الثقافة خليق بأن يرفعه إلى مكانة سامية بين الأمم...

في سائر خطاباته المشهورة أصغى إليه العالم، عدداً من المرات، وهو يشيد بحمد الله ومشيئة الله وتوفيق الله... وبذلك تمكن الناس من أن يعرفوا منذ البداية مفاتيح شخصيته الفذة النافذة...

كثيرةٌ هي المصطلحات الإسلامية التي أقحمها في أرشيف المنظمات الدولية وبذلك تميّزت خطاباته وطبعت تدخلاته... ثقافة من نوع فريد اقتحمت مبنى الأمم المتحدة وبذلك كان صلة وصل بين حضارات...

إن اللغة الخاصة التي اعتادها رجال السياسة من جلالة الملك الحسن جعلت منهم ألسنةً ناطقةً شاهدةً بإيمانه ووعيه، ونضجه وحكمته وتبصره، ولطالما قرأنا عن عدد منهم يتهافتون على التقاط كلماته والإستفادة من ضرب أمثاله.. فإليه يرجع الفضل الكبير في تكوين الفكرة المشرقة التي للقادة والرؤساء عن ديارنا... فلقد كان نعم من يقدّم هذا المغرب كحلقةٍ ذهبية بتاريخه ومعالمه، ورجاله وعوالمه، ولقد كان نعم من يقدم هذا المغرب بطموحه وتطلّعه، وثقته بنفسه وإيمانه بماضيه وحاضره ودوره في بناء صرح الحضارة جنوباً وشرقاً وشمالاً... وغرباً كذلك...

وأن في أبرز ما لفت أنظار المتتبعين لآثاره تضلّع الرجل واستيعابه واستقطابه لكل ما يكتنف هذا العالم من ظروف وصروف، فهو يعالج القضايا علاج العارف الواصل الذي يدرك أين ومتى يقدم الوصفة الناجعة..

إن الرجل - وهو يعيش على أرض حكمها جدود له من قبل، عبر أحقاب وقرون... إن الرجل وهو يعيش على أرض يقدّر جيداً موقعها ووقع كلمتها عبر التاريخ كان يفكّر على عدد من الواجهات...

ومن هنا كان واضحاً عن درجة التمكن من القضايا المطروحة بالنسبة للعالم فيما يتصل بتلك الاعتبارات، فإذا ما أضفنا إلى كل ذلك، ما نشأ من هيئات ومؤسسات ومؤتمرات نتيجةً لمصالح ظرفية، عرفنا إذن ثراء القاموس الذي يستعمله جلالة الملك الحسن مع كلّ تلك الفئات ومع كل تلك الهيئات... مدرسة كاملة يتمكن جلالة الملك الحسن الثاني من فصولها وموادّها، ومن ثمت كان إذا تحدث منها أو عنها كان حديثه هو القول الفصل، ولطالما سمعنا عن قصد ناديه من أجل أخذ فتوى أو استخراج رأي.

ومن هنا لم يكن غريباً علينا أن نراه على قمة الدبلوماسية العالمية يعالج ما استعصى من قضايا الإنسانية. وقد اجتمع له في فترةٍ من الفترات أن كان يمثل قارةً بكاملها من القارات أو هيئة بسائرها من الهيئات : فيها العالم الإفريقي والعالم العربي وفيها العالم الإسلامي كذلك.

سنقف إلى جانب جلالة الملك الحسن الثاني وهو ينظهر على الساحة الدولية بعد تسلّم الأمانة في أعقاب وفاة والده العظيم رحمه الله : نحن معه وهو يخاطب العالم الثالث يوم ثامن شتنبر 1961 في بلغراد... أمام سبعة وعشرين من رؤساء الدول والحكومات من الذين كانوا يمثلون قوة متغايرة عن قوتَيْ كلٍّ من الشرق والغرب ممن أصبحوا يُعرفون بدول عدم الإنحياز...

لقد ظلت مساهمة ملكنا في هذا المؤتمر الذي لم يكن له نظير على صعيد المجتمعات الدولية، تُقيم الدليل القاطع على تعلق المغرب بمبادىء العدل وعدم التبعية وفي المساهمة في مشروع السلام، وفي اهتمامه بالبحث عن الحلول الصالحة للمشاكل المطروحة آنئذ... لقد أعطى لعدم الإنحياز مدلوله الحقيقي والنهائي... إن عدم الإنحياز لا يعني إنكار كل فكرة مثمرة أو إيجابية تنبعث من الكتلتين : الشرقية أو الغربية... إن من الحلول ما يوخذ ومنه ما يترك، ولا بدّ من أن يستند الاختيار على الموضوعية الثابتة وعلى ضمير دولي...

ونظرا إلى أن المغرب شغوف بالمثل العليا للسلام والعدل والمساواة التي ترتكز عليها فلسفة ميثاق سان فرانسيسكو، فإن جلالة الملك أكّد تعلقه بأهداف ومبادىء الأمم المتحدة التي كانت مهدّدة إذ ذاك بمخاوف خطيرة. ولتعزيز الجهاز الدولي الضروري للإبقاء على السلام، والذي هو الضمانة الجوهرية لسيادة الدول، فقد وجدنا العاهل المغربي يقوم بتقديم اقتراحاتٍ هامة أثبت التاريخ المعاصر أنها كانت ضرورية لمصداقية قرارات المنتظم الدولي وفي صدرها أحداث قوة دولية تساعد على ضمان السلام العالمي.

لقد وضع جلالة الملك الحسن الثاني منذ ذلك العهد نُقط نظام حول عدد من القضايا التي كانت الأسرة الدولية لا تعيرها الاهتمام اللائق بها... وهناك سمعناه يرفع صوته عالياً للتنديد بالظلم والحيف الذي يقع على إخواننا الفلسطينيين. هناك نادى على الملأ بقبول الصين في هيأة الأمم المتحدة، وهناك ندّد بالتسابق إلى التسلح ووجّه نداءً ملئه الإخلاص لجعل هذه الأسلحة خارجة عن القانون، وطالب بتخصيص المبالغ الهائلة المصروفة عليها، في مكافحة الجوع والجهل والمرض، ولحلّ قضايا التّنمية...

وهل ينسى أحد مرافعته الرائعة، أعزه الله، من أجل استقلال الجزائر التي كانت ما تزال ترزح آنذاك تحت نير الاستعمار ؟!.

وهل ننسى حديث جلالته عن المشاكل التي تهدد القارة الإفريقية ومناطق آسيا من جراء التقليصات الجائرة التي كانت تقوم بها الدول المستعمِرة في غياب أصحاب الحق الشرعي، داعياً إلى احترام الوحدة الترابية. ثم هل

تنسى التزامه بمساندة حركات التحرر الوطني وحركة مقاومة الميز العنصري...

لقد كان حضور جلالة الملك الحسن الثاني في مؤتمر بلغراد ملفتة لأنظار قادة العالم ليس فقط ممن كانوا يشاركون في هذا اللقاء ولكن ممن كانوا ينتسبون للكتلة الغربية أو الكتلة الشرقية... فقد كانت كلماته محلّ تعليقات مسهبة تتبعها البيت الأبيض على نحو ما تتبعها الكرملين...

ولقد كان في صدر اهتماماته، وقد ولاّه الله أمر البلاد، قضية تشييد وحدة المغرب العربي، «إن جميع عناصر التاريخ يمكن أن تتغير إلاّ العنصر الجغرافي الذي لا يمكن أن يتغيّر ومن ثمت يجب احترامه والعمل ضمن إطاره» ومن هنا كان منطلق المتقدمين في عملهم الدائب لضمان وحدة أقطار الشمال الإفريقي وحمايتها من كلّ تسرّب خارجي، ومن هنا كذلك كان اقتناع جلالة الملك الحسن الثاني وكان حماسه الزّائد لصالح لمّ الشمل بين قادة المغرب، ليس لدافع ديماغوجي أو ظرفي ولكن لوازع من ضمير وطنيّ وشعور إنساني... ونظر بعيد يتجاوز الإقليميات الضيقة إلى الفكر المتفتح المستنير... وإن الذين يتتبعون، عن كثب، تضحياته ومبادراته في هذا الصدد ليشهد بالروح الجماعية التي تتملكه كما يشهد بشعوره اللا محدود إزاء واجب الجوار...

وهكذا فمنذ الخطوة الأولى في طنجة (أبريل 1958) لتحقيق هذه الفكرة شاهدنا سلسلة من اللقاءات على مختلف المستويات... مؤتمرات وزراء اقتصاد المغرب العربي بتونس وطنجة وطرابلس والجزائر، ومؤتمرات وزراء التربية. وما تبع هذه المؤتمرات من لجان وهيئات فرعية واجتماعات دولية انصرفت لوضع الأسس الكفيلة بتحقيق تلك الأماني... لقد سجلت سائر المنظمات الإقليمية في شتى جهات العالم حسن نية جلالة الملك الحسن وصدق عزيمته إزاء بناء هذا الصّرح الشامخ الذي كان من الواجب أن تتلاشى أمامه كلُّ التطلعات العشوائية... كلّ التنظيمات الإقليمية... سواء في أروبا أو أمريكا أو آسيا أو حتى في افريقيا ذاتها كانت تتبع عن كثب خطوات هذا البناء الذي لا يوجد هناك إلاّ ما يشجع على المضيّ فيه ماضياً وحاضراً ومستقبلاً... وعندما كان جلالته يعمل من أجل تحقيق ذلك الأمل، كان يعرف بأنه الطريق الأمثل نحو بعث جديد للجامعة العربية التي تظلّ النّبراس الذي تجتمع حوله الأمة العربية من الخليج إلى المحيط...

إن أحداً في الدنيا لا يجهل أن جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله، هو الذي جرؤ ذات يوم في طنجة عام 1947، والمغرب ما يزال يرزح تحت نير الإستعمار الأجنبي على أن يعلن هوية المغرب العربية أمام العالم كلّه متحملا في ذلك كلّ أنواع المضايقات والمعاكسات...

وقد ظل شعار جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله إزاء الجامعة هو نفس الشعار الذي رفعه والده العظيم، ومن ثمت ارتبط إسم جلالته ارتباطاً قوياً بقضايا العروبة ليس ذلك أيضاً لغرض يناله أو أطماع يحققها ولكن لأنه يؤمن إيماناً قوياً بقدسية الرحم الذي يجمع بين أبناء لغة الضاد وبين المتكلمين بلسان القرآن...

وهنا سنجد حضوره في سائر مؤتمرات القمة التي عقدت في المشرق والمغرب وسنجد أنه الوفيّ الأمين بالتزاماته إزاء الجامعة مترفّعاً عن كل الخلافات الجانبية، متجاوزاً كل الإعتبارات الهامشية...

لقد كانت دول المعسكر الغربي والشرقي تتبع عن كثب مدى ما يمكن أن يؤديه المغرب لقضية العرب الأولى : قضية فلسطين، وكان في تلك الدول من يعتقد أن تعهدات بلادنا تعهدات شكلية تدخل في إطار المجاملات أو المساومات، ولشدّ ما دهشوا وهم يرون رؤيا عين جلالة الملك وهو يودّع في نونبر 1973 التجريدات المغربية للدفاع عن الوطن العربي سواء منها التي ترابط بالجولان (من سوريا) أو التي ترابط في سينا وقناة السويس..!.

ولم يكن وجود الجيش المغربي هناك مجرد وجود للفسحة وتغيير المناخ ولكنه كان وجوداً لبذل الدّم والروح من أجل القضية العربية وهكذا عاش التاريخ يذكر أياما له

في العصر الوسيط امتزج فيها دم المغاربة بدم إخوانهم في المشرق دفاعاً عن الأرض العربية...

لم يكن ولن يكون من الصّعب على كلّ أحد أن يقف بنفسه على دور جلالة الملك الحسن الثاني في التعريف بقضية فلسطين والتشهير بظلم إسرائيل، لقد سجل ذلك بكل لسان وفي كلّ مكان، وبشتّى الصيغ ومختلف الأساليب... وهل تنسى أنه، ظلّ طيلة زمنٍ طويل، المتحدث بلسان المجموعة العربية على ظهر البسيطة...

ستظل تضحيات الملك الحسن، وستظل مواقف الملك الحسن ومبادرات الملك الحسن طوقاً في عنق أبناء العروبة أينما كانوا وبخاصة منهم أبناءً فلسطين الذين وجدوا في قلبه الكبير، وفي استعداده الدائم وفي خبرته الواسعة ما جعلهم يؤمنون به فيما يأتي وما يذر... إنهم عرفوه وخبروه وكان في صدر ما عرفوا فيه وخبروا أنه صادق لا يساوم ! وأنه غيور على قضيتهم نزيه في علاجها غير متجر ولا مبتز !!.

وجلالة الملك الذي عُرف على الساحة الدولية بأنه مناضل صلب من أجل إحقاق الحق العربي، معروف أيضاً لدى العالم فيما يتصل بموقفه إزاء القارة الإفريقية التي ينتسب إليها... ومن هناك تتبّع الناس حماسه من أجل مقاومة الإستعمار في كل أجزاء القارة، يبذل في سخاء... ويرحب في قصره بكل المناضلين في سبيل التخلص من حكم الأجنبي، غير هياب في ذلك ولا وجل...

وهل ينسى أحد أن الدار البيضاء هي التي شاهدت أول تجمع إفريقي مهّد لإنشاء منظمة الوحدة الإفريقية قبل عشرين سنة أو تزيد ؟! وفي هذا الصدد فإننا لو حاولنا أن نستوعب جميع ما قيل عن ذلك الموقف لوجدنا أنفسنا أمام رفوف من التقارير والتوصيات والتصريحات والكلمات... تبادلنا الدبلوماسي مع الدول الإفريقية كان دوماً في المستوى... لقد كان المغرب حاضراً مع افريقيا في سرائها وضرائها وعمل دوماً على تعزيز وحدتها وتقوية صفها الأمر الذي أدركته واعتنقت به تلك الدول فغدت تتقاطر على المغرب تعقد لها به مؤتمراتٍ ولقاءات حيث كانت تجد في حكمة الملك الحسن وفي أريحيته وعبقريته ما خلّدته بطون الملفات مما غدا موضوعاتٍ لأطروحاتٍ أكاديمية تتحدث عن القارة الإفريقية.

ومن منا لم يقرأ عن نجدة الجندي المغربي للكونغو في بداية الستينات كتعبير منه صادق عن رغبته في رؤية القارة بعيدة عن القلاقل والإضطرابات ؟ ومن منا لم يقرأ عن مساعدة المغرب بل وإيثاره لعدد من الدول الإفريقية، ليس لهدف آخر غير تقديم العون المطلوب إن ما قدمه جلالة الملك الحسن الثاني من عطاء في سبيل بناء الوحدة الإفريقية الإقتصادية وفي سبيل الإبقاء على إفريقيا إفريقيةً، ومن أجل أن لا تقع إفريقيا في الشَّرَك الذي تريد أن توقعها فيه بعض الجهات المغرضة. إن كل ذلك كان يستحق منا الوقوف عنده مقدرين مكبرين... سيظل الملك الحسن الثاني رجل افريقيا الذي كرّس جهوده من أجل أن يجنّب القارة كوارث الخلافات المصطنعة التي لا يجني منها الأفارقة غير البؤس والشقاء... ولقد أعطى المثل لكل دول العالم على أنه المواطن الإفريقي الذي سعى حقّاً لأمْن إفريقيا وسلامها واستقرارها...

ولقد كان جلالة الملك الحسن الثاني على موعد مع التاريخ عندما ادّخر له المأثرة الخالدة التي تجلت في دعوة العالم الإسلامي كلّه للإجتماع على أرض المغرب وتحت رئاسة المغرب من أجل مدارسة قضيةٍ تعتبر قمة قضايا المسلمين في العصر الحاضر... كانت المناسبة الأولى في التاريخ الدولي التي اجتمع فيها المسلمون على طاولة واحدة (رجب 1389 هـ = شتنبر 1969م)، حيث تم - في الرباط - إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي في أعقاب المحاولة الصهيونية الآثمة لإحراق المسجد الأقصى...

ينبغي أن نعيد إلى الذاكرة تلك الصورة الرائعة لذلك اللقاء الذي شدّ الناس إليه من القارات الخمس، وبالتالي شدّهم إلى الذي جَمَع الناس على كلمة واحدة، وحسِبَ بعض الناس أنه مؤتمر دون غد كما يكون الشأن في مؤتمراتٍ أخرى تعقد في جهات الدنيا ! لكنهم لم يلبثوا أن سمعوا عن ذيوله ومتعلقاته في لاهور وفي الطائف

والدار البيضاء... بل سمعوا - وهذا مهم - عن إجماع المؤتمر على إنشاء لجنة تعمل على تحرير القدس، وعلى إسناد رئاستها إلى جلالة الملك الحسن الذي كان يعرف جيّداً مدى هذه المسئولية فتحرك عمودياً وأفقياً أرضاء لما يمليه عليه ضميره.

وقد وجدناه في حاضرة الفاتيكان يقوم لأول مرة في تاريخ الأديان وفي تاريخ العالم كله، ماضيه وحاضره - وعلى مستوى القمة - بإجراء حوار شجاع متبصر مع قداسة البابا يوحنا بولس الثاني، يوم الأربعاء ثاني أبريل 1980 حول القضية التي تشغل بال كل مسلمي العالم سلامي قضية بيت المقدس طهره الله من الرِّجس !.

لقد تتبع العالم أجمع ذلك اللقاء، واستعرض العالم أجمع قضية القدس، وحتى الذين فاتهم، لسببٍ من الأسباب، أن يهتموا بالحرم الثالث عادوا يبحثون عنه وعن تاريخه، وعاد ذكر عمر بن الخطاب وذكر أيام الموحدين وصلاح الدين..!.

إن ما كتبه الغرب والشرق عن قضية القدس وقضية فلسطين بهذه المناسبة كان يفوق، بثلاثة أضعاف، ما كُتب عنه طيلة القرون الماضية !!.

كان يوماً مشهوداً أن نرى فيه قداسة البابا يخاطب جلالة الملك بهذه العبارات : «إنكم ملك لبلدٍ لا ينكر أحد ماضيه الزاخر بالمفاخر، فشعبكم بين شعوب الشمال الإفريقي هو وارث لتقاليد مجيدةٍ وراسخة في القدم وحامل للواء حضارة طبع إشعاعها - وما يزال يطبع - مجالات الثقافة والفن والعرفان...

إنكم في هذا المقام الناطق بلسان البلاد الإسلامية التي عهدت إليكم بالتعريف بمشاعرها نحو مشكلة القدس، لذلك أصغيت إليكم بانتباه بالغ وأنتم تعبرون عن آرائها...

وهكذا نراه أعزه الله ينصب الجسور بين الديانات لخلق مجتمع إنساني بعيد عن الظلم والسطو والتعنّت.

إن أحاديثه في كل تلك اللقاءات الإسلامية سواء منها المكتوبة أو المرتجلة... كل ذلك كان حصيلة تجارب مُمْعنة في الرأي الحصيف والنظرة البعيدة... وما أذكر أن تدخّلاً من تلك التدخلات لم يرْقَ لدرجةٍ أنْ يصبح وثيقةً تساعد الذين عهد إليهم بمدارسة ورقات العمل ! وما أذكر أن خطبة من خطبة لم يتبعها استجواب مثير أو تعليق مستنير حول قضايا الساعة. لقد كان سيفا مصلتا ضد الاستبداد والجبروت والمروق والإلحاد وضد الكبت والقهر وضد التخلف والتأخر والتدليس والتزييف.

أضف إلى كل تلك المجالات إسهامَه الجاد والمخلص في بناء معالم الطريق للذين ينشدون مسيرتهم الإسلامية في هذا العالم... تتبعنا ذلك أيضا في التوجيهات المتنوعة التي كان يقدمها أمام مختلف اللقاءات التي كانت - وما تزال - تنعقد على أرض المغرب تحت شعارات مختلفة... في الإقتصاد في الإجتماع، في الصحة، في القانون، في السياسة، في اللغة والأدب، في كلّ ذلك، كان شعاره إعزازَ كلمة الإسلام.

ولم تكن حاضرة الفاتيكان بداية ونهاية الإتصالات ولكنها اتبعت بتحركات أخرى وهكذا قام أعزه الله بالواجب التي تطوع به في واشنطن وباريز ولندن وموسكو وبكين...

ومَن منا ينسى أنه كان أول من وضع نقطة نظام أمام المنتظم الدولي حول المعاهدات الجائرة التي يمكن أن تبرم، تحت الضغط، بين أمة وأمة،... إنّ ما سمعه العالم منذ أكتوبر 1983 من جلالته حول الإتفاقية اللبنانية الإسرائيلية ليعتبر بحق من قبيل المبادرات الرائدة التي صارحت المجتمع الدولي بالأخطاء التي يقع فيها والتي تؤدي حتماً إلى الإصطدامات والمواجهات المسلحة...

وعندما جرؤ على الدعوة لنسف تلك المعاهدة لم يكن أحد يتصور آنذاك أنها أصبحت فعلاً على شفا جرف هار...!!.

أما عن مكانة جلالة الملك الحسن الثاني في القارة الأوروبية فيمكن أن نستخلصها من نداوته الصحفية واستجواباته المثيرة وخطاباته ورسائله منذ أن تربع على عرش أسلافه... لقد وجد فيه عباقرة الكلمة الموزونة، وعباقرة القول، بما فيه القول الشاخص والظلي، وجدوا فيه،

مثال المطلع الصائب الذي لا تخونه الحجة ولا يغيب عنه البرهان...

كان له مع فرنسا ومع إسبانيا.. تاريخ حافل هما أدرى بما فيه سواء عندما كان ولياً للعهد إلى جانب والده. أو عندما جلس يفاوضهم في قضايا استكمال السيادة !.

وله مع دول أروبا الغربية بلائحتها الطويلة... ودول أروبا الشرقية كذلك ماضٍ وحاضرٌ مكنها جميعها من التعرف عن كثب على مركز هذا الملك الجليل القدر... ويكفي أن السلك الدبلوماسي في كل تلك الدول يتبارى من أجل الوصول إلى المغرب ليمثل بلاده هنا حيث الإستقرار والإستمرار وحيث المنطق والموضوعية، وحيث احترام الديموقراطية وحقوق الإنسان... أمامي تقارير تداولتْها عنه تلك المقامات فشهدت له بقوة العارضة واعتدال المزاج... وإن ما يتناقله عنه السفراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية لمما يزيد في مداركهم ويقوى من ممارستهم... إنه بالفعل «مدرسة» جمعت بين معارج الشرق ومدارج الغرب... إنه رجل مبادىء... رجل مقاييس ومعايير وليس رجل مخاتلات ومهاترات... إنه القائد الذي نشأ في أحضان قادةٍ تسلسلوا عبر قرون عديدة في التعامل الدولي...

لقد كانت لجلالته مع الدول الأروبية مواقف مشهورة حتى لأصبحت أفكاره وشعاراته معروفة لدى سائر أروبا... وقد سمعنا جميعا عن اهتمامه البالغ بالسوق الأروبية المشتركة منذ أوائل الستينات كما سمعنا عن الصدى العميق الذي تركته زيارة جلالته لمركز السوق سواء بما نثره أمام الأعضاء من آراء واضحة وأفكار صائبة أو بما قدمه لرجال الصحافة الدولية مما كان مثار تعليقات مسهبة...

ولنضف إلى كلّ هذه التدخلات دبلوماسية الصمت التي يختارها أحياناً لمعالجة الأمور... وهي دبلوماسية لا تقلّ دلالة عن الأخرى بالرغم من أنها لا تتضمن جملا معربة ولا حروفا مكتوبة..! إنه ضبت له قواعده التي لا تختلف عن القواعد النحوية التي نستعملها ونحن نصوغ الكلمات..

ولكن هل إن قُربه من أروبا أنساه قارة آسيا والإهتمام بمشاكلها بل والإقتناع بأنها، على بعدها، تمثل عاملاً قوياً من عوامل الإستقرار في أروبا وفي إفريقيا... إن العالَم بالنسبة إليه أضحى مدينة إن لم يكن قرية فما يجري في باندونج والصين وما يسمع عن الهند وكاشمير وما يحتدم في الخليج بين العراق وإيران... كلّ ذلك له رأيه فيه في السابق واللاحق، رأى لا يتسم بالإرتجال والعفوية... ولا تتحكم فيه العاطفة والغرض ولكنه رأى يحترم الحق والعدل ولا يتنكر للتاريخ ولا يجافيه... وكيف لا يهتم الملك الحسن الثاني بتلك القارة الواسعة ولأسلافه الأبعدين والأقربين حديث يروى رددته بلاد الفلبين وجبل سرنديب ومدينة تبريز وقاعدة بغداد...

وماذا عن أصداء جلالة الملك في القارة الأمريكية ؟ ينبغي لك أن تقوم برحلة إلى تلك الديار أيضا لتسمع عن الملك الحكيم (The Vise King).

لقد كان الأمريكيون يشعرون بالمفاجأة فعلا وجلالة الملك يتحدث إليهم عن مساعدة أسلافه للولايات المتحدة في بناء استقلالها.. كما يتحدث إليهم عن السياسة الأطلسية لجده العظيم جلالة محمد الثالث، عندما اعترف بجورج واشنطون رئيسا أول للولايات المتحدة الأمريكية منذ 20 دجنبر 1777 أي قبل المعاهدة الفرنسية الأمريكية المبرمة يوم 6 يبراير 1778 في المجموعة الافريقية والعربية والإسلامية والقارة الأسيوية... بل والقارة الأروبية...

كانت المملكة المغربية سباقة إلى الأخذ بيد الولايات المتحدة... ولو أن الرئيس الأمريكي كرانط أوليس سيمبسن (Grant Ulysses Simpson) أدرك بُعْد المبادرة الجريئة التي قام بها العاهل المغربي محمد الرابع عام 1871 لأصبح المحيط الأطلسي بحيرة سلام تربط المغرب بالعالم الجديد على أساس من التّعاون الصادق والمتين...

إن ما كان يجمع بين المغرب والولايات المتحدة بحاجة ماسة إلى الرعاية والصيانة لأن الوثائق المغربية التي تتصل بحياة تلك الولايات تكون مادة خصبة لتاريخ

أمريكا... ومن ثمت كان على كل الذين كتبوا عن أمريكا أن يستشيروا الأرشيف المغربي الثريّ بأخبار الأمريكان وتطوّر حياتهم إلى أن ركبوا متن الكواكب !!.

علينا أن نقف قليلا مع جواب جلالة الملك الحسن الثاني على خطاب الرئيس كيندي في أواخر مارس 1963 فهو إلى جانب أنه وثيقة تاريخية رائعة بالنسبة لماضي أمريكا والمغرب، إلى جانب ذلك فإنه أي الجواب وضع الشعب الأمريكي في الصورة الحقيقية التي ينبغي له أن يتوفر عليها فيما يمس علاقته بالمملكة المغربية : فمنذ أزيد من عشرين سنة سمعت أمريكا عن المبدأ المغربي الذي التزم به جلالة المغفور له الملك محمد الخامس فيما يتعلق بعدم التبعية، وهو المبدأ الذي كان ينادي به الرئيس جورج واشنطون والرئيس طوماس جيفرسون... ومنذ أزيد من عشرين سنة عبر جلالة الملك عن تعلق المغرب بسيادته الوطنية ووحدته الترابية كشعار حيّ دائم يتمسك به الشعب المغربي إلى آخر رمق من حياته !.

وقد عرف الأمريكان أننا لسنا أيتام تاريخ، وأننا مستعدون للمساهمة في بناء المستقبل على أساس من احترامٍ لمعطيات ذلك التاريخ... وتلك أيضا كانت أصداء المغرب في أمريكا الشمالية : كانادا وفي أمريكا الجنوبية بما تحتضنه من جمهورياتٍ ربطَتنا بها أيضا تاريخ قديم تنطق به رفوف المستندات كما تنطق به مختلف التقاليد والعادات التي انتقلت إلى تلك الديار عبر إسبانيا والبرتغال !!.

في كل تلك الأرجاء ـ على بعدها ـ ذكر عطر لجلالة الملك الحسن الثاني يتجلى على لسان الرؤساء الذين يتعاقبون على الحكم، هناك، ذكر عطر يتجلى في الثقة الكبرى والتقدير الجم الذي يكنه أولئك الذين عرفوا جلالته عن كثب وما تنفك مجالسنا تردد ما يتناهى إليها من أجهزة الإعلام الدولية مما يجري على ألسنة الرؤساء والقادة.

أما عن أبهاء الأمم المتحدة بما فيها المنظمات الثقافية فقد عرفته وهو ما يزال في عنفوان الشباب أيام كان وليّاً للعهد إلى جانب والده... ومنذ ذلك الوقت عَرفتُ فيه العنصر النافع الذي ينتظره المنتظم الدولي... إن الرجل بما مرّ به من تجربة عملية في النضال الوطني، وبما تجشّمه من محن في سبيل تحرير بلاده كان أصدق من يدافع عن تحرير الشعوب التي ما تزال تعيش تحت الهيمنة الأجنبية... وكان أصدق من يقف إلى جانب الذين شوّه الإستعمار من معالمهم الجغرافية أو مسخ ملامحهم، وكان أصدق من يدعو لنزع السلاح... والثورة على الميز العنصري في العالم.

☆ ☆ ☆

ولا بد أن نتعرض مساعيه الدبلوماسية ونضاله السياسي من أجل استكمال وحدتنا الترابية :

سوف لا أتحدث هنا عن الطريقة الحكيمة التي اتبعها سواء عندما استرجع ـ من اسبانيا ـ ايفني أو طرفاية.. ولا عن المخطط الذي أعلنه من الآن لعودة سبتة ومليلية أيضا..!.

ولكني أقف قليلاً مع الحدث الذي هز العالم كله وشدّ الصحفيين والمعلقين إليه ردحاً من الزمان... إنه حديث استرجاع الصحراء التي كان الإستعمار الإسباني سطا عليها أواخر القرن الماضي... لقد طلب المغرب من الجمعية العامة للأمم المتحدة غداة الإستقلال استشارة محكمة العدل الدولية حول ماذا كانت الصحراء أرضاً خلاء أو مرتبطة بالمغرب...

ولم تلبث محكمة لاهاي أن أصدرت رأيها الإستشاري الذي يؤكد وجود روابط البَيْعة بين سكان الصحراء وملوك المغرب... الأمر الذي أعقبه الإعلان سنة 1975 عن «المسيرة الخضراء» من أجل استرجاع الصحراء المغربية...

لقد قُدّر لي أن أكون في هذه الأثناء خارج البلاد وكنت أعيش مع ما تقوله الإذاعات الأجنبية كل يوم وما تعرضه التلفزة الأروبية كل مساء من مشاهد.

لقد كانت أفهام الناس تضيق فعلاً أمام حجم الحدث ! فكان بعضهم يحكم مسبقا عليه ! وكان بعضهم يسخر منه، وكان البعض الآخر يتساءل عن مدى جدّية تسليح أصحاب «المسيرة» بالمصحف الكريم !! خطة غريبة

على العالم الآخر... ولكنهم لم يلبثوا أن سمعوا عن نجاح ملسل المسيرة وعن جلوس الأطراف المعنيــة إلى التفاوض ! وهكذا فمن المطالبة المباشرة بإعادة ما اغتصبته اسبانيا إلى رفع القضية أمام الأمم المتحدة... إلى صدور رأي محكمة لاهاي 16 أكتوبر 1975 إلى التحرك الإجماعي إلى الجلوس على مائدة المفاوضات مع إسبانيا والوصول إلى اتفاقية مدريد في نونبر 1975... إلى زيارة جلالته التاريخية للداخلة يوم سادس مارس 1980 !... إلى استجابة جلالته إلى توصيات قمة نيروبي 1981 بتنظيم استفتاء في الصحراء... حفاظاً على مستقبل منظمة الوحدة الإفريقية...

لقد اقتحمت كلمة «المسيرة الخضراء» كلّ موسوعات الدنيا، وغدت في عداد المصطلحات السياسية التي لا غنى عن ذكرها من لدن المهتمين بتصفية قضايا الإستعمار بالوسائل الدبلوماسية...

لقد كانت المسيرة، بما احتفّ بها من قبل أو بعد، قمةً شامخة متعالية في باب التعامل الدولي، ومن ثمت فإنها حركت من غيرة أقزام الحكم والسياسة فانقلبوا يحاولون صرف الأنظار عنها عندما كانت هممهم تقصر دون الوصول إلى إدراك كنهها وتخطيطها وجني ثمراتها...

لقد لذّ لي أن أقوم بمقارنات ومفارقات بين صراع جلالة الحسن الأول وصراع الحسن الثاني من أجل طرد الأجنبيّ عن الصحراء المغربيــة... عشت مع أكوام من الوثائق سواء عندما كنت أستمع في لاهاي لما يقال أو عندما كنت بين رفوف الأرشيفات الأروبية والأمريكية أتتبع الإحتجاجات المغربية الصارخة ضد التسرب الإسباني والفرنسي في الصحراء المغربية أثناء القرن الماضي... عندما كان جلالة الملك الحسن الأول يقف بالأمس أمام واجهةٍ واحدة أو واجهتين على الأكثر، وعندما أرى جلالة الملك الحسن الثاني يقف اليوم أمام عدد من الواجهات، ليس فيها أولئك الذين يجاوروننا فحسب، ولكن فيها من ينتسب حتى لقارة غير قارتنا ! وليس فيها الذين كانوا يعادوننا في الدّين فحسب ولكن فيها الذين ينتسبون لديننا وقبيلنا... وليس في تلك الواجهات الذين كنّا معهم على حالةٍ أشبه ما تكون بحالة الحرب، ولكن فيها الذين كنا نؤثرهم بالمساعدة والمساندة حتى يلتحقوا بركب الأمم ذات السيادة..!!.

وظلم ذوي القربى أشــدّ مضــاضـةً
على المرء من وقـع الحســام المهنّــد !

ومع كلّ ذلك كان لجلالة الملك الحسن الثاني سلاحه الخاص به إزاء كل تلك القُوَى، ومع ذلك فقد مكنه الله من أن يسكت كل الألسنة ويحبط كل المناورات ويقف في وجه كل ضروب العدوان !.

إن القضية بالنسبة إليه ليست مبدأ قومياً فقط ولكنها مبدأ نابع من إيمانه بالله وشعوره بعبء الرسالة التاريخية التي حملها المغرب منذ عهد الأدارسة، عندما التزم بأن يكون الرابط بين الإسلام وبين شعوب إفريقيا الغربية، وهكذا فإن استكمال الوحدة الترابية لا يعني في نظر جلالة الملك مجرد تصحيح لأوضاع جائرة، ولكن يعني قطع الطريق على موجات المادية والإلحاد وبالتالي خدمة قضية الإسلام والسلام في السودان الغربي على نحو ما قام أسلافه من ذي قبل...

☆ ☆ ☆

وما يزال جميعنا يستعرض ذلك المشهد الحافل الذي جمع مائة وخمسين دولة في خريف العام الماضي (27 أكتوبر 1983) كانوا على موعد ليستمعوا إلى جلالة الملك الحسن الثاني لا بصفته فقط ملكٍ للمغرب يتحدث عن ملف بلادنا، ولكن كذلك - وهذا مهم - يتحدث عن ملف الشرق الأوسط وباسم جميع العرب في الدنيا وباسم اللجنة السباعية التي أقرها قمة فاس عام 1982.

قليل جداً عدد الرجال والقادة الذين يمكنهم في هذا العالم أن يحصلوا على الثقة الجماعية لبلادهم وبالحرى عن منطقتهم، وأصعب من هذا وأمنع أن يتحدث المرء عن عالمٍ

كلّه بما يحتويه من ملل ونحل، عالم يمتد من الخليج إلى المحيط، هو العالم العربي... وإلى عهد قريب شاهد العالم كله جلالة الملك الحسن يضيف إلى كل تلك المأثرة مأثرة أخرى، تلك رئاسة للقمة الإسلامية للمرة الثانية وهكذا نعته العالم من جديد بأنه قطب العالم الإسلامي وقطب العالم العربي، وهكذا فكما رأيناه بالأمس يتحدث باسم العروبة يعود ليتكلّم باسم مليار مسلم من أقصى آسيا إلى تخوم افريقيا على اختلاف ألسنتهم وإلوائهم ومذاهبهم... وكلا العالمين العربي والإسلامي يوجد اليوم على رأس اهتمامات كلّ الدول الغربية والشرقية... ومن ثمت رأينا أن جلالته، حفظه الله، في أوج الدبلوماسية العالمية... ومن ثمت أيضا ندرك جيّداً وزن الرجل وقيمته على المستوى الدولي، وندرك من جهة أخرى مدى ما يمكن أن يثيره هذا المركز المرموق من ردود فعل لدى الذين يناوئون قضايا العروبة والإسلام، ويعادون قضايا العدالة والحرية... تلك الردود التي لا تجد لها من مفعول غير تصميم جلالته على تجاوزها وتخطيها إلى الأمام بشجاعته النادرة ومعنويته العالية التي نشأت معه يافعاً وصحبته شاباً وهي تلازمه اليوم وتمتزج معه وتتخلل أنفاسه على نحو ما يصحبه الإيمان بالله والثقة في الله والاعتماد على الله.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• إن الطريق إلى مركز الصدارة بين الأمم مفتوح في وجه الأمة الإسلامية لا يحول بينها وبينه حائل، لكن يلزم لضمان ذلك أن لا تقتصر عنايتها على الجانب المادي وحده، وعليها أن توجه حظا كافيا من اهتمامها إلى الحفاظ على تلاحم الأسرة المسلمة ••



المسيرة

للدكتور محمد الكتاني
عميد كلية الآداب بتطوان

- 1 -

أصدق ما يقال عن ربع القرن الذي مضى على اعتلاء صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني عرش أسلافه المنعمين أنه كان حقبة من تاريخ المغرب مليئة بالمنجزات، مطبوعة بالتقدم والسير نحو الأهداف المرسومة لها بعزيمة وتصميم ووضوح.

وهذه الطوابع الأساسية هي مقومات كل مسيرة تاريخية، لأن المسيرة لا تعني أكثر من الحركة الهادفة والسعي الدؤوب بعد الاقلاع والمضي في الخط المستقيم.

ومفهوم المسيرة مفهوم مستحدث في تاريخ الفكر السياسي المعاصر، ويبدو أن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني هو أول من أحدث هذا المفهوم أو بعثه عند إعلانه عن المسيرة الخضراء لاسترجاع الصحراء المغربية سنة 1975. فمنذ هذا التاريخ شاهد العالم كله المسيرة المغربية السلمية في نظامها وروحها وتصميمها، فأيقن أنها كانت أسلوبا ومنهجا جديدا للتحرير واسترجاع الوحدة الترابية والحقوق المغتصبة، فأدخل هذا المفهوم إلى معجمه السياسي، ثم كشف التاريخ خلال العشر سنوات اللاحقة نجاعة هذا المنهج وجدواه بغير خلاف بين المعنيين بالسياسة في العالم من أدناه إلى أقصاه، ولكن الذي لا ينبغي أن يغيب عن الأذهان فيما يتصل (بالمسيرة) أنها ليست بالأمر الهين أو المتاح الذي يتعاطاه كل من أراده، ولو كان غير موفور الرصيد من مقومات النجاح فيه، فالمغرب حين قام بهذه المسيرة بتخطيط وتنظيم واعداد من جلالة الملك الحسن الثاني كان له أكثر من عامل للنجاح، وذلك بفضل ميراثه الحضاري ونظامه السياسي العريق والتفاف شعبه حول قائده (أمير المؤمنين)، وصدق هذا القائد في عزائمه وتفانيه في خدمة أمته ميراثا تاريخيا تلقاه عن أسلافه، كل ذلك كان رصيدا موفورا لنجاح المسيرة، فضلا عن حق المغرب المشروع في تحقيق الوحدة، وربط الحاضر بالماضي والالتزام بالبيعة التي تطوق عنق كل مغربي في الشمال والجنوب تجاه العرش والسيادة الوطنية.

كانت المسيرة الخضراء من إبداع جلالة الحسن الثاني بلا مراء، برغم ما قد يقال عن نظائرها في التاريخ القديم أو التاريخ الحديث، لأن النظام الذي تقيدت به والروح التي وجهتها، والإطار القانوني أو الشرعي الذي هيأ لها، كل ذلك جعل منها نمطا متميزا بين المسيرات.

لكن ليس من غرضنا الآن أن نقف على هذا الحدث الوطني بتفصيل، لأنه يكاد لا يحتاج إلى هذه الإعادة أو التذكير بالنسبة لهذا الجيل الذي أنجز المسيرة بنفسه على الأقل، وإنما الغرض من هذه المقالة بالذات وبهذه المناسبة هو التذكير بأن الأمر لا يتعلق بمسيرة تمت سنة 1975 لاسترجاع وحدة التراب الوطني أو لإثبات هذه الوحدة، وإنما للتذكير بأن المغرب منذ دخل مرحلة المطالبة بالاستقلال بقيادة جلالة المغفور له محمد الخامس رحمه الله، وجهاد أبنائه البررة إلى مرحلة البناء بعد الاستقلال بقيادة جلالة الحسن الثاني أمد الله في عمره، وإلى اليوم يكاد يكون من المنظور الشامل للحركة التاريخية التي

يعيشها، يعيش مسيرة لا تقل حماسا وروعة وانتظاما وراء جلالة القائد الهمام عن المسيرة الخضراء، وهكذا كانت هذه المسيرة بمثابة النموذج المصغر الذي أتاحه لنا التاريخ الوطني المعاصر لنرى من خلاله الصورة الكبرى للمرحلة التي نحياها.

فالمسيرة الخضراء تدلنا بنجاحها وبتحقيق أهدافها على استعداد شعبنا لها برصيده المفور كما قلنا بفضل تاريخه الوطني، والتفافه وراء قائد مسيرته. ومعنى ذلك أن المسيرة لم تكن طفرة في نسق القيادة الحسنية ولا كانت حدثا خارجا عن منطق التاريخ الوطني إلا من حيث الشكل والتنظيم، لأن مبدع المسيرة كان يتحرك دوما بروح هذه المسيرة، روح التحدي والتصميم، وكان شعبنا معبأ في حركة بناءة تعرف مراحلها وأهدافها بقيادة عاهله العظيم، فالحركة الهادفة والتصميم على الإنجاز والتخطيط الشامل مقومات جاهزة. وإذن فقد كنا نحيا في مسيرة تاريخية للوحدة والتنمية والبناء منذ بداية الاستقلال، وإنما جاء حدث المسيرة ليبرز فصلا من فصول هذا التاريخ المغربي في نموذج متميز، ليختبر إيمان شعب بقضيته وحصافة القيادة في التدبير والتخطيط، وكان النصر حليف الشعب المؤمن وحليف القائد المحنك.

وبرغم كوننا ممن شهدوا هذا التاريخ وعاشوه والتحموا بأحداثه، بحيث لا نحتاج إلى إقناع أنفسنا بأننا عشنا حقا هذه المسيرة الهادفة، ولا نحتاج إلى أن ندل على هذه المسيرة بغير مراجعة حياتنا الشخصية المحدودة، لندرك مكاسبنا وحظوظنا منها وإسهامنا فيها، برغم هذا كله نستحسن أن نستعرض في هذه المناسبة مناسبة الذكرى المجيدة لتربع جلالة الملك على عرش أسلافه المنعمين أمام أنظارنا أو أمام أنظار الجيل الصاعد الذي تغيب عنه أجزاء وأجزاء من هذه الملحمة التي صنعها آباؤه ليدرك أنه نشأ في عصر المسيرة، وأنه مسؤول أن ينصهر فيها، ويتمم مشروعها ويتناسق مع تاريخها، وأن عليه قبل ذلك أن يدرك رصيدها التاريخي من جهاد آبائه ونضالهم المستميت.

- 2 -

خرج المغرب الحديث من مرحلة الحجر والحماية، أو من مرحلة الاستعمار والتبعية بفضل كفاح شعبه بقيادة المغفور له محمد الخامس رحمه الله، وكان رصيد النصر في هذه المعركة موفورا بفضل التحام العرش بالشعب حول القائد، وكانت مرحلة من النضال حافلة بالجهاد والتضحيات والعطاء من رجال «صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا».

وكان المغرب في مرحلة الاستعمار يتحرك، لأنه كان يناضل ويجاهد وكان قادته السياسيون وزعماؤه ومنظماته يمثلون هذه الحركة النضالية المندفعة، ويرسمون خطوطها المنحرفة والملتوية حينا والمستقيمة الممتدة حينا آخر، إلا أن هذه الحركة كانت أشبه بحركة عمودية متجهة من الأسفل إلى الأعلى، لأنها حركة الانتشال من الحضيض والصعود نحو الأفق، فالمغرب كان يسعى بكل فئاته للخروج من السرداب المظلم الذي هو الاستعمار، وكان لا يستطيع أن يتحرك فيه إلا في حدود ما فرضه المستعمر علينا يومئذ، إذ لم تكن نستطيع داخل هذا السرداب أن نتجه في غير خنادقه ولا أن نتبين غير مدى أقدامنا فيه، ولكن إرادة الشعوب من إرادة الله. إذ كانت الانتفاضة المغربية بمثابة تكسير للقيود، وتحطيم للسدود، وتفجير للسرداب المظلم، والخروج منه إلى الفضاء الواسع حيث الحركة الحرة والاتجاه الهادف. فالحركة الوطنية في مرحلة المقاومة والتحرير يصدق عليها هذا الوصف، وهو أنها كانت حركة تنتقل فيها من الحضيض إلى الأفق الرحب، ومن الحركة المثقلة بالقيود إلى الحركة الطليقة. وما ان تحقق الاستقلال وبدأت حركة التخلص من آثاره ورواسبه الاقتصادية والسياسية حتى نشأت في مجتمعنا حركة جديدة، هي حركة التوجه والاقلاع نحو بناء المغرب الجديد، وهي الحركة التي يقودها اليوم جلالة الملك الحسن الثاني، وهي تختلف عن الأولى بكونها حركة جهاد النفس وتحدي المعوقات والصعوبات الذاتية للنمو والتطور، وهي بعد حركة شاملة تتجه حسب دواعي البناء والتنمية

والتقدم، لا تعرف قيودا ولا حدودا تقف عندها، وهي الحركة التي نطلق عليها (المسيرة) الشاملة، لأن المسيرة تعني أولا وجود الأهداف وتعني ثانيا التصميم على السعي نحوها.

ولا تعوزنا للتدليل على صدق هذه الصورة عشرات الدلائل والشهادات بل والمنجزات الهائلة، بحيث لا يحتاج المتأمل والمراجع لغير التركيب لاشتات المعطيات، ووضعها بالموضع الذي يكون معه لنفسه الرؤية الشمولية التي تريه أننا بكل تفاصيل الحياة العامة التي نؤلفها كنا نسير من مرحلة إلى مرحلة، وكأننا نرقى في سلم صاعد أو نقطع أشواطا في إكمال مشروع عظيم.

وتحليل هذه الصورة أو تركيبها لا يحتاج لغير إبراز العناصر الآتية :

1) الأهداف المرسومة في أفق سيرة التاريخ المغربي الحديث.

2) الروح العامة الموجهة للحركة في هذه المسيرة.

3) السعي الدؤوب في سبيل تحقيق المنجزات المتلاحقة في طريقها.

○ أما الأهداف فتتلخص في تحقيق السيادة والوحدة، والديمقراطية والتقدم. ولا حاجة بنا إلى تأكيد كون الوجدان المغربي ينبض بهذه المبادئ ويتعلق بها، ويسعى في كل لحظة في حياته نحو تكريس سيادة الأمة ووحدة الوطن وديمقراطية التسيير وتقدم الحياة في الخط الذي يعني النمو والازدهار، وهو التطور واستكمال السيطرة على الطبيعة والتحكم في تحسين ظروف الحياة المادية والمعنوية.

○ أما الروح العامة الموجهة للحركة ومنهجية هذه الحركة فتتجلى في قيادة الحسن الثاني الرشيدة أكمل تجل وأوفاه.

هذه القيادة هي مجلي عبقرية الحسن الثاني، ولها عدة مقومات تكون منهج الرؤية والتخطيط، ويمكن جمعها في المقومات التالية :

- الارتكاز على المنطق والعقلانية.

- النزعة الديمقراطية والإيمان بأن الحرية فوق كل قيمة أخرى للإنسان.

- الإيمان بالقانون باعتباره الأداة الأولى لقيام حياة اجتماعية.

- النظرة الواقعية التي تنفذ إلى الصميم، ولا تخدعها الطلاءات الزاهية والاغراءات الخادعة.

- الإحساس الفطري بكل خوالج الشخصية المغربية ومعاييرها في التعامل مع الواقع والأحداث.

ولهذه المميزات شواهد من الأقوال والأفعال لا يتسع لها هذا المقال الموجز.

لذلك نكتفي بالالماع إلى بعض الأقوال والإنجازات على أن نترك الاستقصاء والتحليل لمناسبة أخرى.

□ أما التعامل مع المنطق والعقلانية. ففي خطاب لجلالة الملك (1983/5/21) بالقصر الملكي بفاس. **يقول جلالته : «حاولت أن أكون دائما منطقيا مع نفسي، فمن يعطي شيئا لا يمكن أن يعطي بيد ويأخذ بيد، القانون والمنطق لا يسمحان بهذا التناقض».** وفي إطار هذا المنطق والعقلانية يمكن وضع حرص جلالة الملك على وضع الدستور كقاعدة للعمل السياسي في المغرب، وكإطار مشترك لمساهمة الجميع في بناء المغرب الجديد.

□ أما الإيمان بالديمقراطية والارتكاز عليها، فيمكن القول بأن هذا الإيمان هو من مزايا القيادة الحسنية أيضا، فجلالة الملك يؤمن بعمل الفرد وبما يمكن أن تتفتق عنه عبقريته إذا وجد المناخ المناسب للعمل، ومن ثم إيمانه بقدرة النخبة على تسيير شؤون البلاد، وهو يميز هذه النخبة عن نخبة الحزب الوحيد أو نخبة السلطة المتسلطة. يقول جلالته في خطاب (1981/4/16 بمدينة الرشيدية).

«الديمقراطية هي القوة الفكرية الخلاقة المحترمة التي تقبل وتضمن التساكن في الاحترام وفي النظام. وما عدا هذا فليس سوى ديماغوجية».

ويأتي الدستور المغربي ليضع كل هذه المبادئ وغيرها في صياغتها الملائمة لجعل الحياة السياسية

والاجتماعية مسيرة من النظام والانتظام والعطاء والمساهمة وتقاسم الحقوق والواجبات. وهكذا ينص الدستور على «أن نظام المغرب هو الملكية الدستورية الديمقراطية الاجتماعية، والسيادة فيه للأمة تمارسها مباشرة بالاستفتاء وبصفة غير مباشرة بواسطة المؤسسات الدستورية، والأحزاب السياسية والمنظمات النقابية والمجالس الجماعية والغرف المهنية كلها يساهم في تنظيم المواطنين وتمثيلهم، والقانون في هذا النظام هو أسمى تعبير عن إرادة الأمة، وجميع المغاربة أمام القانون سواء». (فقرات من الدستور المغربي (المبادئ الأساسية).

إن الدستور بما يشتمل عليه من فصول ومبادئ نظام شامل للحياة السياسية وأداة تمكن المغاربة من العمل والبناء وممارسة أي نشاط في إطار احترام القانون.

إن الحرية لا يمكن أن تكون مطلقة، وإذا كان لها أن تقيد بشيء فإن ذلك القيد يجب أن يكون هو القانون، وبذلك لا تتعارض حرية الفرد وحرية الجماعة، ولا تتناقض مصلحة الفرد ومصلحة الأمة. فالقانون إذن أو سيادة القانون هي جوهر الديمقراطية الحق. وقد كان جلالة الملك مؤمنا دائما بهذه الديمقراطية التي يتعايش فيها القانون مع الحرية وتسودها روح الجماعة. يقول جلالته في خطاب 22 ماي 1977 «**إن نحن تعلمنا أن نخضع لرأي الجماعة ونسير على هديها ونركب سلوكها وطريقها كان مستقبلنا ومستقبل أبنائنا في مأمن من الشعب وفي مأمن من المغامرات**».

□ أما الواقعية والتعامل مع الحقائق والوقائع فعناصر لا تخفى عمن يتتبع المسيرة الحسنية في تخطيطها وتوجيهاتها، ومن دلائلها أنها تعتمد بعد النظر والتأني والعمل بما تفرضه التجارب، وتحسب الحساب لكل المعطيات والتوقعات، وتتوخى الثمرات التي تأتي بطول الانتظار على أن تكون ثمرات دائمة، على الثمرات الهشة التي تغري بالقطف السريع ولا تغني على المدى الطويل، ومن دلائل ذلك أن جلالة الملك لا ينبهر بـ (الموضات) السياسية التي يتهافت عليها الكثيرون، ولا بالشعارات المغرية أو الخادعة. ذلك أنه يؤثر عليها جميعا أن يقود المغرب على أرض ثابتة ومن غير تغيير يمس جوهر الحياة المغربية في الحرية والكرامة والعقيدة والديمقراطية، ولو كان هذا المنهج لا يعطي ثماره إلا بعد جهود طويلة لأن هذا المنهج أضمن لنتائجه مما عداه. يقول جلالته في كتاب التحدي : «**وفي بعض الأحيان يكون من الأمور الخطرة العمل وفق عقائد الذوق السائد. عقائد تكون أكثر أو أقل ديماغوجية وقبولا للنزاع بشأنها. ويكون الذين يوصون بالسير على نهجها هم أنفسهم لا يفقهون دوما نتاجها وما ينشأ منها. ذلك أنها أرض متحركة تحت القدمين، يمكن أن تنشق وتبتلع ما فوقها**».

لقد كان جلالته يعني بهذه الكلمات الوجيزة أشياء كثيرة عاشها في أخريات الخمسينات حينما كان المغرب ما يزال في نشوة الاستقلال، وكانت بعض قواه السياسية يومئذ أكثر انبهارا بالشكل الذي تسير فيه بعض الدول الاشتراكية من نظام الحزب الوحيد، واتخاذ الاشتراكية منهجا واعتبار الحرية الفردية ترفا زائدا أو خطرا يهدد الوحدة والفعالية، **فكان إيمانه بالحرية وبالديمقراطية وبضرورة الوفاء للشمائل المغربية في الحرية والكرامة هو العاصم لنا من هذا الانسياق نحو المصائر التي انتهت إليها بعض** تلك البلاد الإفريقية والأسيوية اليوم.

□ ومن مكملات المنهجية الحسنية في القيادة التي هي روح حركة المسيرة المغربية الإيمان بالتخطيط وعقلنة التدابير، وطبع التخطيط بروح المرونة والخصوصية الجهوية.

ومن أراد أن يطلع على جانب من هذا التفكير العملي الدقيق في التعامل مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي للمغرب فعليه أن يتتبع توجيهات جلالته في خطبه بالمناسبات، وفي كتابه (التحدي) ما يدل دلالة قاطعة على أنه كان يصدر في آرائه عن التجربة الشخصية، ويغمس قلمه النافذ الكلمات في مداد الحقائق اليومية.

وهكذا سارت سياسة التخطيط القائمة على موازنة الإمكانات بالتطلعات وتقدير الأولويات، فمنذ عشرين عاما كانت مسيرتنا تنتقل من تخطيط إلى تخطيط، مستخلصة من كل تخطيط ما يمكن استخلاصه من الدروس والعبر والنتائج الإيجابية والسلبية، من غير أن يعني هذا التخطيط أو ذاك في شيء أن كل شيء كان يجرى وفق ما يرام، فذلك أمر يتجاوز طاقة أي أمة أو دولة معاصرة، إنما كان يعني أننا كنا نسير نحو الأهداف بأقل ما يمكن من السلبيات والأخطاء، وبرغم الظروف الدولية الصعبة، وبرغم التكاليف الباهضة لهذا العامل أو ذاك كانت مسيرة المغرب تشق طريقها نحو التنمية الاجتماعية المتواصلة.

تستطيع أن تتبين من خلال هذا العرض الموجز أن المغرب يحيي مسيرة شاملة منذ خمس وعشرين سنة، وأن روح المسيرة الخضراء القائمة على الوحدة والأصالة والسيادة والتنمية هي روح سارية تطبع العهد الحسني بطوابعها الدامغة، وأبرز ما في هذه المسيرة الشاملة أنها مسيرة بناء مغرب ديمقراطي. وقد عبر جلالة الملك عن هذه المسيرة الشاملة في خطاب (31 أكتوبر 1977) عندما استقبل جلالته مكتب مجلس النواب فقال : «**إن الانطلاقة الديمقراطية المغربية غير مستعارة ولا مجلوبة من الخارج، إنها تجربة مغربية أصيلة. وهي التي تشكل مسيرتنا الثانية. إلا أنها مسيرة طويلة بدون انقطاع وبدون رجوع**».

فما علينا نحن المغاربة إلا أن نعي حق الوعي هذه المسيرة وأن نكون بارين بقسمنا الذي أقسمناه جميعا، أي أقسمنا كما يقول جلالة الملك أيضا في خطاب (28 غشت 1978) «**أن نعمل صباح مساء على تخطيط السياسة، محلية كانت أو جهوية أو وطنية، أخذنا على عاتقنا أن نساهم كل في دائرته وفي ضوء الدستور في بناء المغرب الجديد**».

فإذا كنا نؤمن بهذا القسم ونعمل بفحواه فإننا سنكون حقا جيل بناء، وسنجعل مغربنا مغرب مسيرة لا تتوقف، وإنها لمسيرة حقا ليس لها حدود إلا التاريخ الممتد ما شاء الله أن يمتد.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

• لنا اليقين بأن اجتماع كلمة الأمة والتئام شملها وارتصاص صفوفها فيما يتصل بصحرائنا المستعادة كل هذا سيبقى على تعاقب الأزمان من أقوى عوامل صيانتها وتألق طلعتها وازدهار أكنافها •



للدكتور إدريس العبدلاوي
عميد كلية الحقوق بمراكش

- يقول جلالة الملك محمد الخامس رضي الله عنه في وصية أبوية خالدة وجهها لابنه البار جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله :

«...فكن يا ولدي خير خلف لخير سلف، وليكن عملك لوطنك ومحافظتك على استقلاله ووحدته أمرا يقتضيه منك شرف المسؤولية، وتفرضه عليك تقاليد الأسرة في آن واحد».

ويقول جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأبقاه :

«إن الإسلام دين ترتكز فيه الحياة كلها على مبدأ المسؤولية، وهي في مفهومه فردية وجماعية فما من أحد منا إلا وهو يتحمل حظا منها يضيق أو يتسع بقدر ما يوضع بين يديه، ويتصرف فيه، من مرافق خاصة أو عامة، وأن مراقبة الله والشعور بالمسؤولية أمام خلقه لحافز كبير على أداء الحقوق والأمانات إلى أهلها».

من وحي هذه المعاني السامية التي تنطق بإيمان راسخ عميق قويم يوضحه قول سديد يستمد سداده من نبع الإسلام الصافي ويسنده عمل متواصل دؤوب، لا على هذه الأرض الطيبة التي أكرمها الله بوجوده، بل على سائر المواطن التي يوجد بها الإسلام.

- تتبلور تلك الشخصية العظيمة المتكاملة التي وهبها الله كل مزايا الفضل والنبل، وحباها بجايا التوفيق والرشد وعلمها بإحسان منه وتوفيق حسن القيادة والريادة، وخصها بغزارة العلم، وقوة الإدراك، وبعد النظر وحدة الفطنة وسعة الأفق، وصفاء الملكة، وسداد التوجيه. ومتعها بكل الصفات الحميدة والخصال النبيلة، ما جعلها مؤهلة مقتدرة لتحمل أعباء المسؤولية، بكامل القوة والصبر وأداء الأمانة بصدق وإخلاص. هذه الشخصية العظيمة الفذة التي بهرت العيون، وأدهشت الأنظار، وملأت القلوب هيبة وروعة. هي شخصية جلالة الملك العظيم الحسن الثاني القائد الحكيم، الذي خبرته الأمة فدلت التجربة على أنه ربان ماهر، وملك ملهم، وخليفة مؤمن وحاكم عادل. رجل من آل بيت رسول الله ﷺ مستمسك بسنته ومعتصم بحبل الله رسالته، سائر على نهجه ورشده. أجمعت الأمة على حبه وتقديره والطاعة له والانقياد لرأيه، لأنه مصدر سعادتها، وباعث نهضتها وسر رقيها وهنائها، وهو في تفكير دائم في شؤونها ليحقق لها العزة والقوة، ولتسير على نظام اجتماعي يستند إلى دينها وتقاليدها.

ولقد اختار الله لهذا الوطن المغربي العزيز مكانا فريدا من نوعه، لا من حيث موقعه الجغرافي، ولا من حيث طبيعته الفتانة الجميلة، ولا من حيث أرضه الطيبة المعطاء التي تعتبر مصدر ثروة هائلة ومورد رزق عظيم؛ كما اختار له ملكا عظيما طبقت شهرته الآفاق وأصبح عالميا من عظماء هذا العصر لما يمتاز به من حكمة وحنكة ودراية واهتمام بوطنه وأمته، وبمشاكل الأمة العربية والإسلامية بل وبمشاكل العالم أجمع. كيف لا وجلالته دام له العز والتمكين كان وزيرا لوالده الكريم وشريكا له في جهاده. «فقد نشأ نشأة طيبة مباركة، وكان قرة عين لوالده، وكان محل عنايته وحسن تربيته وتنشئته، وكان يؤهله

لحمل أعباء الخلافة بعده، ويتوسم فيه أن يكون خير خلف. وقد استجاب الله دعاءه وبلغه مناه، فأدرك جلالة الحسن الثاني من العلوم والأعمال الجليلة، وحسن السياسة، والتغلغل في المشاكل وصدق العزم وقوة الإرادة، وهو لا يزال في طور الشباب أطال الله بقاءه، وأدام عزه وارتقاءه، ما أبهر العقول وقرت به عيون الأصدقاء، وشرق به الأعداء» وكل ذي نعمة محسود كما يقال.

- وكان المثل الأعلى لما يتوسم فيه والده طيب الله ثراه مثالا حيا لتلك الوصية الأبوية التاريخية الخالدة، وما تضمنته من مواعظ وتوجيهات تفيض بالروحانيات وبحب الوطن أستعرض فقرات منها تقول : «...فاحرص يا ولدي على تتميم رسالة أسلافك والمحافظة على الأمانة التي من أجلها دعوا إلى الملك، وتبوأوا أريكة السلطان، وكن من الشعب وإلى الشعب يسعك ما يسعه، ويضيق عنك ما يضيق عنه. ولا تضن عليه بمجهود، وآثره على قرابتك الوشيجة، وبطانتك المقربة...» إنها بالفعل وصية للذكرى وللتاريخ من ملك صالح إلى صالح. وهكذا فإن تمسك جلالة الملك بوصايا والده وسيره على أثر أجداده، وتشبثه بالمبادىء السامية، والمثل العليا، والقيم الأخلاقية الوطنية والروحية، جعل منه وهو القائد الملهم أروع تجسيد لحياة المغرب الجديد في تاريخه الحديث. تتسم بالإستمرار في البذل والعطاء، وبالجدية في الفكر والعمل، وبالوضوح في الرؤية والهدف، وبالشجاعة في الموقف والقرار من أجل بناء مغرب قوي وديمقراطي وموحد. فكان عهده الزاهر أرقى العهود، وعصره المتفتح أجمل العصور.

- واليوم ونحن نحتفل بهذه الذكرى العظيمة التي أشرقت علينا أنوارها السنية، الذكرى الخالدة لتتويج صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله تمجيدا له وللتاريخ الحافل بالمفاخر، تاريخ دولة ملوكنا العلويين الأماجد الذين بذلوا الجهود المضنية في سبيل تحقيق وحدة البلاد، والحفاظ على سيادتها، وتجديد مارث من حبل الدين، وحماية الكيان. فلا غرو إذا كان هذا الشعب المغربي الواعي مدينا لهذه الأسرة العلوية بفضل لا ينسى طوال التاريخ، ومعترفا بالجميل للعرش العلوي المنيف. ولا عجب إذا خرج اليوم بأسره معبرا عن فرحته بحماس متقد، وبسرور دافق، ولا غرو إذا ألقى هذا الشعب المغربي مقاليد أموره في يد ملك اصطفاه الله من رجال القيادة للتحرير والتعبير، يريد لأبناء شعبه أن يعيشوا في هذا البلد الأمين، وفي ظلال العرش المكين برغد العيش وبالوحدة مطمئنين منعمين.

- اليوم ونحن نحتفل بخير الأعياد الوطنية في تاريخنا عيد العرش المجيد الذي يخلد هذه السنة الذكرى الخامسة والعشرين لتربع عاهل البلاد على عرش أسلافه المنعمين. عيد العرش لهذه السنة هو نفس نضالي جديد تتجاوب أوتار الشاعر حوله لتؤلف أغنية واحدة منسقة الكلمات عذبة النغمات عنوانها التحام العرش والشعب في ظل نور الحسن الثاني العلوي الوهاج المتألق.

- إن ذكرى عيد العرش الخالد التي نقيم اليوم احتفالاتها ونحيي أمجادها، لتكريم لأنفسنا واكتمال لمعنى وجودنا كأمة وشعب يعرف الأصح من طرق تمكينه مما يريد، كما أنها بجلالها وعظمتها تجعلنا نقف وقفة تدبر وتأمل نرى من خلالها ذلكم الهرم التاريخي الشامخ لنهضتنا المباركة الذي يقف صامدا في وجه الزمن ولا تزيده الأيام إلا تمتينا وخلودا يقول بصوته العالي وبكل فخر واعتزاز : الدولة العلوية المجيدة فريدة التاريخ، والحسن الثاني جوهرة غالية تتألق في عقدها الثمين، وصفوة من صفوة مختارة من سلالة الأكرمين.

يـــا سليـل الأشراف من خير جـــد

يـــا عـزيـزا أنت الحبيب الـوحيـــد

- إن ذكرى عيد العرش المجيد التي نحتفل بها اليوم، وفي حلتها الجديدة إنما نحتفل فيها بعرش طالما أسدى لهذه الأمة كل خير، وحقق لها آمالها، وبوأها مقاما كريما بين الأمم والشعوب أصبحت معه حرة الإرادة، مطلقة السيادة. يقول جلالة الملك حفظه الله : «إذا كان سلفنا الصالح قد قاموا بالدور الحضاري الذي ألقاه الإسلام على عواتقهم أحسن قيام حسبما أدركوه وتصوروه، وعلى النحو

الرائع الذي أبدعوه وابتكروه، فإن ذلك يدفعنا إلى مواصلة نفس الدور لكن على نحو جديد، ونمط فريد يتناسب مع معطيات هذا العصر».

ـ فعلى أساس هذا المنطق السليم، ومن هذا المنطلق الواضح يتبين للباحث الدارس لمراحل حياة الحسن الثاني حفظه الله منذ نشأته وتطوره، إلى مرحلة اعتلائه عرش أسلافه الميامين وتحمله مسؤولية الحكم كأمير للمؤمنين، يتبين الخط المستقيم والنهج الواضح الذي تابع السير فيه، والذي اختطه قادة المغرب وملوكه منذ البدء، وأحياه وجدد معالمه أجداده الكرام منذ مولاي إسماعيل إلى محمد الخامس رحمهم الله ونور ضرائحهم، متحليا بكريم أخلاقهم، متقمصا حميد خصالهم. «إذ جمع بين عزة إسماعيل وقوته، وتفتح محمد الثالث وعبقريته، وإصلاح الحسن الأول وهمته، وجهاد محمد الخامس وتبصره وحكمته». فجمع بذلك المجد من أطرافه وكان وحيد عصره وفريد زمانه. فلا غرو إذا رأينا مغربنا العزيز مغرب التحدي في عهد الحسن الثاني العزيز وعلى امتداد مسيرته الطويلة الرائعة التي فاقت كل تحليل وإحصاء ووصف قد حقق المعجزات، وتخطى العقبات، وأخذ طريقه نحو ازدهار أبدي يستمد ضمانه من مقوماته الروحية والأخلاقية والوطنية التي يحمي مصالحها ويرعى شؤونها جلالة الملك الحسن الثاني الرائد الملهم حفظه الله ورعاه، والذي يحرص كل الحرص على أن تكون الإنجازات نافعة مثمرة في المجال العمراني والصناعي، والفلاحي، والصحي، والتعليمي، وفي الحياة الاجتماعية كلها، مهما تنوعت وتفرعت. وأكثر من هذا وأكبر منه الحرص الشديد على سلامة الوطن وأمنه، والدفاع عن حوزته وحماية ترابه، ويكفينا فخرا واعتزازا أن يكون من روائع جلالته تلك المعجزة التي فاقت أحداث التاريخ لتفسح المجال لحدث القرن وحديث الأجيال إنها المسيرة الخضراء الحسنية السلمية التي كان إبداعها إلهاما من الله وتوفيقا لجلالته خصه به جلت قدرته ليكون دليلا على أنه الملك المختار، والزعيم المقتدر، والقائد المنتصر الذي صدق فيه قوله تعالى : ﴿**إن ينصركم الله فلا غالب لكم**﴾.

فأنى جلت بفكرك، وقرأت وتعمقت في صفحات تاريخ الحسن الثاني الحافل الزاخر، وأنى سمعت بأذنيك، وأنى تنقلت بعينيك في ربوع هذا الوطن الغالي، وطن الحسن الثاني، وأنى سرحت بتأملك بعيدا أو قريبا، ماضيا أو حاضرا إلا ورأيت ما يثلج صدرك، ويسر قلبك، ويطمئن نفسك، ويبعث فيك الثقة الكاملة والأمل المشرق لغد آت ولناظره قريب. والذي نرجو من الله أن يكون أجمل وأسعد بفضله تعالى وبوجود روح هذا الوطن وقلبه جلالة الحسن الثاني حفظه الله وأعز ملكه. فله في كل مجال روعة إبداع لا تحاكى ولا تجارى، فهو السياسي البارع، والخطيب اللامع والمفكر المبدع، والفقيه العالم الألمعي، والمسلم من الطراز المتفتح. يجمع بين شرف الماضي ومجد الحاضر، وصرامة الحكام وسماحة الإسلام... ولعل أبرز معلمة في مسيرة جلالته حفظه الله هذا التوافق المحكم بين التشبث بالعقيدة الإسلامية والتمسك بالكتاب والسنة، وبين الأخذ بأحدث أساليب الحكم والإدارة والتسيير والاستفادة من كل ما يستند على العلم والتكنولوجيا مما من شأنه أن يثري نهضتنا العلمية والاقتصادية، ويرفع مقامنا كدولة ذات حضارة ومجد ورسالة ودور بالغ الأهمية في الاشعاع والتنوير.

ـ إن كل من يدقق النظر فيما أنجز غداة اعتلاء صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأطال عمره من منجزات في مختلف الميادين التي ترتكز عليها نهضة البلاد سياسيا، واقتصاديا وعمرانيا، وتعليميا، وصحيا وفلاحيا، وصناعيا، واجتماعيا، وثقافيا وفنيا. ليصاب بدهشة أمام ما حققه رائد المغرب الحكيم. من أجل النهوض بهذا الشعب ماديا، وفكريا، وروحيا، ويسرنا أن نشير وبصفة خاصة إلى أن اهتمام جلالته بالمنشآت التعليمية سابق عن غيره من المنشآت. وإن كثرة الجامعات بالمملكة بمختلف كلياتها وشعبها، ومناهلها، وتخصصاتها. يترجم لا ريب اقتناع جلالته التام بضخامة مسؤولية التعليم في بناء الإنسان الذي نركز عليه كل أمل، لأن التعليم هو الوسيلة الوحيدة للتخلص من كل أشكال الرق والهيمنة ذلك أن

الدول التي يسودها الجهل معرضة للإبتلاع وما يتبع ذلك من تبعية وجمود وتحجر ووصاية.

- وتبعا لذلك اعتنى جلالته بميدان التعليم الإسلامي الأصيل مجددا ما اندثر منه. ونظم جامعة القرويين التي تعد حصنا أمينا للغة العربية والحضارة الإسلامية. وأنشأ دار الحديث الحسنية على تقوى من الله ورضوان وشرفها باسمه الكريم شعورا من جلالته بالدور العظيم والرائد الذي يجب أن تقوم به كمثيلتها جامعة القرويين، لتكون عاملا من عوامل التقدم العلمي في بلادنا، ومنارا يهتدي به المسلمون في كافة أرجاء العالم الإسلامي. وقد حققت هذه الدار نتائج باهرة، وأعطت ثمرتها الطيبة تتمثل في أفواج العلماء المتخرجين منها كأطر عليا في العلوم الإسلامية.

- كما أحدث كتاتيب قرآنية في جميع جهات المملكة يتلقى فيها النشء أول ما يتجه لدراسته تلقين القرآن الكريم ومبادىء الكتابة.

- وفي مجال تنظيم الدعوة الإسلامية، وانسجاما مع ما تدعو إليه الأبعاد الحضارية من إجراءات خاصة بذلك تتطلبها الظروف الراهنة سواء على الصعيد الوطني أو على المستوى العربي والإسلامي والدولي. ذلك أن المغرب يقف اليوم في جبهة الصمود دفاعا عن وحدته الترابية، وحماية للكيان الإسلامي، ومشاركة لأشقائه في العمل الدولي الجماعي من أجل تحرير القدس الشريف وهي جميعها مهام جسيمة يتحمل جلالة الملك كقائد مسلم وأمير للمؤمنين عبأها الأكبر، ومسؤوليتها العظيمة.

- وبما أن العلماء الصالحين المخلصين هم حراس العقيدة وجند الحق، ولسان الشعب، ودورهم مؤثر وفعال وإيجابي باعتبارهم ورثة الأنبياء وحملة الرسالة المقدسة، وحفاظا من جلالته على الملة الإسلامية الخالدة، ونشر تعاليمها، والدفاع عن حوزتها وما جبل عليه حفظه الله من حب للعلم والعلماء والعناية بهم امتدادا لما ورثه حفظه الله عن أسلافه المنعمين، وتقديرا من جلالته لمسؤولية الأمانة الإسلامية الملقاة على عاتقهم والتي تتجلى في تنوير الأمة وتوعيتها وتوجيهها بتعاليم الإسلام عقائديا، وروحيا وأخلاقيا لصالح الدين والدنيا. فقد عمد حفظه الله إلى خلق مجالس علمية إقليمية في جميع أنحاء المملكة يضمها مجلس علمي أعلى برئاسة جلالته - والتي تعتبر في حد ذاتها ظاهرة ينفرد بها هذا البلد الأصيل في ميدان الثقافة والفكر والدين، وأصدر جلالته بذلك (ظهيرا شريفا منيفا يحدد اختصاصاتها وينظم هيئاتها، ويوسع مجالات تدخلها في شتى الميادين التي تدعو الضرورة الملحة إلى تداركها وطرق بابها إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل إن الباطل كان زهوقا). كما تكون نفسا جديدا ينتعش به جو التوعية الدينية. وتزدهر المساجد بالعلم والعلماء ويعود مجتمعنا إلى ما كان عليه في الماضي من توازن وتماسك وأخذ بأحكام الدين وتعاليم الشريعة في منبعها الأصيل.

- ومن ذلك مساهمتهم في إشاعة الوعي الإسلامي عن طريق الدروس الحسنية الرمضانية التي سنها جلالته مشكورا سنة حميدة ومبادرة كريمة لانتشار الأنوار المحمدية في هذا البلد الأمين.

- وسعيا من جلالته في تكثيف هذه الجهود الإسلامية وخدمة للعلم والعلماء، وإحياء للتراث والفكر الإسلاميين وإغناء للبحث والاستقصاء والدراسة في ميادين الفقه والعلوم والفكر والثقافة والمعرفة، شهدت بلادنا حدثين هامين :

1 - تأسيس «أكاديمية المملكة المغربية» تحت شعار حمل الأمانة الربانية الملقاة على عاتق الإنسان، والإسهام في التقارب بين الشعوب. والتي يعتبر إنشاؤها مأثرة عظيمة تضاف إلى مآثر جلالته الخالدة، وهو جهد علمي وفكري يجيء حلقة في سلسلة وضيئة من جلائل أعماله المذكورة الباقية. وإن الأمل معقود على ما تحققه هذه الأكاديمية من أهداف في خدمة ثقافتنا القومية في كل المجالات.

- يقول جلالة الملك في شأنها : «وها نحن اليوم في هذه الجلسة الافتتاحية نبارك انطلاق أعمال أكاديمية المملكة المغربية مؤملين من وراء هذه الأعمال الإسهام المنشود في تألق الفكر وازدهار العرفان والتقارب بين الأفراد والشعوب والتفاهم المفضي إلى سعادة الإنسان».

2 ـ إقامة مهرجان «ندوة الإمام مالك بن أنس» تناول فيها علماؤنا الأجلاء إماما من أئمة الدين الحنيف، ومجتهدا من مجتهدي الفقه الشريف، وعظيما من عظماء الإسلام وعلما من المفكرين الاعلام. إكبارا وتكريما لشخصه، وتقديرا لفضله على الإسلام والمسلمين.

ـ وتتوالى الخطوات الحسنية الموفقة المتواصلة في سبيل البعث الإسلامي المنشود، والوحدة الإسلامية المرجوة، لأن في اجتماع المسلمين، وتوحيد صفوفهم، وكلمتهم، نصرا للعرب وعزا لهم، ويتجلى مسار هذه الخطوات في تحقيق الأهداف التالية على سبيل المثال لا الحصر.

ـ الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم.

ـ الرسالة الملكية الموجهة إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري «والتي أجمع الملاحظون في الداخل والخارج على أهميتها القصوى باعتبارها منهج عمل طرحه العاهل الكريم في الوقت المناسب إسهاما منه حفظه الله في إيجاد حلول لمشاكل العصر وتقديم دلائل للأمة تكون لها عونا على الخروج من طور التخلف والتيه والضياع».

ـ انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي الأول بالرباط سنة 1969. في أعقاب حريق المسجد الأقصى، والذي يعتبر من أحداث القرن البارزة إذ طالما هفت قلوب المسلمين والمخلصين للدعوة المحمدية والقائمين عليها إلى رؤية قادة المسلمين وقد اجتمعوا على صعيد واحد واتحدت كلمتهم فيما يماثل دار الندوة التي كانت ملتقى ومنتدى لأبطال الإسلام في صدر الإسلام. وقد اختار الله أرض المغرب الطيبة لتكون صالحة لعقد هذا المؤتمر في ظل الرعاية المولوية الكريمة لجلالة الملك الحسن الثاني المؤيد بنصر الله وحفظه. «وكان هذا المؤتمر النواة الأولى لقيام منظمة المؤتمر الإسلامي الذي انبثقت عنه لجنة القدس فيما بعد».

ـ انعقاد مؤتمر القمة العربي الذي كانت تهفو له قلوب جميع العرب لما ستسفر عنه مداولاته من إجراءات للنهوض بفلسطين من كبوتها، هذا بالإضافة إلى استضافة عدة مؤتمرات عربية أخرى.

ـ تنظيم المسيرة الخضراء السلمية الرائعة. والتي سجل التاريخ بمداد الفخر والاعتزاز والخلود أنها معجزة القرن ومفخرة نادرة من مفاخر العهد الحسني الزاهر.

ـ فمن طنجة إلى الكويرة تتوالى المسيرات الإنمائية المباركة وتتلاحق النتائج الإيجابية التي أسفرت عنها الخطوات الحسنية الموفقة والتي تعتبر ـ ولا شك ـ مشاعل وهاجة في طريق الوحدة الإسلامية المنشودة.

ـ وعلى الصعيد الخارجي يضطلع المغرب بالقيادة الرشيدة لجلالة الملك الحسن الثاني بدور فعال على المستويات العربية والإسلامية والإفريقية والدولية. ولعل تحمل جلالته أعباء ومسؤولية رئاسة لجنة القدس، ورئاسة مؤتمر القمة العربي واللجنة العربية السباعية المنبثقة عن الإجماع العربي في فاس، لدليل ساطع على مدى الاحترام والتقدير الذي يكنه لجلالته كافة الملوك والرؤساء الذين ائتمنوه على حاضر ومستقبل القدس الشريف وعلى القضية العربية والفلسطينية، فكان خير من يؤتمن وخير من يدافع وخير من يعيد العزة ويصون الكرامة.

واستمرارا من جلالته لتحقيق مبدأ الوحدة والتضامن بين الإخوة والأشقاء لما فيه مصلحة الشعوب. كانت أمنية ميلاد الاتحاد العربي الإفريقي بين شعب المملكة المغربية السعيدة، وشعب الجماهيرية الليبية الشقيقة مفاجأة سارة تلقتها كل القلوب بالبشر والترحاب. هذه المفاجأة التاريخية الفريدة التي لا ريب أنها جعلت العالم يقف مرة أخرى مذهولا مبهورا أمامها. وما ذلك إلا بفضل الحكمة الملكية الرشيدة الهادفة إلى الدفاع عن مصالح البلاد، وبناء المغرب العربي وتوحيده، وجمع شمل الأمة الإسلامية.

ـ والآن ونحن في غمرة الأفراح والمسرات بحلول الذكرى الخالدة لعرشنا المجيد مفخرة الدولة العلوية، التي تشرق علينا أنوارها السنية، هذا العرش الذي هو سر انتصارنا، وعنوان استمرارنا وروح مسيرتنا، ورمز عزنا وفخارنا. وهو الضمانة الكبرى لوحدة هذه الأمة واستقرارها، والمحافظ الأمين على كيانها ووجودها. إنه امتداد دافق

أزلي على المدى يصنع التاريخ، ويبني المجد ويعمل من أجل الخلود.

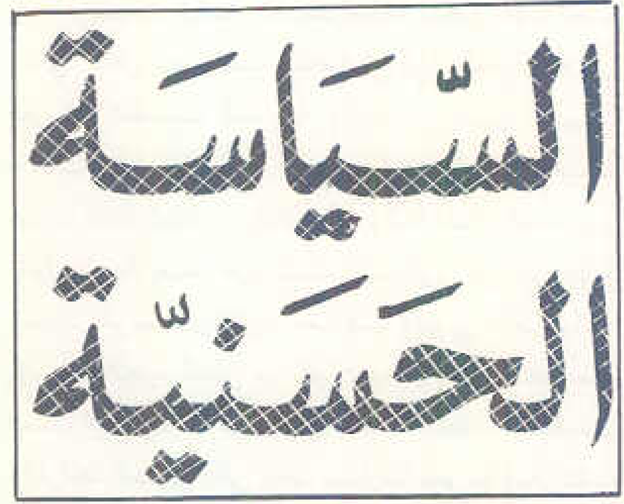
- بارك الله في عمر سيدنا الهمام، وبارك في خطواته الرشيدة على الدوام، وبوركت أعماله العظيمة لتحقيق المزيد من الإنجازات المتواصلة، والمشاريع العديدة المتوالية.

- وأبقاه الله لنا رائدا عظيما، وقائدا حكيما، وشهما كريما، وحصنا حصينا لهذه الأمة الشغوف بحبه، المتعلقة بأهداب عرشه. ولأمة الإسلام يدرأ عنها الأخطار، ويقيها الأضرار. كما نسأله تعالى أن يجعل أيام جلالته أعياداً مقرونة بالخيرات والمسرات. وأن يحقق على يديه الكريمتين وفي ظل عرشه المنيف، آمال المسلمين في تحرير فلسطين والقدس الشريف وأن يسدد خطوات جلالته في بناء صرح المجد الإسلامي ليصل مجد الحاضر الباسم، بشرف الماضي المشرق، وأن يقر عينه بولي عهده الأمير المحبوب سيدي محمد، وصنوه الأمير السعيد مولاي رشيد وبسائر أفراد أسرته الملكية الشريفة سلالة الدوحة العلوية المنيفة. إنه مجيب الدعاء ومحقق الرجاء.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• علينا أن نجعل من المدرسة والكلية والجامعة إلى جانب المسجد، الملتقى المفضل والدائم للعلم والإيمان، وأن نتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ••

ربع قرن في رحاب



للتعبئة والتنمية

للدكتور أمال جلال
عميد كلية الحقوق بفاس

إن المرء ليقف وقفة الحائر المتلجلج أحيانا وهو يستعرض فترة ما من فترات التاريخ، لا يدري من أين يبدأ ولا إلى أين ينتهي، تلك هي الحالة التي شملتني وأنا أقدم على تجيل بعض مما بات يتزاحم في صدري تزاحما كثيفا متلاحقا، يأخذ بعضه برقاب بعض في شبه سلسلة لماعه مشرقة باهرة تخطف الأبصار وتستأثر بالمشاعر وتأخذ بمجامع القلوب بمناسبة مرور ربع قرن من عهد جلالة الملك الحسن الثاني العظيم واسطة عقد الدولة العلوية الشريفة وكوكبها المنير.

إن خمسا وعشرين سنة في حياة الدول والشعوب لا تشكل شيئا كبيرا يعتد به إلا في حالات نادرة من تاريخ بعض الدول التي حباها الله قائدا مصلحا مجدا يعمل بكل إخلاص وتفان من أجل إسعاد رعيته. وإذا كان المغرب من بين الدول التي أنعم الله عليها بملك ملهم وقائد فذ وزعيم محنك، فإن الخمس والعشرين سنة التي انصرمت على تربع جلالته على عرش أسلافه المنعمين لتعد بحق بمثابة سلسلة ذهبية في تاريخ المغرب والتي لا نستطيع حيالها بالضبط أن نعرف عن أية حلقة من حلقاتها نتكلم لتعدد هذه الحلقات وتداخلها، ومن تم يبدو جليا أن استعراض منجزات كل حلقات هذه السلسلة لا يتسع قطعا لعجالة تنشر عادة في مجلة مهما يبذل صاحبها من جهد في التركيز والإقتصار على الإشارات الملفتة والإيماءات الموحية في رحاب السياسة الحسنية الرائدة. فإشعاع المنجزات الحسنية على كل المستويات أضحى واضحا وملموسا، إلا أن الإحاطة الشاملة بأعمال الحسن الثاني الجليلة وطنيا ودوليا تتطلب كتبا ومجلدات.

وما ظنك بملك شاب يتقلد في عنفوان شبابه أمر أمته فينطق كملك في أول خطاب يوجهه إلى شعبه بعد عقد البيعة له وتنصيبه وفقا لتعاليم الشريعة الإسلامية والتقاليد المغربية المرعية، بكل عزم وحزم «وإنني أعاهد الله وأعاهدكم على أن أضطلع بمسؤولياتي وأودي واجبي طبق مبادئ الإسلام وقيمه السامية وتقاليدنا القومية العريقة ومقتضيات مصلحة الوطن العليا كما أعاهد الله وأعاهدكم على أن أدافع عن حوزة الوطن واستقلاله وسيادته وأحرص على وحدته وإعلاء شأنه بين الدول».

إنها أهداف محصورة باقتضاب في فقرات محدودة ترجع في الجملة إلى عبارة الإضطلاع بالمسؤولية.

فما مدى ما بلغه تعهد هذا الملك الفذ فيما ألزم به نفسه منذ خمس وعشرين سنة خلت ؟.

وهنا تعاودنا من جديد عين الحيرة وعين التلجلج اللذين ألمحنا إليهما سالفا، فما لا حد له لا قدرة لنا على حصره في حدود، وهل من حدود تقف عندها عبارة الإضطلاع بالمسؤولية حين يتعلق الأمر بإمام راع تجاه رعيته ؟ السؤال من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى جواب. ولكن جاء في الأثر قول حكيم نعتمده هنا كجواب يقول

«إن أسعد الرعاة عند الله راع سعدت به رعيته». وهذا لعمري ما نعاينه ماثلا نحن أبناء هذا الوطن السعيد، بيد أنه لا عذر في ذات الوقت يحول بيننا وبين الإلمام ببعض الخطوط من تلك المسؤوليات التي نرى أنها بمنزلة الشواهد والمعالم البارزة.

لقد كان أكبر اهتمامات جلالة الملك الحسن الثاني بمجرد تربعه على عرش أسلافه المقدسين هو العمل على جعل النظام المغربي ملكية دستورية ديمقراطية تأخذ بتعدد الهيآت السياسية والنقابية، هذا في الوقت الذي كانت فيه معظم الدول العربية والإفريقية سواء منها القديمة أو الحديثة العهد بالإستقلال تعشق نظام الحزب الوحيد وتقدسه ولا تقيم لحرية مواطنيها اعتبارا بدعوى أن هذه الحرية قد تخل بوحدة الرؤيا وتعرقل الفعالية في العمل السياسي. لذلك سهر جلالته على تزويد المغرب بمؤسسات دستورية عصرية وقارة كما كانت رغبة والده جلالة المغفور له محمد الخامس واستجابة لرغبة شعبه المتعلق بالحرية والعدالة والديمقراطية. وهكذا فقد عرض جلالته مشروع أول دستور مغربي على الاستفتاء الشعبي بعد أن فتح المجال أمام كل الهيآت السياسية على اختلاف أنواعها لتبدى رأيها في الموضوع. ويمكن القول أن يوم الاستفتاء الذي صادف السابع من دسمبر من سنة 1962 كان يوما مشهودا في تاريخ المغرب، لأنه كرس الموافقة الشعبية بالإجماع على الدستور من جهة وأعطى انطلاقة العمل بالمؤسسات الدستورية، هذه المؤسسات التي لا زالت إلى يومنا قائمة شاهدة على نضج الديمقراطية الحسنية التي أرسى دعائمها في البداية ملك شاب سهر بنفسه على تطويرها لينعم المواطنون بالحرية والعدالة في إطارها، فصارت كل الهيآت السياسية والنقابية على اختلاف أنواعها ممثلة في مجلس النواب ولم يحرم من هذا التمثيل أيضا الرعايا المغاربة في الخارج. وتدعيما لعدم التمركز واللا مركزية أعطي المنتخبون فرصة إدارة شؤونهم الإقليمية والمحلية بمنح مجالسهم وجماعاتهم اعتمادات مهمة للتجهيز والتسيير ضمانا لنجاح التجربة الديمقراطية بحيث يمكن القول أن هذه التجربة أصبحت واقعا ملموسا، ونبراسا مشعا لا يتوفر عادة إلا للدول المتقدمة العريقة في الديمقراطية.

وبجانب ازدهار الديمقراطية، يسجل عهد الحسن الثاني الزاهر، نهضة علمية وثقافية في إطار المحافظة على مقومات شخصيتنا المغربية الإسلامية، فبفضل توجيهات جلالته وتعليماته التي لا تعرف كللا ولا تعبأ بعقبات، صارت أعداد المدارس والثانويات وكذا أعداد المدرسين تتزايد سنة بعد أخرى لتتضاعف على رأس كل خمس سنوات تقريبا، وانتشرت معاهد تكوين الأطر وكذا مؤسسات التعليم العالي من كليات ومدارس عليا لتعم معظم المدن المغربية شاهدة على ضخامة النهضة التعليمية وإطرادها الحقيقي لكي تأخذ مسارها نحو مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي دونما توقف من رعاية جلالته السامية أو غفلة عن الإستمرار في التشبث بجوهر مقومات حضارة المغرب وثقافته الإسلامية، ومن ثم فلا عجب أن يشمل جلالته التعليم بكل مراحله بعطفه المولوي ويكرم رجاله في أكثر من مناسبة وأن يرعى العلم ورجالاته من داخل المغرب وخارجه بواسطة أكاديمية المملكة وأن يكرم علماء مملكته بترأسه للمجلس العلمي الأعلى الذي يضم جميع المجالس العلمية الإقليمية للمملكة.

ولئن كان جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه قد عمل على ارساء العدل على قاعدة استقلالية القضاء ومد هذا الجهاز الحيوي بالأطر الصالحة، فإن جلالة الحسن الثاني قد سهر بنفسه على السير بهذه المؤسسة نحو أهدافها التي تتجلى من خلال الوقوف على فلسفة جلالته بما روى عن لسانه في مختلف المناسبات الرسمية وغير الرسمية من تحليلات عميقة وتوجيهات في منتهى ما يرجى لكل قضاء من طموح واستقامة ونزاهة وتوحيد يخدم مصالح الأمة وينشر العدالة والحق والأمن والإطمئنان بين المواطنين دونما ميز أو تفريق، وهكذا تحقق في السنوات الأولى الموالية لتربعه على عرش أسلافه توحيد القضاء وتعريبه ومغربته، وبعد سنوات أعيد النظر في التنظيم القضائي

فارتفع عدد المحاكم الإبتدائية لتشمل كل إقليم من أقاليم المملكة كما ارتفع عدد محاكم الإستئناف تقريبا للقضاء من المتقاضين.

ولما كان القطاع الفلاحي يعد المصدر الأول في دعم اقتصاد البلاد داخليا وخارجيا وكان معظم سكان البادية ذوي اهتمامات فلاحية متأصلة ووراثية، فإن السياسة الحسنية قامت منذ البداية على مساعدة الفلاح بشتى الوسائل للحصول على المداخيل الكافية التي تسمح له بالإستثمار وتنشيط الإنعاش الفلاحي، لذلك ألغى جلالته في الشهور الأولى لتربعه على عرش أسلافه ضريبة الترتيب التي كانت مفروضة على الفلاحين كما قرر حفظه الله مؤخرا إلغاء الضريبة الفلاحية، وأولى اهتماما فائقا للتجهيزات المائية. ولا يخفى على أحد ما نتج من الآثار الحميدة والعوائد المثمرة انطلاقا من بعد الرؤيا التي كان يتحلى بها جلالته ابتداء من النصف الأول من الستينات حين قرر إنشاء السدود وتوزيع تشييدها على مختلف المناطق المجاورة للأنهار والأودية على وثيرة في منتهى التنظيم المستجيب لحاجيات السقي. وبذلك أدت السدود المشيدة على مدى الخمس والعشرين سنة المنصرمة في عهده الزاهر وظيفتها المتمثلة في الري لمساحات شاسعة وتوفير الماء الصالح للشرب لعدد كبير من المدن وإنتاج الطاقة الكهربائية لما يزيد عن ثلث الإنتاج الوطني للكهرباء.

ولم يكن جلالة الملك الحسن الثاني بانيا للسدود فقط وإنما تميزت سياسته خلال ربع قرن بالبناء والتشييد والتنمية في شتى المجالات في ميادين التجهيز والتصنيع والطاقة والنقل والمواصلات والصحة والرياضة والسكنى وإعداد التراب الوطني إعدادا يتلاءم وطبيعة البيئة المغربية انطلاقا من مقوماتها الحضارية والعمرانية، ومن ثم أضحى المغرب يتوفر على شبكة من الخطوط الحديدية والطرقات وعلى موانيء ومطارات تجعله في طليعة الدول العربية والإفريقية في هذا الميدان. والدليل على ذلك أنه وقع مؤخرا الاختيار على مطار محمد الخامس الدولي من طرف وكالة الفضاء الأمريكية ليكون محطة لنزول المركبة الفضائية شالانجر إذا اضطرت إلى ذلك قبل إتمام رحلتها مما يدل على أهمية وضخامة أرضية وتجهيزات هذا المطار الدولي.

وإذا كان المجال لا يسمح لنا بالتوسع في الحديث ولو بالإشارة الملفتة عن كل مظاهر التعبئة والتنمية الحسنية التي عرفها المغرب خلال الربع قرن الأخير، فإنه من الواجب علينا أن نشير إلى أن العشر سنين الأخيرة من هذه الفترة الزمنية تميزت بالنسبة لأقاليمنا الصحراوية المسترجعة بخاصيتين تجلتا في يقظة قواتنا المسلحة الملكية وتنمية هذه الأقاليم تنمية شاملة متكاملة.

وفي اعتقادي، فإن قضية صحرائنا المسترجعة، بما تناولتها من أقلام مغربية وأجنبية من بحوث وتحليلات وتعليقات وردود وتجمعات وخطب منذ انطلاق المسيرة الخضراء الظافرة الموفقة الشاهدة بما لا مجال للجدل فيه بعبقرية هذا الملك الفذ ونفاذ بصيرته، لتوصد أو تكاد أي باب من أبواب المناقشات التي أصبح يبدو أنها قد لا تعبر عن شيء بعد بلوغ ما بلغت إليه هذه القضية من الوجهة السياسية وقيام الحجج القاطعة على لسان جلالته بمنطقية المواقف والإقتراحات المغربية بإخلاص عن الرغبة في حسم ما يصطنعه خصوم وحدتنا الترابية من تغليط حول حق وطني مغربي تسلم وتقربه الوثائق التاريخية والشواهد الدولية والمحلية. فالكل يعلم أن جلالة الملك الحسن الثاني جعل من عام 1975 سنة استكمال حريتنا واستقلالنا الترابي. ولذلك فلا غرابة أن يبتدىء مع هذه السنة العمل الجاد على مختلف المستويات من أجل استكمال هذه الحرية والسعي في سبيلها على الصعيد المحلي والإفريقي والدولي. ومن ثم فكر جلالته في تنظيم المسيرة الخضراء، بحيث ما أن حل شهر أكتوبر من سنة 1975 حتى دوى صوت الأمر الملكي جهيرا في خطاب جلالته التاريخي للشعب المغربي وتلاه على الفور في السادس من شهر نوفمبر من نفس السنة تحطيم الحدود الوهمية التي ظلت

حقبة من الزمن تفصل بين جزء غير قابل للتجزئة من المغاربة وبين أخوانهم، فوصلت الأرحام بعد انفصام والتأم الشمل بعد انقسام طبقا لرغبة جلالته وطموح شعبه الوفي. وبمجرد عودة تلك الأقاليم إلى أرض الوطن تبين أن العهد الإسباني الذي ظل يهيمن عليها طوال عقود من السنين لم يكن ليوفر لها حتى أبسط ما تتطلبه حياة الإنسان، ولذلك عمل جلالته على دمج الأقاليم الصحراوية في حظيرة الوطن، فخطط عسكريا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا لكي تنال هذه الأقاليم حظها من التنمية.

وبقدر ما انتصبت للعيان مشاريع عمرانية وحضارية تجلت في البناء والتشييد، بقدر ما اهتمت قواتنا الملكية المسلحة بالدفاع عن الوحدة الترابية لرد كيد المعتدين الغادرين، فضربت مثالا للبطولات جعلها من أهم القوات العسكرية في حوض البحر الأبيض المتوسط، واهتمت بدورها ببناء وتشييد الجدران الأمنية لتبقى الصحراء آمنة مطمئنة ولينصرف أهلها إلى العمل الجاد والتنمية.

وقد شرف جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله المناطق الصحراوية بإقامة حفل الولاء لعيد العرش لسنة 1980 في مدينة الداخلة، كما زار مدينة العيون والمناطق المجاورة لها في مارس 1985. فوقف العالم أجمع، من خلال هذه الزيارة، على مدى التلاحم الموجود بين الشعب المغربي في الصحراء وجلالة الملك، وعلى مدى تعلق السكان بمغربيتهم واعتزازهم بانتسابهم إلى حظيرة الوطن، فكان الإستقبال الشعبي الرائع والمنقطع النظير الذي خصه السكان لملكهم، كما شهدت بذلك وسائل الإعلام الأجنبية، توكيدا جديدا للبيعة واستفتاء تلقائيا وطبيعيا على تشبثهم بمغربيتهم وتعلقهم بأهداب الخلافة المنيفة لأمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني. وبذلك كانت هذه الزيارة الملكية الميمونة بحق خير شاهد على مدى الإزدهار والرخاء الذي عم هذه الأقاليم وعلى مدى ضخامة مجهودات التنمية التي بدأت تعطي أكلها على جميع المستويات في هذه الأرض العزيزة على كل مغربي مما لا حاجة معه تدعو إلى مزيد بيان، ولقد قيل :

وليس يصح في الأذهان شيء
إذا احتاج النهار إلى دليل

وهكذا منذ ربع قرن مضى انطلق المغرب بقيادة جلالة الملك الحسن الثاني انطلاقة رشيدة شاهدة على سياسة تنموية حكيمة مكنته من التقدم على مر السنين في شتى الميادين التي لا يمكن حصر نتائجها الإيجابية في هذا المقام. فمن بناء إلى تعمير ومن تخطيط إلى إنجاز ومن مسيرة الإصلاح والتقويم إلى مسيرة الوحدة والتحرير، ومن مسيرة النماء والتعبئة إلى مسيرة الملاحم والبطولات. وليس التخطيط لهذه المسيرات بالأمر الهل بل يتطلب رياسة متبصرة وقيادة فذة وتوجيهات رشيدة، وهي أمور اجتمعت ولله الحمد، في ملك هذه البلاد ورائد نهضتها بفضل التربية والثقافة اللتين تلقاهما في مدرسة والده جلالة المغفور له محمد الخامس، وبفضل تجربته وذكائه وحنكته ومقدرته وكفاءاته ومواهبه وحصافة رأيه وتبصره وتعقله كقائد رائد وكملك مبدع مما بوأه أيضا مكانة رفيعة في الحقل العربي والإسلامي والإفريقي والدولي بحيث أصبح للمغرب، من خلال شخصية جلالة الملك الحسن الثاني، دور في السياسة الدولية. ولذلك فلا عجب أن يضطلع جلالته بالإضافة إلى مسؤولياته الوطنية بمسؤوليات أخرى، لم تجتمع لرئيس دولة قبله ولو كانت من الدول العظمى، ينيطه بها قادة العالم العربي والإسلامي كرئيس للقمة العربية وكرئيس لمؤتمر القمة الإسلامي وكرئيس للجنة القدس.

لقد مر ربع قرن على تربع جلالة الملك على عرش أسلافه المنعمين حافلا بالمفاخر والمآثر مليئا بالمنجزات والعطاءات شاهدا على قدرة المغرب بقيادة ملكه على السير في طريق التنمية الشاملة. فهنيئا لجلالته وللمغاربة بعيد العرش الفضي، وكل التهاني مقرونة بأغلى الأماني يرفعها كل مغربي بهذه المناسبة لسدته العالية سائلا الله أن يطيل عمر جلالته، حتى الذكرى الذهبية وما شاء بعدها وأن يمتعه بالصحة والعافية ليوالي عمله وكده لكي تسعد رعيته وترفل في حلل الرفاه والإزدهار والرقي.

الحسن الثاني الملك المتحدي

للأستاذ عبد الحق المريني

«ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم..» بهذه الآية الكريمة فتح جلالة الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية «مذكراته» (التحدي).

تحدي ماذا ؟ تحدي كل مكروه يصيب هذا البلد الأمين سواء من صنع البشر أو من صنع الطبيعة :

تحدي الإستعمار ـ في أول المطاف ـ بجميع أشكاله وألوانه : الحسن الثاني هو حفيد ملوك عظام تحدوا بكل شمم وإباء الترك والإنجليز والإسبان والبرتغال والفرنسيين ليحافظوا على دولتهم العظيمة «ملتقى البحار والقارات والشعوب والحضارات» : لقد تحدى السلطان مولاي عبد الحفيظ رحمة الله عليه ـ فيما تحدى الملوك السابقون ـ «مؤتمر الجزيرة» واستنكر تدويل «القضية المغربية» لأن المغرب القائم على «أربعة عشر قرنا من التاريخ» لم تجرؤ أي دولة ـ فيما سبق ـ على التدخل في شؤونه الداخلية، ولم تهن كرامته قط فيما مضى من سالف أزمانه، بل كان وظل دولة مستقلة ذات حضارة ومجد وكيان ودستور ورجال وأصالة..

وتحدى المغفور له محمد الخامس السلطان المكافح الشهيد الإستعمار الفرنسي والإسباني والدولي لبلاده. فعارض تقسيم المملكة المغربية إلى مناطق تحكمت فيها سلطات الغزو الأجنبي مدة من الزمن، وضحى بدماء المغاربة الغالي إلى جانب الحلفاء في حربهم العالمية من أجل تحرير بلاده وفتح باب درب الإستقلال أمامها، وقاوم رحمه الله التفرقة العقائدية والإجتماعية والعنصرية في صفوف المغاربة التي كان يرمي إليها رجال «الإقامة العامة» من وراء خلق «الظهير البربري»، وصارع المقيمين العامين الفرنسيين صراع المستميتين الصابرين حتى ينتزع عن المغرب «قميص» الحماية الذي ضاق به ذرعا، تلك الحماية التي لم تكن سوى مرحلة انتقالية قطعها «المغرب القديم المستقل» ليصبح «مغربا جديدا حرا ومستقلا».

ويعقد مؤتمر «آنفا» التاريخي سنة 1943، ويتحدى جلالة الملك المقدس العالم ويدافع أمام أقطابه : دكول، تشرشيل، روزفليت عن قضية المغرب العادلة، ويكون الوعد بالحرية والاستقلال ! وكان «الأمير مولاي الحسن» ولي عهده ووارث سره حاضرا في مداولات هذا المؤتمر «يصغي كثيرا ويمعن النظر» في وجوه هؤلاء الذين اجتمعت بين أيديهم أسباب السلام ومعاول الدمار في آن واحد. لماذا حضر «الأمير الصغير» في هذا المؤتمر الخطير الذي حول مجرى التاريخ، ذلك لأن جلالة والده المنعم أراد أن يلقنه درسا في التحدي، فخيره بين طريقين : طريق سهلة ومعبدة يستطيع خلالها أن يرضي ميوله الأدبية والفنية والرياضية، وطريق صعبة ومليئة بالأهوال والمخاطر والمسؤوليات. فتحدى «الأمير النابغة» ميول الفتوة والشباب واختار الطريق الصعبة، طريق الكد والاجتهاد والمثابرة وتحصيل العلم والشهادات الجامعية العليا... طريق الرجولة وطريق الملك. فكان رجلا بكل ما تتضمن هذه الكلمة من المعاني وكان أميرا موفقا ناجحا ثم أصبح ملكا هماما وعاهلا فذا تتحدث عنه الركبان في كل مكان.

واكتسب «أمير الأطلس» بتحديه الجريء الخبرة والقدرة على مواجهة عمالقة الإستعمار في بلاده ودخل إلى ميدان الكفاح والمقاومة ـ على صغر سنه ـ من بابه الواسع، وبذلك عزم على تحدي «الجنرال جوان» نفسه ليثأر لجلالة

والده لما نزع منه هذا الأخير «حرسه الخاص» انتقاما من جلالته على قولته المشهورة وصرخته المدوية في الآفاق جوابا على سؤال الحكومة الفرنسية : هل أنت ضد فرنسا أم مع فرنسا ـ «أنا مع استقلال بلادي !!!».

ودبرت الإقامة العامة الفرنسية مؤامرة نفي محمد الخامس وأسرته الكريمة إلى المنفى السحيق وزعم عميدها الجنرال «كيوم» أنه «سيرغم بعد ذلك المغاربة على أكل التبن».

وتحدى الملك الشهيد وشبله الشهم وأسرته الكريمة هذه المؤامرة الدنيئة مرة أخرى، وكانت «قصة» المنفى كما يحكيها جلالة الحسن الثاني يندى لها جبين الإنسانية.

وانطلقت ثورة العرش والشعب زاحفة تسترد الحق السليب وتحبط مؤامرات المعتدين حتى بدل الله العسر يسرا وفرج الكربة وأذهب الحزن، وعاد محمد الخامس الملك الشرعي إلى عرشه وشعبه معززا مكرما.

وبدأ تحدي من نوع آخر في المغرب المستقل : فتحدى العرش المغربي اضطراب حبل السلامة في بعض المناطق من البلاد واستمرار وجود القواعد العسكرية الأجنبية وجميع مخلفات الإستعمار، ولكن سرعان ما وضعت الأمور في نصابها ووطد الأمن على أسس قوية ومتينة وتحقق الجلاء التام، وأسس محمد الخامس القوات المسلحة الملكية ورعاها «ولي العهد» الكريم بعنايته وإرشاده لتضمن مسيرة العرش والشعب في طريق الوحدة والعزة والكرامة ولتحمي حدوده من عبث العابثين ومكر الماكرين، بالإخلاص والحماس والذكاء والوعي «إذ الوعي هو الرأي : والرأي قبل شجاعة الشجعان» ! وأخذ المغرب المستقل الموحد الآمن طريقه نحو البناء والإستقرار.

ويشاء الله أن ينتقل محمد الخامس إلى جوار ربه لينعم في جنات الخلد ويتبوأ الحسن الثاني عرش أسلافه المنعمين ويتحدى أولئك الذين قالوا ان المغرب المستقل لن يعيش طويلا ولكنه عاش وسيعيش بإذن الله طويلا قويا معززا صامدا.

وهكذا وضع جلالة الملك دستورا للدولة المغربية وأصبح المغرب بمقتضاه مملكة دستورية ديموقراطية اجتماعية، واشتراكية، واشتراكيتها مغربية أصيلة قائمة على العدالة الإجتماعية تغني الفقير ولا تفقر الغني، وتجعل المال الصالح في يد الرجل الصالح، فلا ضرر ولا ضرار ! فتحدي جلالته باشتراكية «الأمة الوسط» : الإشتراكية المندفعة الصعبة التطبيق، اشتراكية الفاقة والحرمان والظلم والطغيان، والعجرفة الرأسمالية العمياء التي لا تترك تنفسا للمحرومين. إنها الإشتراكية الحسنية المتبصرة التي تمحق الطبقية وفروقها والتي تجعل من المغربي المواطن الصالح المتحلي بحسن المواطنة والسلوك والمتشبث بالأصالة والفضيلة والذي يحمد الله تعالى ويحمد دولته على أن وفرت له رغد العيش والطمأنينة ومهدت له سبيل المبادرات الحرة وجعلته في مأمن من الخوف والفاقة ومن المرض والجهالة وفي حرز من جميع أسباب المظالم والتخلف والضياع، وتحدى جلالته جميع أنواع الدكتاتوريات والإيديولوجيات بوضعه لبرنامج التساكن بين الحاكم والمحكوم بدون إفراط ـ ولا تفريط ـ «ذلك البرنامج الذي لا يعطي للحاكم السطوة كلها على المحكوم ولكن لا يعطي كذلك للمحكوم الوسيلة للخروج على البرنامج والإطار والمخطط التشريعي والشرعي والقانوني والإقتصادي والإجتماعي الذي اختارته البلاد لنفسها كنظام». وبوضعه لأسس الحريات العامة والمشورة بين الحاكمين والمنتخبين، يقول جلالة الملك : «أريد أن أتحدى الناس بالحرية. أريد أن أتحدى الناس بالمشاورة مع المنتخبين، أريد أن أتحدى الناس بتعدد الأحزاب والهيآت والآراء، لأن تحديات مثل هذه تحديات تاريخية أصيلة ملصقة بتاريخ المغرب ماضيه وحاضره ومستقبله إن شاء الله».

وتحدى الحسن الثاني معارك من نوع آخر، معركة مع الأرض والماء، فأمر حفظه الله بعمليات حرث الأراضي وتوزيعها على صغار الفلاحين وتشييد أربعين من السدود لسقي مليون هكتار من الأراضي الفلاحية، فكانت معركة

الحسن الثاني معركة الفلاح المغربي ومعركة الأرض المغربية مع نقسها.

وبتركيز دعائم «المغرب الجديد» هذا على أسس متينة وسليمة تحدى جلالته الفقر والمرض والجهل والتخلف والمظالم الإجتماعية وأنواع الديماغوجيات والإستفزازات ومطامع المرتشين والإنتهازيين والوصوليين..

وتحدى جلالته من جهة أخرى مؤامرات رؤوس الفتنة والخديعة، ومغامرات «الأطفال المخدرين» الذين تراشقوا بالنار ولعبوا بها وانتهت «مغامرتهم الصبيانية» بقراءة فاتحة الكتاب من لدن «أمير المؤمنين» على رؤوس الاشهاد : **﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين﴾.**

وتحدى جلالته أخيرا، وليس اخرا بمسيرته الخضراء - مسيرة الفتح المظفرة - «أعداء المغرب» الذين يجهلون الجهل المركب أن «الجار قبل الدار»، ويسترجع جلالته الصحراء المغربية ويتمم وحدة الوطن المنشودة رغم كيد الكائدين ومناورات الإستفزازيين، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين !. ويستمر جلالته بكل شمم وإباء في تحدي خصوم المغرب بالمشروعية وبالسلم وبالصمود، «لأن الأرض أرضنا وهويتنا هي هويتنا ولن يكون مستقبلنا إلا كماضينا».

ويتوج جلالته - بعبقريته العسكرية - تحديه لاستفزازات هؤلاء الماكرين المخدوعين بتشييده حول الصحراء المحررة حزاما أمنيا معززا بمراكز الدعم لحماية مدن الصحراء وأهلها، اندهش له المراقبون العسكريون الدوليون أيما اندهاش. «يجب أن يعلم الجميع في الداخل والخارج - يقول جلالة الملك - إن التحديات لسنا نحن الذين نبحث عنها، لكن إذا وجدناها في طريقنا نعرف كيف نتغلب عليها وعلى التحديات، نحن شعب التحدي منذ القدم وسنبقى شعب التحدي»... لقد قال المغرب قديما لا للإستعمار ويقول اليوم : لا للتحديات ! ويقول عاهله الحسن الثاني : «أعتبر أن كل مغربي حينما يولد يكون مكتوبا على جبينه : هذا رجل يحب التحديات ولا تخيفه المعارك ولا الملاحم !».

وبعدما تحققت الوحدة المنتظرة أخذ «المغرب الجديد» مغرب التعاون والسلام والصداقة، وملتقى الحضارات بين الشرق والغرب، وصلة الوصل بين افريقيا وأوربا - مكانته التقليدية الجغرافية والتاريخية والسياسية، يعمل في أمن وأمان، ويبني صرحه الإقتصادي والإجتماعي على أسس متينة وسليمة بقيادة الساهر الحكيم والقائد المظفر صاحب الرأي الحصيف والتوجيه السليم. «قل هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني !».

إنها شجرة المغرب المباركة - يقول الحسن الثاني - أصلها ثابت في افريقيا وفروعها باسقة يجري فيها ماء دافق جديد وتنتعش زهورها بنسائم الحضارات.

إنها الشجرة التي تظلنا بظل سلامتها وأمنها الوارف والتي نحرث أرضها بسواعدنا «ونزرعها حبا» فتغذينا بثمارها اليانعة الدانية القطوف.

وقيل، ويقول الحسن الثاني الملك المتحدي، ونقول معه وعلى الدوام : **﴿الحمد لله﴾، ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾.** - صدق الله العظيم -



تعاون موصول طوال ثلاثة قرون بين المملكتين

المغربية والسعودية

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
عضو أكاديمية المملكة المغربية

قبل أن نركز بحثنا على وجود المملكتين المغربية والسعودية على الساحة السياسية العربية والإسلامية منذ ثلاثة قرون يلذ لنا أن نشير في عرض موجز إلى نوع من التبادل الحضاري تم منذ ثلاثة آلاف سنة خلت بين شقي العروبة عندما تأسست أول مدينة كنعانية عربية بالمغرب عام 1101 ق.م. في بلاد الهبط التي أفردها ابن رشد برسالة خاصة وهي ليكس lexe التي سميت ليكسوس liscus في العهد الروماني وقد تحقق هذا التواصل في فترتين اثنتين أولاهما أيام امتداد النفوذ الكنعاني الفينيقي إلى الخليج وثانيتهما عندما انطلق هذا التأثير عبر التخوم الجنوبية اليمنية للجزيرة المحاذية للربع الخالي، حيث تواكبت مظاهر حضارية شتى، ولا تزال في المنطقتين وذلك بالإضافة إلى باقي منطقة الخصيب إلى (بابل)، حيث تداولت أمم كلدانية وآشورية وحورابية وبابلونية انحدرت جميعها حسب أغلبية المؤرخين حتى الغربيين منهم من أقصى جنوب الجزيرة العربية مما يضفي على المناطق الثلاث طابعا خاصا أسيسته وحدة حضارية متكاملة وقد قدمت بحثا مطولا في الموضوع ضمن محاضرة ألقيتها بدعوة من (الديوان الأميري) في أبي ظبي في الثمانينات حول الوشائج الأثيلة بين شقي العروبة من الخليج إلى المحيط منذ أعرق العصور، وقد تعززت هذه النظرة العلمية بعد ارتفاع الحواجز الاستعمارية المصطنعة منذ أوائل السبعينات يوم استمعنا إلى أغنيات يمنية بلهجة محلية تفهمها سكان الأطلس رغم ما اعتورها من دخيل في الجانبين خلال الأجيال المتعاقبة وهذه الحقيقة تفند ما زعمه (ابن خلدون) نقلا عن (ابن حزم) من عدم دخول العنصر الحميري إلى المغرب الكبير بدعوى عدم إشارة مؤرخي مصر إلى مرور (افريقش الحميري) بدلتا النيل، وهو وهم نستغرب وقوع ابن خلدون فيه بل إنه يحمل في طياته دلالة على عراقة الأصالة بين المغرب وصحرائه لأن افريقش هذا قد اجتاز (بحر القلزم) (البحر الأحمر) ليصل من اليمن إلى أقصى تخوم الصحراء المغربية.

كانت بلاد الحجاز تابعة للماليك قبل انصياعها للعثمانيين في عهد (الشريف بركات) في حين لم يمتد الحكم العثماني على غرار المغرب إلى أرض نجد التي قيض الله آل سعود لكفالة حريتها وحرية سواحل الخليج العربي بكامله ففي نفس الوقت الذي كانت (الأستانة) تحاول بسط نفوذها على (الأحساء) مستغلة الاضطرابات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية انبرى آل سعود معززين بحركة الإمام محمد بن عبد الوهاب لإصلاح هذا

المجتمع ونشر بذور الوحدة والقضاء على عصبيات الجاهلية الجهلاء التي شجعها العمال العثمانيون فكان في طموحاتها الانفصالية حتفهم لأنها استحالت إلى عشائر تسلب وتنهب، جاعلة من قرى ومدن الجزيرة وطرقها وشعب قوافلها طعمة لغاراتها كما فعل الاستعمار الغربي في المغرب الأقصى عندما كان يبث سمومه منذ نفس الفترات لبث الشقاق والفتنة وإثارة القبائل ضد الأسرة العلوية الحاكمة التي استطاعت مثل المملكة السعودية أن تعزز تحرير المغرب من قيود العثمانيين ومن سيطرة (الإيبيريين) على جيوب ساحلية وذلك بفضل اعتصامهما بروح إسلامية أسيستها عروة السلفية الوثقى والشعور الفياض بضرورة ضمان وحدة الكيان وبذلك تأصلت منذ ثلاثة قرون في شقي العروبة من الخليج إلى المحيط مملكتان عربيتان إسلاميتان قدر لهما أن تنطلقا في ظروف متواكبة.

فعندما كان الأشراف بالحجاز والأدارسة في (عسير) كان مقرن بن مرخان النجدي يبسط سيادته على الأحساء وقطر والقطيف وهو جد الموانعة الأسرة المعروفة في (نجد) والتي أسست (إمارة الدرعية) فتجاوز سلطانها حدود (نجد) منذ طليعة القرن الثاني للهجرة حيث ظهر محمد بن سعود بن محمد بن مقرن أمير الرياض وانبرى معه مجدد المذهب الحنبلي محمد بن عبد الوهاب لاستئصال الفوضى الفكرية والسياسية التي حادت بهذا المجتمع البدوي عن سنن الشريعة في خضم لا قانون له في المعاملات والأقضية والأحكام، وزاد الطين بلة تطاحن الأمراء في سبيل السطو على الجار - على نسق أمراء الطوائف - قتلا وسبيا وهتكا للأعراض في نعرة قبلية نكراء استعر أوارها داخل بلاد (نجد) نفسها وربما أكثر من غيرها فلم يستطع آل عثمان رغم قواهم العارمة الحد من هذه البلبلة التي تمكنت قوتان فتيتان من إحالتها إلى مهادنة ومؤاخاة عندما ازدوجتا في وحدة عززت الدنيا بالدين في شخص الزعيمين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ومن هذه الزاوية يجدر أن نقرر قدر الانبعاث الذي حققه العلويون بالمغرب الأقصى والسعوديون في الجزيرة العربية والذي أعاد للشريعة صولتها وللحرية أبعادها وللمناطق المشتتة وحدتها وللعمران رصانته وللكيان أصالته مما مكن لجزيرة العرب أن تجمع شتاتها لأول مرة منذ العهد العباسي لمواجهة تحديات العصر في أقدس مكان في الدنيا ! وكانت هذه الأشتات المبعثرة تتطاحن في أنين موصول تحت وطأة نواب السلطان العثماني أحمد الثالث (1115 هـ/1143 هـ) في نفس الوقت الذي كان آل عثمان يشددون الضغط على المغرب الأقصى أواخر العهد السعدي.

وقد شجعت ضربات الأتراك، قيام انفصاليات بالمغرب تحت شعارات مفتعلة : عبد الله أعراس في الحسيمة والخضر غيلان في الهبط والدلائيون في الأطلس الأوسط وكروم الحاج في مراكش والحوز وأبو حسون بودميعة بسوس والأطلس الصغير، فقيض الله لهذه الأمة السلطان المولى إسماعيل - وكان سلفه قد انبثقوا مستقدمين في ترحاب وإجلال من (ينبع النخل) في الجزيرة العربية - لتحرير المغرب من شوائب المغير الأجنبي وخاصة البرتغاليين والأسبان بإجلائهم عن بعض الجيوب التي اقتطعوها من سواحل المغرب فانعتقت المهدية عام 1092 هـ وطنجة عام 1095 هـ والعرائش عام 1101 هـ واستمر نضال الأمير البطل قرابة ربع قرن (1083 هـ/1111 هـ) تكلل - إضافة إلى تحرير حواضر استراتيجية - باستئصال الإمارات الطائفية الخمس ورفع علم الوحدة من جديد شمالا وجنوبا إلى تخوم النيجر بأقصى الجنوب.

ومن غريب الصدف أن يكون الأمير محمد بن سعود قد تولى إمارة (الدرعية) عام 1139 هـ/1726 م في نفس السنة التي توفي فيها زعيم الوحدة المغربية المولى إسماعيل بعد أن استكمل كيانها في الشق الغربي للعروبة ! فيما انبرى ابن سعود لاستتمام وحدة الكيان الشرقي ! وقد قام في نفس السنة (1139 هـ / 1786م) ابن الطيب الصميلي الشركي برحلة ضمن ثلاث توجد نسخة فريدة منها في خزانة «ليبسك» بألمانيا الشرقية، بينما سبقتها رحلتان قبل

عامين لعبد الله بن أحمد الروداني، وأحمد بن أبي عصرية الفاسي.

ولعل من سر القدر أيضا أن يعزز هذان الاتجاهان الوحدويان السلفيان في الوطن العربي بل في قلب العالم الإسلامي منذ عام 1160 هـ/1747 م باتصال الأمير محمد بن سعود بالشيخ محمد بن عبد الوهاب في نفس السنة، وظهور سلطان المغرب ومجدد السلفية محمد بن عبد الله بن اسماعيل بعد سنتين (1162 هـ/1749 م) للحد من النطاقات المقتعلة التي تبعدنا عن أصالة الفكر الإسلامي السمح البسيط ويكفي أن نستجلي بعض روائع الدعوتين[1].

لنلمس مدى تلاحم الصحوة السلفية في البلدين !

ولكن بالرغم عن قيام حواجز مصطنعة إبان الإيالات العثمانية بالمغربين الأدنى والأوسط فقد ظلت الصلات وثيقة بين شعب المغرب المسلم ومهد النبوة وظهرت طريقة سنية حمل رايتها الصوفي أبو محمد صالح دفين آسفي منذ القرن الثامن الهجري اقتصر شعارها على ترحيل الحجيج من المغرب إلى الحرمين وتوفير النزلات ومتطلبات السفر على طول المراحل. وكان هؤلاء الحجيج يتواكبون طوال السنة في الجادات والسبل الكبرى عبر الصحراء ضمن (الركب الصالحي)، وكانت القوافل تنحدر من السودان الغربي وشنقيط لتتجمع بسجلماسة أو مراكش ومنها عبر ما سماه (الرحالة ابن المليح) بطريق الفقهاء أي فقهاء عالم المدينة المنورة مالك بن أنس انحيازا عن تجمعات الخوارج في المناطق المجاورة.

غير أن هذا المسار الذي وحدت مراحله فيالق الجيوش الإسلامية منذ الثلاثينات الأولى من الهجرة النبوية قد تجددت دعاماته بعد طول سبات مفتعل قبل عام 1182 هـ/1768 م فاستوثق الرباط التليد مع منبثق الرسالة ومنطلق الوحي.

ذلك أن السلطان المولى عبد الله بن المولى إسماعيل عمل منذ عام 1155 هـ على إمداد الحرمين الشريفين برصيد مزدوج فكري ومالي تبلور في 23 مصحفا محلى بالذهب ومرصعا بالدر والياقوت (في ضمنه المصحف العقباني أي مصحف عقبة بن نافع الذي توارثه ملوك المغرب بعد المصحف العثماني) وفي سبعمائة حصاة من الياقوت واستطاع نجله محمد الثالث بفضل سطوه على البحر المتوسط وصده غارات أوربية وأمريكية على الشواطئ الليبية في المغرب الكبير - أن يجهز ركب الحاج المغربي بهدايا ثمينة ومال جم وجوائز سنية وخيول مسومة قد طهمت بالسلاح الشاكي دعما للنضال الإسلامي ضد الجهل والفقر ! وقد عمت البادرات والعطاءات السلطانية بلاد الإسلام كافة منذ عام 1182 هـ حيث تم افتكاك ألف وستمائة جزائري كانوا في قبضة الإسبان لاستكمال فداء أربعين ألف أسير مسلم على رأس الألف الهجرية بعد المائتين (عام 1200 هـ) وقد بلغت الأرصدة الممنوحة من المغرب للحجاز واليمن وحدهما عام 1199 هـ ثلاثمائة وخمسين ألف ريال بالإضافة إلى الحقاق المختومة الخاصة بقادة السيف والقلم وهو مبلغ باهظ بالنسبة لذلك العصر !

ولعل من مميزات هذا الإشعاع إسهام المرأة المسلمة في المملكتين في دعم الدولة والدعوة معا وذلك في شخص زوجة الأمير محمد بن سعود وزوجة السلطان المولى اسماعيل وجدة محمد الثالث فقد دعمت الأولى الوصلة بين زوجها والشيخ محمد بن عبد الوهاب وشدت من عزيمة الزعيم السعودي في الكروب والملمات أمام تحديات الأعداء وأمست الثانية وهي الأميرة خناثة بنت بكار سندا لزوجها في النكبات ومستشارا مسددا في شؤون السياسة والدين، وقد حفظت لنا وثائق القصور الملكية نسخة (الإصابة) للحافظ ابن حجر حافلة بهوامش وتعاليق رصينة بخط

---

1) صنف المولى محمد بن عبد الله عدة كتب لدعم السلفية السنية منها : 1) الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية) وهما : صغرى جمعها من الصحيحين ومسند أبي حنيفة وموطأ مالك، وكبرى أضاف إليها مسندي الشافعي وابن حنبل وشرحهما بنفسه (المكتبة الحسنية بالرباط (9450/7140/7070/524)/ المكتبة العامة بالرباط (1985 د/1408 د). 2) الجامع الصحيح الأسانيد المستخرج من ستة مسانيد (أربعة أسفار في خزانة جامع القرويين (ل 747/40)/المكتبة الحسنية 1708).

الأميرة التي قامت شخصيا برحلة إلى الحجاز عام 1143 هـ/1730 م[2].

فاستعراضنا لمجالات هذا التجديد المزدوج في البلدين يرجع إذن إلى فترة بدأ العالم الإسلامي يغط خلالها في ركود وجمود عارمين كنتيجة لتألب الأحلاف الصليبية والحركات الاستعمارية الناشئة ضد الإمبراطورية الإسلامية.

ولن نستطيع ـ مهما حاولنا ـ استيفاء الملامح البارزة في شخصية المجددين العظيمين المولى إسماعيل ومحمد بن سعود :

لقد وفق الأمير ابن سعود في عمارة الصحراء وتحرير الإنسان العربي في الصحراء وضمان استقلال هذا الجزء من الوطن العربي عن كل مؤثر أو مؤشر أجنبي مهما كان نوعه بتأسيس نواة هذا الاستقلال منذ أزيد من ثلاثة قرون أصبحت المملكة السعودية بعدها المحور المحرك بين قارتي آسيا وافريقيا !

ولعل المغرب الأقصى قد ساند هذه الصحوة السعودية ومهد لها ـ دون قصد ـ عندما زحزح البرتغاليين من الخليج قبل ذلك بقرن ! فقد كان البرتغاليون ينيخون بكلكلهم الصليبي على الخليج فلم تستطع أساطيل الدولة العثمانية زعزعتهم عام 945 هـ/1538 م فانسحب آل عثمان مضطرين إلى مياه البحر الأحمر وطفق الاستعمار البرتغالي ينهش ويحز في كيان الاقتصاد العربي والإسلامي بالمنطقة فانكمشت الموارد وعم الفقر واقفرت الموانئ بانهيار المراكز التجارية واختل توازن كفتي الاقتصاد وهما الصناعة والزراعة في حين اشتدت وطأة العمال العثمانيين في فرض الجبايات المختلفة مما أدى إلى استفحال بواعث الانحلال والتمزق ومرارة الكيد والعسف والابتزاز وهنا انبرى المغرب الأقصى ليحقق ما عجزت عنه دار الخلافة العثمانية في صراعها ضد الصليبية وكان ذلك عام 986 هـ/1578 م عندما انتصر المغرب على التكتل الصليبي الذي ضم جنود أوربا والفاتكان في (معركة وادي المخازن) حيث قتل زعيم الحركة الاستعمارية البرتغالية الدون سيبستيان Don Sebastien ومسحت بلاد البرتغال من خريطة أوربا طوال اثنتين وستين سنة واندمجت في اسبانيا فانهارت رواقد الاستعمار البرتغالي في الخليج بانهيار قاعدته في القارة الأوربية وتفتت إمبراطورية البرتغال البحرية التي لم تستعد استقلالها المحدود إلا عام 1050 هـ/1640 م، وقد تنفس الحجاز الصعداء وبدأت الجزيرة العربية تستعيد ثروتها ورغدها رغم الفوضى القبلية إلى أن قامت حاضرة الرياض السعودية. ولما تمض على التحرر عقود من السنين ـ فعززت وحدة الجزيرة في تحرر موصول من الحكم العثماني كما حرر المغرب بعض جيوب الاستعمار وأعاد لأسطوله في المتوسط صولته حتى خطبت وده أساطيل الدنمارك والسويد وبريم وهامبورغ بدفع إتاوة سنوية إلى المغرب لحمايتها من سطوة القرصنة الدولية في البحار، وقام هذا الأسطول فيما بين 1171 هـ/و1204 هـ سدا منيعا في وجه الغزو الأجنبي وكانت الإمبراطورية العثمانية في طريق الأفول فتقلصت بذلك المعارك الدامية بين الإسلام والنصرانية وخلفتها قرصنة الجمهوريات القائمة على سواحل البحر الأبيض المتوسط.

☆ ☆ ☆

ولم يكن صدى الحركة الوهابية قد وصل آخر القرن الثاني عشر الهجري إلى المغرب الذي كان ملوكه يولون اهتماما خاصا لكل شاذة وفاذة عن ماجريات الجزيرة قلب العروبة النابض ولذلك ما كاد المولى سليمان بن السلطان المولى محمد بن عبد الله يعتلي أريكة العرش المغربي عام (1206 هـ/1791 م) إي قبل وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بسنة واحدة (1207 هـ/1792 م) حتى حقق الوصلة بين السلفية العلوية والسلفية الوهابية في سند متتابع الحلقات ستكلل مزاهره في عام 1406 هـ بمرور قرنين كاملين على هذه الانبعاثة المزدوجة، فقد وصل كتاب

2) راجع نص الرحلة للإسحاقي (المتوفى عام 1150 هـ/1737 م) في مكتبة جامعة القرويين (ج ل 80 ـ 383).

الأمير عبد الله بن سعود[3] إلى فاس وكان قد وجه خطابات مماثلة إلى الآفاق كالعراق والشام ومصر وباقي بلاد المغرب الكبير «يدعو الناس إلى اتباع مذهبه والتمسك بدعوته فاهتم المولى سليمان بالأمر رغم مواجهاته ضد الأحلاف الصليبية الأوربية التي حالت خلال عقدين من السنين دون تركيز الصلة مع العالم الإسلامي عامة والمملكة السعودية خاصة، وأولى عناية كبرى بالفكر السلفي الوهابي عندما بدأ العثمانيون يهاجمونه في مناوشات استعرت في انتفاضة قاسية ضد الوهابية خلال ست سنوات من 1229 هـ/1813 م إلى 1235 هـ/1819 م ولم يسع سلطان المغرب إلا أن يوجه عام 1226 هـ نجله الأمير إبراهيم إلى الحجاز، في ركب حافل ضم جماعة من علماء المغرب وأعيانه مثل الفقيه العلامة القاضي أبي الفضل العباس بن كيران والفقيه الأمير بن جعفر الحسني الرتبي والفقيه العلامة الشهير أبي عبد الله محمد العربي الساحلي وغيرهم... وقد لاحظ الوزير محمد أكنسوس في تاريخه (الجيش العرمرم) أن الأمير ورفاقه «قضوا مناسكهم وزياراتهم على الأمن والأمان والبر والإحسان.. ما رأوا من الأمير ابن سعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المنكر الحرام وتنقية الحرمين من القاذورات والآثام التي كانت تفعل بها جهارا من غير نكير..» وقد جرت مناظرة بين وفد علماء المغرب والأمير عبد الله بن سعود فلوحظ توافق وجهات النظر في القضايا التي طرحت وكان يظن أنها محط خلاف كالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي وحياة الأنبياء في قبورهم وزيارتهم ومنع العامة الذين يشركون العبودية بالألوهية ويطلبون من الأموات أن تقضي لهم أغراضهم التي لا تقضيها إلا الربوبية. وكانت كلمة الأمير السعودي الجليل موضوع تقدير حيث أكد «أن سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكر مصير الزائر إلى ما صار إليه المزور ثم يدعو له بالمغفرة ويستشفع به إلى الله تعالى ويسأل الله تعالى المنفرد بالإعطاء والمنع بجاه ذلك الميت إن كان ممن يليق أن يستشفع به، ثم واصل الأمير حديثه حسب الرواية المغربية عن شهداء عيان قائلا : «هذا قول إمامنا أحمد بن حنبل رضي الله عنه ولما كان العوام في غاية البعد عن إدراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعة».

وقد استقى أبو عبد الله محمد أكنسوس هذا الحديث الأميري القيم بكل أمانة ممن حضر، وقارن بين تقولهم فكانوا جميعا وفق نظر ابن سعود مما زاد الروابط وثوقا بين المملكتين رغم دسائس خصوم الوحدة الإسلامية الحق.

ولا بدع فقد كان المغرب منتدى الفكر السني، أصدر ملكه المولى سليمان - فيما أصدر من ظهائر ومراسيم - رسالة ضد المواسم المبتدعة ودعا الناس إلى العودة لنهج السلف الصالح مع موالاة الإجلال والتقدير لكل تصوف سني على غرار الحافظ ابن تيمية في فتاواه الرصينة التي عرف كيف يميز فيها بين الصوفية وأدعياء التصوف.

وقد سجن السلطان الصوفي الكبير مولاي العربي الدرقاوي ست مرات عندما تراءى له من أمره ما لم يتفق وظاهر السنة كما أوقع والده المولى محمد بن عبد الله عام 1119 هـ بزاوية أبي الجعد وهم عرب عمريون ثم تراجع عند التأكد من براءتها وقد والى المولى سليمان إكرامه لمن صلح من الصوفية كآل الشرادي المعاقلة غربي مراكش إلى أن ظهر أحد الحفدة وهو المهدي الذي حاد عن نهج العلم واتخذ - كما يقول صاحب (نشر المثاني) شيئا من كتب العلم من غير أن يكون له فيه يد تعتبر ثم تظاهر بمعرفة السيمياء والحدثان فازداد ناموسه وتمكن من جهلة قومه فاضطر السلطان إلى الإيقاع بزاويته حسما لتوالي التحديات والابتداعات، ثم أوقع السلطان المولى عبد الرحمن الذي عهد إليه المولى سليمان بالملك بدل أولاده لعلمه وفضله. بزعيم آل الشرادي لادعائه المهدوية وآب

3) الاستقصا ج 3 ص 144.

ذووه إلى الرشد فأمسك السلطان عن قتلهم وكان وقافا عند الحق دائرا مع الشرع حيث دار».

وهذا التواكب بين الدين والدنيا قد تبلور خلال العهد السليماني - على غرار ما تم في نفس الفترة في المملكة السعودية برد الفروع إلى أصولها وإجراء الخلافة على قوانينها وإقامة العدل[4] وحسن رعاية الشعب وتوفير الرغد الاقتصادي بنمو الماشية والمحاصيل الزراعية واتساع آفاق الثقافة. وبذلك تحققت ثلاثة محاور لنشر الفكر الإسلامي الصحيح وتطوير الاقتصاد والإسهام في صد الزحف الصليبي على الإسلام.

وشاءت إرادة الله أن تتواكب العروض الجغرافية للصحراء العربية شرقا مع عروض الصحراء الغربية على طول المحيط الأطلنطيكي في وحدتين متراصتين دعمتهما البيعات المتوالية في البلدين الداخلة مع المدينة والرياض والكويرة مع مكة وطرفاية مع تبوك وخيبر مع العيون. كما شاء القدر أن يتعاصر في المملكتين طوال عشرين سنة (1932 - 1953 م) مجددان فذان هما جلالة المرحوم محمد الخامس وجلالة المرحوم عبد العزيز بنسعود الذي وحد المملكة وجدد معالمها منذ أربعين سنة.

ورغم الانفصام الموقوت الذي أوقف المد الحضاري بين المغرب وصحرائه برهة من الزمن فإن جلالة الحسن الثاني - على غرار أخويه الملكين فيصل وخالد ابني الأمير عبد العزيز - قد أعطى انطلاقة حاسمة لهذا المسار فحقق في عقد من السنين مالم تنعم به الصحراء طوال قرون.

وفي هذه الآونة أحال ءال سعود الميامين صحراء المملكة إلى حقول امتازت عن باقي الصحراء العالمية بمزاهرها التي تغطي أرضا يتفجر الغيم فيها عن أنداء مبللة فتستحيل قحولتها إلى خصوبة فياضة بالعشب والكلأ يضفي المناخ الساحلي على جنباتها الرطبة الحارة اخضرارا كثيفا أينعت في بحبوحته واحات كانت قبل الكشف عن البترول عام 1365 هـ / 1945م أغنى مناطق المملكة الأربع، وهذا أولا الحجاز الممتد من السهل الساحلي على طول البحر الأحمر إلى الحاجز الجبلي الحامي للحرمين وثانيا (عسير) المستطيلة في امتداد جنوبي الحجاز إلى اليمن حيث ترتفع القمم في تخومها إلى ثلاثة آلاف متر وثالثا منطقة نجد بحاضرتها الرياض مهد الوهابية وعاصمة المملكة السياسية وتكتمل لبنات هذا الهيكل بناحية (الأحساء) المحاذية للخليج العربي حيث نبعت آبار النفط وأينعت أعظم الحقول الزراعية.

صحراوان عربيان يسيران في خط حثيث ليصبحا المدد الفياض للعروبة والإسلام من المحيط إلى الخليج!

وهو مد تكفل ازدهاره معالم مطردة كيفت نوى الاستقرار العمراني الذي بدأ يزحف بصورة لا مثيل لها في العالم إرساء للبدو الرحل في قرارات ثابتة كيفت المجتمع البدوي الذي حقق طفرة كبرى لم يعرفها منذ عشرات الأجيال.

وكفى آل سعود فضلا أن تحققت في عهدهم وعود ربانية جعلت من أرض النبوة ومنبع الرسالة منطلقا لتطور مادي وروحي أينعت مجاليه باليمن ومجالاته بالرغد الآمن والثراء الكامن كما امتدت جذور مملكة الحسن الثاني في فترة قياسية متحدية عوادي الزمان ونوائب الحدثان في تواكب مع معطيات الحضارة العلمية الحديثة ومبادئ القرآن !

وقد عرف جلالة الملك فهد بن عبد العزيز كيف يحلل[5] ويركز معطيات الفكر الإسلامي النابعة من دعوة الإمام محمد بن سعود والتي تبلورت بعد ثلاثة قرون متمثلة في التزام المملكة بالشريعة الإسلامية ومشاركة العالم الإسلامي محنه وهمومه والدعوة إلى مبادئ القرآن الذي لا يتعارض مع العلم بل يحث على البحث عن المعرفة الحق في منجزات تواكب الحضارة المعاصرة.

☆ ☆ ☆

---

4) الاستقصا ج 3 ص 169.

5) حسب تصريح ملكي لمبعوث جريدة (فيغارو ماكازين) في الرياض.

وتعزيزا لهذا المسار الموصول بين المملكتين نورد سردا لأزيد من عشرين رحلة مع التنصيص على وثائقها البيليوغرافية قد رتب فيها علماء مغاربة أفذاذ روائع المثالث والمثاني خلال القرنين الحادي عشر والثاني تليها عشر رحلات في فترات لاحقة يجمع ما انتثر من عناصر فكرية وحضارية حول البلدين من شأنها أن تسلط الأضواء على جوانب ظلت غامضة أو محدودة، في علاقات المملكتين وقد عززناها برحلات قام بها أصحابها منذ عهد المرابطين كابن العربي المعافري في القرن السادس وابن جبير وابن سعيد المغربي وأبي القاسم التجيبي السبتي ومحمد العبدري، في القرن السابع وابن جزي وابن رشيد ومحمد الرعيني الفاسي وابن بطوطة في القرن الثامن ومحمد بن سليمن الجزولي في القرن التاسع وعبد الله الوردي المراكشي في القرن العاشر وذلك بالإضافة إلى ما سجله رسل الفكر بين البلدين[6] خلال ألف عام في مذكرات ورسائل.

سرد الرحلات خلال القرون الثلاثة :

1 ـ محمد بن أحمد بن مليح السراج له رحلة حجازية اسمها (أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب وسيد الأعاجم والأعارب).
ارتحل من مراكش عام 1040 هـ ـ 1630م صحبة الركب الحجازي (نسخة بالمكتبة الكتانية في عشرة كراريس عدد 3152) وقد حققها الأستاذ محمد الفاسي.

وقد صحب ابن مليح هذا علي بن عبد القادر الشرقي باشا السودان (أي السودان الغربي أو السنغال الحالية) الذي ترأس ركب حجيج السودان حيث كانت مواكب الحجيج تتجمع في دكار إلى سجلماسة أو فاس لتأليف قوافل مشتركة.

2 ـ عبد الله بن محمد بن أبي بكر أبو سالم العياشي (المتوفى عام 1090 هـ / 1679م)، له رحلة اسمها (ماء الموائد) في مجلدين طبعت بفاس عام 1316 هـ ـ 1898م ورحلة أخرى سماها (تعداد المنازل) (نسخة بخزانة الشيخ عبد الحفيظ الفاسي).

3 ـ أحمد بن محمد أحزي الهشتوكي له رحلة اسمها (هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام وزيارة. النبي عليه الصلاة والسلام) قام بها عام 1096 هـ ـ 1684م (توجد نسخة بخط المؤلف بخزانة تمكروت رقم 276).

4 ـ محمد بن محمد المرابط الدلائي الفاسي (المتوفى عام 1099 هـ ـ 1687م له (الرحلة المقدسة) (في 136 بيتا) ذكر فيها منازل الحج من فاس إلى المدينة المنورة.

5 ـ محمد بن عبد الله الولاتي الشهير بمولاي الشريف المتوفى عام 1101 هـ ـ 1689م له رحلة ربما ضاعت (الإعلام للمراكشي ج 5 ص 48).

6 ـ الحسن اليوسي جمع رحلته ولده محمد وقد قام بها عام 1101 هـ ـ 1689م (توجد نسخة منها في المكتبة الحسنية بالرباط عدد 2343).

7 ـ أحمد بن عبد القادر بن علي القادري المدعو علال (المتوفى عام 1133 هـ ـ 1721م، له رحلة سماها (نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس) (أي أحمد معن الذي رافقه إلى الحج عام 1100 هـ ـ 1689م (توجد نسخة في المكتبة الحسنية بالرباط عدد 87 وكراريس في الخزانة الفاسية).

8 ـ عبد الواحد بن الصنهاجي السوسي (المتوفى عام 1135 هـ/1722 م) له رحلة ذكرها الشيخ الحضيكي في الطبقات.

---

6) كتبت بحثا مطولا في هذا المجال نشر في كتابي (معطيات الحضارة المغربية).

9 ـ عبد الله بن أحمد أبو مدين الروداني الدرعي (المتوفى 1137 هـ/1723 م) له رحلة حجازية (نسخة بخزانة تمكروت في مجلد).

10 ـ أحمد بن أبي عمرية الفاسي الفهري (المتوفى عام 1137 هـ/1723 م) له رحلة حجازية نقل عنها صاحب (نشر المثاني) في ترجمة ابراهيم بن محمد الشاوي الريفي.

11 ـ محمد بن عبد القادر الإسحاقي الجيلالي المتوفى عام 1150 هـ/1737 م) له رحلة قام بها عام 1143 هـ/1730 م مع الأميرة خناثة بنت بكار أم السلطان مولاي عبد الله بن المولى اسماعيل العلوي (تقع في مجلدين يوجد الأول بخزانة جامع القرويين عدد ج ل 80 ـ 383).

12 ـ محمد بن منصور العامري التازي (المتوفى حوالي 1170 هـ/1756 م) له (الرحلة العامرية) وهي همزية في وصف المراحل إلى الحرمين ضمن 335 بيتا، وقد قام بها عام 1152 هـ (توجد نسخة بالمكتبة الأحمدية السودية بفاس ونسختان بمكتبة محمد المنوني بمكناس إحداهما بخط المؤلف) وقد نشر الأستاذ المنوني نص هذه الرحلة في كتابه (ركب الحج المغربي ص 88).

13 ـ محمد بن الطيب الصيلي الشركي المتوفى بالمدينة المنورة عام 1170 هـ/1756 م له ثلاث رحلات منها واحدة قام بها عام 1139 هـ/1726 م توجد نسخة فريدة منها في خزانة (الييسيك) بألمانيا الشرقية.

14 ـ أحمد بن عبد الله الغربي الدكالي الرباطي المتوفى عام 1178 هـ/1764 م رحل إلى المشرق عام 1140 هـ/1727 م وأخذ عن شيوخ الحرمين وطار صيته في الحجاز.

15 ـ محمد بن عبد السلام ابن ناصر (المتوفى عام 1239 هـ/1823 م) له (الرحلة الكبرى) في سفرين رحل عام 1196 هـ/1781 م اختصرها عباس بن ابراهيم المراكشي في كتابه (الإعلام.. ص 193 ـ 233) وتوجد نسخة في مكتبة تامكروت في جزء ضخم ونسخة بالمكتبة العامة بالرباط عدد 2327 (النصف الأول) والمكتبة الحسنية بالرباط (عدد 147).

وله رحلة صغرى قام بها عام 1211 هـ/1776 م (مجلد وسط في الخزانة السودية بفاس).

16 ـ ابراهيم السوسي العيني (المتوفى عام 1199 هـ/1784 م) له رحلة في مجلدين عثر على نصفها بخط المؤلف في قرية داود بتزنيت جنوبي غرب.

17 ـ د بن عثمان المكناسي وزير السلطان المولى سليـ ـان (1202 هـ/1787 م) له (إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب) نسخة في مكتبة النقيب ابن زيدان ضمت إلى المكتبة العامة بالرباط.

وهناك رحلات مغربية شتى تم منها في القرن الثاني عشر بخصوص علماء سوس وحدهم رحلة أبي مدين اليبوركي ورحلتا أحمد أحوزي الكبرى والصغرى ورحلة عبد الواحد بن الحسن الصنهاجي وغيرهم تليها عشر رحلات منذ ذاك لأصحابها :

1 ـ عبد المجيد بن علي الزبادى المنالي الفاسي المتوفى (عام 1209 هـ/1794 م) له رحلة سماها (بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام) (نسخة في المكتبة العامة بالرباط رقم 1808 د (184 ورقة) وأخرى بالخزانة الفاسية بفاس.

2 ـ محمد بن محمد بن محمد التامراوي (المتوفى عام 1285 هـ/1868 م) له رحلة قام بها عام 1242 هـ أوردها بنصها محمد المختار السوسي في (المعسول) ج 8 ص 198 ـ 213).

3 ـ العربي بن محمد الدمناتي له رحلة ذكرها أبو عيسى المهدي بن سودة في ترجمته من فهرسته وقد رحل قبل 1244 هـ/1828 م (وهي تعد مفقودة).

4 ـ أحمد المصطفى ابن طوير الجنة الشنجيطي له رحلة المنى والمنة) قام بها عام 1245 هـ/1829 م.

5 ـ أحمد بن علي بن محمد دينية الرباطي (المتوفى عام 1282 هـ/1864 م) لـه رحلـة قـام بهـا عـام 1267 هـ/1850 م ذكرها حفيده في كتابه (النسمات الندية) (طبعة الرباط (عام 1936 م ـ 1355 هـ).

6 ـ أحمد بن العربي ابن حسون الوزاني لـه (الرحلة الوزانية الممزوجة بالمناسك المالكية) (8 كراريس) وقد رحل عام 1269 هـ/1852 م.

7 ـ إدريس بن عبد الهادي الشاكري (المتوفى عام 1331 هـ/1913 م) له رحلة في كراستين توجد نسخة منها في المكتبة العامة بالرباط عدد 1115 د وأخرى في مكتبة الكلاوي وقد حج عام 1288 هـ/ 1871 م وتوفي بالحجاز في رحلة ثانية.

8 ـ محمد بن الحسن السبعي له رحلة قام بها عام 1310 هـ/1892 م (نسخة بمكتبة الكتاني الملحقة بالمكتبة العامة بالرباط.

9 ـ عبد السلام بن محمد العطي السرغيني العمراني المراكشي له رحلة قام بها مع شيخه سيدي محمد الكتاني عام 1321 هـ/1903 م توجد نسخة منها بخزانة الشيخ عبد الحي الكتاني الملحقة بالمكتبة العامة بالرباط.

10 ـ محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (المتوفى عام 1345 هـ/1926 م) له (الرحلة السامية للأسكندرية والحجاز والبلاد الشامية) ألفها عام 1322 هـ/1904 م (توجد منها سبعة كراريس).

11 ـ محمد بن علي الطرابلسي المعروف بزغوان له رحلة اسمها (النفحات القدسية في الرحلة الحجازية (نسخة بالمكتبة العامة بالرباط عدد 1836 د (103 ورقة).

وقد تخللت هذه الرحلات وفود سلطانية رسمية كالتي وجهها السلطان محمد بن عبد الله في جولتين اثنتين قبل أن يموت عام 1204 هـ وقد بعث السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام أولاده إلى الحجاز وزودهم بالمال الجم لأشراف الحرمين ورصد عشرة آلاف ريال لاقتناء حبس بمكة ومثلها بالمدينة.

وقد أسهم المغرب في التعريف بنهضة وانبعاث الجزيرة العربية في ظل آل سعود من خلال من جاور من المغاربة في الحجاز فقد طاف الكثير منهم في المعمور ونقلوا روائع الفكر الإسلامي العربي منذ القرن الخامس الهجري.

ونخص بالذكر من هؤلاء بعض رجالات القرن الحادي عشر الذي واكب ظهور الأسرة السعودية منهم :

1 ـ محمد بن محمد العقاد المكي (المتوفى عام 1030 هـ/1620 م) الذي تولى قضاء اليمن بتدخل من المنصور السعدي.

2 ـ محمد المجيدري اليعقوبي الذي كان أحد أربعة لم يبلغ أحد مبلغهم في القرن الثاني عشر وكانت له جولات في الجزيرة العربية وسائر أقطار الشرق.

3 ـ عبد الله السوسي الأديب الشاعر الذي استفاد من علماء الجزيرة ونقل روائع نتاجهم إلى تونس.

4 ـ محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي الشاعر دفين المدينة المنورة (المتوفى عام 1311 هـ/1893 م) له تاريخ في علماء عصره افتتحه بشيخه علي بن طاهر الوتري مسند المدينة المنورة المتوفى عام 1261 هـ/1322 م) والذي زار المغرب مرتين (1287 هـ/1297 هـ) وأخذ عن علماء مغاربة كثيرين وأحيا موات الرواية بالمغرب وأنعشها بالمشرق (الاعلام للمراكشي ج 7 ص 135 ـ مخطوط شخصي).

5 ـ محمد بن أحمد بن سالم الصباغ المكي توفي في رحلته إلى المغرب عام 1321 هـ/1903 م له (تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام (الإعلام للزركلي ج 6 ص 247/ملحق بروكلمان ج 2 ص 815/ دار الكتب ج 5 ص 125).

الذكرى الخامسة والعشرون لجلوس جلالة الحسن الثاني على عرش المغرب

سجل للمفاخر والمكارم والإبداع

للأستاذ محمد حدو أمزيان
رئيس المجلس العلمي الاقليمي بتطوان

يحتفل الشعب المغربي في يوم 3 مارس 1986 بالذكرى الفضية لجلوس الإمام الأعظم والبطل الإسلامي الأكرم أمير المومنين وحامي حمى الملة والدين جلالة الملك الحسن الثاني أعز الله كلمته على عرش أسلافه الأكرمين في كل أقاليمه ومدنه وقراه احتفالا يبرز مدى تعلق الشعب بملكه وزعيمه وإمامه كما يرمز إلى اعترافه بفضائل هذا الملك العظيم والحصن الحصين والفرع الزكي من فروع الشجرة العلوية الشريفة.

ان فضائل جلالة الملك الحسن الثاني ومكارمه ونعمه على الشعب المغربي لا يمكن أن يتسع لها سجل أو تنحصر في جملة من القول مهما كان حجمه وبيانه كما أنها ليست بدعا من الصفات لوقت محدد من الأوقات بل هي فضائل ومكارم موروثة عن أسلافه المنعمين في كل عصر وجيل، ذلك أن ملوك الدولة العلوية الشريفة قد اعتادوا وحرصوا في مختلف أطوار التاريخ على الاهتمام بشعبهم والحرص على مصالح البلاد والحنو على الفئات الضعيفة وتفقد العناصر الحية فيه، والشعب المغربي من جهته يعي كل هذه الفضائل ويقدر هذه المكارم ويدين من أجل ذلك لهذا العرش الصالح وللملوك العلويين بالحب والوفاء في الحياة وبالاحترام والتقديس بعد الممات، وهذا الموقف الثابت والرباط القلبي الدائم هو الذي جعل من هذه الأمة قلعة من قلاع الإسلام الشامخة وحصنا من حصونه القوية ومهد الإيمان والجهاد في سبيل نصرة الحق وكسر شوكة التحدي المعادي للوطن والدين، من أجل هذه المثل العليا يحيى الشعب المغرب الذكرى الخامسة والعشرين لجلوس صاحب الجلالة الحسن الثاني العظيم على عرش الفضائل والمكارم ومن أجل ذلك أيضا تندفع الألسنة والأقلام للتعبير عما يجيش في قلوب الأمة من المشاعر وعما يراه كل واحد من المتدبرين في سير الأمور في سجلات المفاخر والأعمال التي تعود على الأمة بالخير والبركات وتحقق الآمال، وترفع شأن البلاد في الداخل والخارج.

إن سيدنا المنصور بالله أمير المومنين الحسن الثاني حفظه الله جريا منه على سنن آبائه وأجداده المقدسين له من العطف والاهتمام بمصالح الوطن مالا يتناوله حصر ولا

قلم أو لسان، ولو حاولنا ذلك لما وفينا بما يتطلبه المقام، ولكن ما لا يمكن كله لا ينبغي أن يترك جله، أو بعضه فالمغاربة مدينون لجلالة الملك الحسن الثاني بكل ما حصلوا عليه من **إنجازات وخطوات جبارة في طريق الإصلاح والنماء** في حياته السعيدة والمديدة بحول الله وهنا في هذه الكلمة الوجيزة نكتفي بذكر بعض النماذج التي تمثل مدى عناية وأفضال جلالة الحسن الثاني بمملكته الزاهرة، وخاصة من الناحية العلمية والدينية وهي أهم وأقدس في نظر المغاربة لما لهم من حرص وتمسك بدينهم وأصالتهم ووطنيتهم.

ففي عهده الميمون **انتعشت السياحة** انتعاشا عظيما بما أنجز من مشاريع سياحية عادت على السكان بالخير والرفاهية ومن أهم المشاريع المنجزة كذلك **إصلاح السدود القديمة وإنشاء سدود مهمة جليلة** الخطر في حياة السكان وتقدم الزراعة، ذلك أن جلالته يعرف بما أوتي من خبرة وبعد نظر وسداد رأي أن المغرب له طبيعة خاصة تكثر فيه الأمطار بحيث يمتاز عن غيره من بلدان إفريقيا الشمالية ولكن هذه الأمطار غير مضمونة ولا مستقرة على نظام ثابت فتضيع المياه عند غزارة الأمطار وتذهب إلى البحار وذلك ما يستوجب خزن هذه المياه في سدود مختلفة الأحجام كثيرة العدد لتستخدم في السقي والشرب وإنتاج الطاقة ولذلك أسس حفظه الله سياسة بناء السدود تحت شعار سقي مليون هكتار للاكتفاء الذاتي في ميدان الغذاء والطاقة.

ومن ذلك أيضا **إنشاء مناطق صناعية** لتشغيل الأيدي العاملة وإنتاج البضائع المختلفة لتقليص حجم الاستيراد من الخارج حتى تحفظ العملة الوطنية من الانسياب إلى جيوب الأجانب بلا عوض ولا رجوع. وكذلك **العناية بالسكنى** حيث أنجزت تجزئات كثيرة في سائر المدن استفاد منها المحرومون من السكنى من مختلف فئات الشعب بواسطة التسهيلات المهمة التي منحت للمستفيدين منها لتحقيق أمنيتهم في الحصول على المسكن اللائق لعائلتهم وبجانب ذلك **ما أنجز من الطرق وما أصلح من الطرق القديمة** ويستبشر السكان بما يرونه من أعمال الترصيف التي تنجز في أهم الشوارع.

ومن أبرز الدلائل على عطف وحنو جلالته على شعبه الوفي ما يظهره في كل مناسبة دينية أو وطنية من الرحمة **والعفو على المسجونين** الذين ساقتهم الظروف إلى غياهب السجن تاركين عائلاتهم وراءهم يقاسون الآلام والحرمان فهو يشاركهم مشاعرهم ويحس بآلامهم فيصدر أمره الكريم بالعفو أو التخفيف من آلامهم وغير ذلك من الأعمال الجليلة التي لا يمكن حصرها والتي تبرهن على مدى اهتمام جلالة الملك وحكومته بهذا الوطن وعلى القدر الضخم من الفضائل والمكارم على السكان الذين يدينون من أجل ذلك بالولاء والحب المكين لشخص جلالته وللبيت العلوي الشريف.

وليس هذا العطف والاهتمام والروح الأبوية منحصرة في أبنائه المغاربة في الداخل بل أن جلالته قد توجه من وقت بعيد إلى أبنائه **المهاجرين** الذين رمت بهم ظروف الحياة إلى المهجر لاكتساب العيش لهم ولذويهم وليعودوا على بلادهم بالخير والرفاهية، فاهتم بأحوالهم المادية والأدبية الدينية والدنيوية فكم أوفد من بعثات علمية لتثقيفهم وتوعيتهم وكم أنفق في سبيل تعليم أبنائهم لغتهم ودينهم وكم أوفد من رسل وسفراء للتفاوض مع أولي الأمر عندهم في حل مشاكلهم المختلفة وبالجملة فكأنهم في المهجر حاضرون وفي بعدهم قريبون حتى في الحياة الديموقراطية ببلادهم مشاركون.

أما الناحية التي تحظى باهتمام كل طبقات الشعب وتبعث في نفوسهم الغبطة والسرور أكثر فهي **الناحية العلمية والدينية** ففي هذه الناحية تتجلى بصورة أقوى فضائل سيدنا المنصور بالله ومكارمه على شعبه المخلص الشيء الذي حقق أمنيته التي انتظرها من جلالة الملك الحسن الثاني وحكومته الموقرة إلا وهي أن تتبوأ هذه البلاد المنزلة العلمية الموروثة لها من قديم الأزمان حتى تستمر في أداء رسالتها العلمية والدينية وفي إشعاعها الحضاري التاريخي.

لقد عرف الشعب قيمة **المنجزات في ميدان التعليم** من معاهد ومدارس تبعث على الاعجاب وذلك في مدة وجيزة بحيث تكافأت مع التوسع العمراني وازدياد السكان الذين وجدوا في المدرسة مقاعد لأبنائهم حتى أصبح ما ينفق على التعليم من ميزانية الدولة من الضخامة بحيث يفوق كل الميادين الأخرى كما هو معروف في أرقام ميزانية المغرب ففي سنوات قليلة انتشرت الجامعات في مختلف أنحاء المغرب مجهزة بالمرافق الضخمة ومخابر الدراسة وكونت في ظرف وجيز أطر مغربية حتى غدت الأطر الأجنبية ضئيلة فيها، وذلك بفضل عناية واهتمام مولاي وسيدنا المؤيد بالله دام مجده وعلاه.

ولقد غمرت الفرحة الكبرى والبشارة العظمى قلوب المواطنين في الشمال سواء في المدن أو القرى عندما تحققت آمال الجميع في استجابة رغبات السكان من مختلف الطبقات بعدما عبروا عنها بالعرائض والوفود وحرموا من حق لهم فيه سبب وجيه هي إنشاء نواة لجامعة تطوان هذه الجامعة التي تأهلت لاحتضانها مدينة تطوان منذ زمن بعيد لما كان بها من بذور ثقافية قديمة ولما اكتسبت من شهرة وتبوأت من منزلة محفوظة لدى السكان والطلبة منذ القدم.

وهكذا أصبحت تطوان تتوفر على كليتين مهمتين من كليات الجامعة العصرية هما كلية العلوم بتطوان وكلية الآداب بشاطئ مرتيل الذي ازدهرت فيه الحياة بشكل ظاهر بسبب هذه الكلية المهمة كما استفادت تطوان كعاصمة علمية فوائد لا تحصى من وجود هاتين الكليتين في رحابها وفي مقدمة تلك الفوائد تسهيل الطريق إلى منابع العلم على طلاب هذه الناحية لما كانوا يلاقونه من صعاب في سبيل الالتحاق بكليات الرباط وفاس، والأمل معقود على الإمام العظيم والأب الحنون على أبناء شعبه الأوفياء أن يتم عليهم نعمته ويكمل لهم وعده بإنجاز بقية فروع جامعة تطوان وتحقيق استقلالها التام وما ذلك على همته العالية بعزيز أعانه الله وسدد خطاه.

أما **الناحية الدينية** فقد علم سيدنا المنصور بالله ما للمغرب من مركز ديني وأثر ملحوظ في خدمة الثقافة الإسلامية منذ القدم وخاصة منذ بزوغ فجر النهضة العلمية بالمغرب الحديث حيث كانت البلاد تتوفر على معاهد إسلامية عظيمة الأثر في البلاد وكانت تتوفر على الأقسام الابتدائية والثانوية والعالية تسير فيها الدراسة سيرا منظما فلما توجهت عناية جلالته إلى هذه الناحية قرر أن يربط التعليم الإسلامي في الأقاليم بجامعة القرويين العتيدة بفاس حتى تكون في المغرب **جامعة إسلامية موحدة** تستظل برعاية جلالته بصفته أمير المومنين وحامي حمى الملة والدين وهكذا أنشأ في فاس كلية الشريعة وفي مراكش كلية اللغة العربية وفي إقليم سوس كلية الشريعة الثانية وفي تطوان كلية أصول الدين على أحسن نظام وخصص لها بنايات عصرية تشرح قلوب المومنين وقد أصبحت هذه الكليات مهوى أفئدة طلاب العلم من حملة كتاب الله وممن يرغب في التزود بالعلوم الإسلامية على يد أساتذة أكفاء من أعلى الأطر المتخرجة من الجامعة ودار الحديث الحسنية وتعد كليات جامعة القرويين قلعة ضخمة للدفاع عن الإسلام ونشر العلوم العربية والثقافة العامة لا غنى عنها ولا يمكن أن يقوم مقامها أو يسد فراغها أي مؤسسة أخرى غيرها كما أن هذه الكليات سدت فراغا آخر أمام الشباب والطلاب وأطلقت ألسنة الشكر والدعاء لأمير المومنين جلالة الحسن الثاني العظيم لما لهذه الكليات من آثار طيبة حيث تخرجت منها أطر مهمة خاصة في الميدان الثقافي والقضائي.

هذه بعض الفضائل والمفاخر لجلالة الحسن الثاني على الأمة المغربية في الداخل وله حفظه الله **عناية واهتمام بالأمة الإسلامية والعربية** وله طموح إلى خدمة الإسلام والعروبة في سياسته الخارجية، وهذا الميدان واسع لا يشق له فيه غبار ولا يمكن حصر بنوده في مقال ويكفي أن نذكر من أمثلة ذلك أن جلالته سباق دائما إلى المساعي الحميدة ومد اليد الغيورة إلى المسلمين في مختلف الظروف والأزمات فجلالته كان أول الداعين إلى

عقد اجتماع إسلامي لمساعدة شعب **أفغانستان** المسلم في محنته بسبب الاحتلال الشيوعي لبلاده. **وأما فلسطين** فله في شأنها موقف آخر إذ شارك بجيشه في حرب 1973 وللثورة الفلسطينية نصيب ضخم من الدعم المادي والمعنوي من طرف جلالته وشعبه المومن ولعل أكبر حمل تحمله في سبيل فلسطين هو رئاسته للجنة القدس تلك اللجنة التي عاهدت الله على أن تعمل كل ما في وسعها من أجل إنقاذ القدس من الصهيونية الغاصبة التي تسعى للقضاء على أولى القبلتين وثالث الحرمين.

ولكن مما يحز في النفس ويثير الأسى أن بعض الأخوة الأشقاء كأنهم أرادوا أن يوقفوا هذا الدعم الكبير لنصرة قضية المسلمين الأولى وهي فلسطين فخلقوا للمغرب مشكلا في الداخل وفتحوا عليه واجهة من الخلف وتفسوا عليه ما حققه بالعرق والعناء من **استرداد أقاليمه الجنوبية** من يد الاستعمار بفضل عبقرية وإبداع الحسن الثاني البطل فعزموا على الا يتركوا المغرب يقوى وينمو ولو كان ذلك على حساب قضية فلسطين الضائعة في متاهات السياسة الشهوانية الطائشة (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد).

ونختم هذا البحث الوجيز في تعداد أفضال ومكارم سيدنا المؤيد بالله على الأمة المغربية جمعاء بتلك العناية المولوية السامية التي توجه بها نحو **علماء الأمة** الذين هم روحها وقلبها النابض فأكرم جنابهم ورفع منزلتهم وقربهم فأصدر ظهيره الشريف سنة 1981 بتأسيس **المجلس العلمي الأعلى** تحت رئاسته الشريفة **والمجالس العلمية الإقليمية** لتكون هذه المجالس تحت إشراف المجلس الأعلى أداة للحفاظ على المقومات الإسلامية في الأمة ومرجعا للمسلمين في كل ناحية لمعرفة دينهم وأحكام شريعتهم ومركز حركة التوعية الدينية في سائر المساجد حتى لا تبقى في فوضى ينعق فيها كل ناعق ويدعو فيها كل دعي ومفسد وقد صان بذلك هذا الدين الذي هو أشرف ما تعتز به الأمة وأقوى رباط يربط أفرادها ويوجه العقول ويقوم الأفكار ويصلح القلوب ويهدي الناس إلى صراط الله العزيز الحميد ولما لتطوان من منزلة في العلم والدين حظيت باهتمام أكثر حيث عين فيها أكبر عدد من العلماء الذين يعملون في ميدان التوعية الدينية ينشرون تعاليم الكتاب والسنة ويعرفون الناس بأحكام دينهم على مقتضى التعاليم المولوية السامية وذلك تحت إشراف المجلس العلمي الإقليمي بتطوان وقد بلغ عدد العلماء المعينين لهذا الغرض في تطوان والنواحي التابعة للمجلس 35 عالما منهم (18) في تطوان و(5) في القصر الكبير و(4) في العرائش و(4) في شفشاون وواحدا لكل من مرتيل والمضيق والفنيدق وستة هذا زيادة على المجلس الذي يتكون من رئيس وسبعة أعضاء يشاركون في هذه الحركة المباركة ويصدرون الفتاوي في القضايا المرفوعة إليهم من مختلف الجهات.

وتلا هذا العمل الجليل تنفيذ خطوة أخرى في ميدان الإحياء والتجديد للثقافة الإسلامية والدراسات المغربية الأصيلة حيث قرر حفظه الله **إنشاء الكراسي العلمية** التي زخرت بها جامعة القرويين في الماضي والتي كان لها أثر عميق في رفع شأن المغرب ومشاركته الضخمة في خدمة الإسلام وتثبيت مركزه في هذا الجزء المهم والواجهة الحساسة من واجهات الإسلام، كما كان لهذا العمل العلمي الجبار أثر بعيد في نشر الإسلام في إفريقيا، وهكذا أنشأ جلالته عددا من الكراسي العلمية كخطوة أولى في العواصم العلمية الشهيرة فاس ومراكش وتطوان والبقية تأتي، وتتولى تنفيذ هذه السياسة **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية**.

وقد نفذ في تطوان خمسة من هذه الكراسي يشغلها خمسة من كبار العلماء متخصصين في المواد الإسلامية : التفسير والحديث والفقه والنحو والبلاغة والنية متجهة إلى امداد هذه الدروس بما تستلزم من ضروريات التسيير وإعانة الطلاب الملازمين وضمان مستقبلهم وما ذلك على جلالته وحكومته الساهرة على خدمة الوطن والدين بعزيز.

وان المجلس العلمي بتطوان الذي يشعر بكامل المسؤولية الملقاة على عاتقه من طرف جلالة الملك المفدي والذي يبذل قصاري جهوده في سبيل أداء رسالته المنوطة به ليهتبل هذه الفرصة السعيدة بهذه السنة المباركة التي أتم فيها أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني 25 سنة من حكمه العادل وملكه السعيد الفاضل ليعبر بهذه الكلمة القصيرة عن امتنان الشعب وولائه ووفائه وفي مقدمتهم العلماء والأئمة والمرشدون وسائر أهل العلم والدين بهذا الإقليم مجددين له الولاء والحب المكين داعين له بطول العمر والصحة والعافية حتى يحقق لأمته وأمم الإسلام ما تصبو إليه من عز ومنعة كما نسأله سبحانه أن ينصره على أعدائه وأن يمده من عنده وييسر له كل آماله ومطامحه وأن يقر عينه بسمو ولي عهده الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه السعيد مولاي رشيد وسائر أفراد الأسرة الشريفة أنه نعم المولى ونعم المعين.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• من واجب دعاة الإسلام أن يجتمعوا على كلمة سواء، ويدعموا فيما بينهم روابط التضامن والإخاء، وأن يعملوا على أن تكون دعوتهم خالصة لوجه الله يسودها طابع التعاون والصفاء ••

مواقف ومنجزات في العهد الحسني

للأستاذ مصطفى العلوي

بمناسبة الحدث العظيم الذي يعيشه الشعب المغربي المومن المكافح - عيد العرش الفضي - لجلوس قائده الملهم أمير المومنين الحسن الثاني، أعزه الله ونصره، على عرش أسلافه المنعمين، عرش الكفاح والنضال من أجل الحفاظ على مقدسات الأمة الإسلامية في هذا الجناح الغربي من عالم العروبة والإسلام، من عقيدة إسلامية وسلوك وأخلاق مما هو منهج متميز في الحياة والعمل لهذا الشعب الكريم، قيادة وقاعدة، منذ أن تأسس هذا العرش وهاته القيادة في مطلع القرن الثاني للهجرة النبوية وعندما حل بهاته الربوع سبط المصطفى ﷺ إدريس الأول، وبايعه المومنون الأولون في هاته الديار، فرغم القرون الطويلة التي تفصل بيننا وبين ذلك التاريخ المجيد، ظل هذا الشعب الكريم وفيا وملتزما بالبيعة التي يعقدها لقادته عن طواعية، وبالصفة الإسلامية التي يقتضيها مضمون الآية الكريمة : ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما**﴾ تلك البيعة التي تلزم طرفيها المبايع بالطاعة والامتثال والمبايع له بحسن القيادة ورعاية شؤون الأمة والحفاظ على مقومات كيانها، دينا ودنيا، عقيدة وعبادة وسلوكا وأخلاقا، ووحدة كلمة وقيادة وسيادة.

ذلك سر دوام هاته القيادة واستمرارها هذه القرون الثلاثة عشر منتقلة من يد أمينة إلى أخرى وفية، وكلما حدث خلل في أداء هاته الأمانة ونجم عنه تصدع في كيان القيادة، انتقلت بالبيعة إلى جهة هيأها الله تعالى لتحمل تلك المسؤولية ردحا من الزمان تبعا لمشيئة الله، وكذلك أثبت تاريخ هاته الأمة أنها تسير في النهج الذي رسمته تعاليم ديننا الحنيف، مبنيا على الشورى بأسلوبها الخاص (شورى ذوي الحل والعقد) فانتقلت قيادتها من أبناء إدريس إلى المرابطين فالموحدين فالمرينيين فالسعديين ثم العلويين، والجدير بالذكر، أن الأمة المغربية في هذا الجناح الغربي من أرض العروبة الإسلامية ظلت محتفظة بكيانها الخاص، ولم تدن بالتبعية للخلافة في بغداد أو القاهرة إلا رمزيا وفي بعض الفترات فقط.

إما الخلافة العثمانية فلم تحظ من المغرب حتى بالرمزية وإنما وقف المغرب في وجه زحفها على الحدود المغربية الجزائرية وراء عين صالح وما بعدها وما والاها شرقا، إلى حدود ليبيا ومالي في الجنوب الشرقي. غير أن هجمة الاستعمار الغربي الصليبي على العالم الإسلامي في القرون الأخيرة حققت الفكرة الاستعمارية التي تقول (فرق تسد) وكما جزئت الأراضي التابعة للخلافة العثمانية التي نعتوها بأنها «تركة الرجل المريض» وأرغموا آخر خلفائها

(عبد الحميد) على التنازل عن كرسي الخلافة، لمصطفى كمال الذي لقبوه (أتاتورك)، والذي أعلن الدولة التركية العلمانية وألغى الكتابة بالحرف العربي وأضاع على الأمة التركية المسلمة تراثها الحضاري فأصبحت في تبعية الغرب الصليبي بدعوى التقدمية والحضارة المعاصرة. فكذلك عمد الغرب إلى تجزئة الأمة المغربية ومزق ترابها إلى مناطق، احتل كثيرا منها قبل عقد الحماية الذي فرضه على الدولة المغربية في أوائل القرن العشرين 1912 فاقتطع أجزاء شاسعة من جنوب المملكة وشرقها واقتطع برسم الاحتلال صحراء المغرب الشرقية وضمها إلى مستعمرته «الجزائر» التي ألحقها في الوضع السياسي بالتراب الفرنسي ابتداء من عين صالح شرقي توات إلى واد الساورة وما وراءه كتميمون وتديكلت وغيرها.

واقتطع ما عرف بالساقية الحمراء ووادي الذهب وخص بها الاستعمار الإسباني والحق بها منطقتي طرفاية وسيدي يفني، ومنحها عند عقد الحماية منطقة الشمال بما فيها مدينتا سبتة ومليلية والجزر المتوسطية المعروفة بالجزر الجعفرية وحجرة الناكور. ثم اقتطع من ذلك مدينة طنجة التي أرادها أن تكون بمثابة مركز حراسة ومراقبة على وفاء الأطراف المعنية بالتدخل في المملكة المغربية حسب الأوفاق المبرمة بين ذوي الأطماع المختلفة : فرنسا وبريطانيا وألمانيا وأخيرا إسبانيا التي لا تزال متشبثة بالمدينتين مليلية وسبتة والجزر المتوسطية واستأثرت فرنسا بالمناطق الوسطى واحتلتها تحت اسم الحماية، متعهدة بالحفاظ على ما وجدته فيها من كيان متكامل لمملكة ذات سيادة وعرش عليه ملك في عهدته بيعة شعب متحد مسلم. وقد اعترف بذلك الماريشال ليوطي عندما نصب مقيما عاما على منطقة الحماية يومئذ.

غير أن الظروف الدولية والتطور الحضاري لم يكن فيما يبدو من صالح المستعمر، فقد قامت الحرب العظمى وتغيرت بذلك مفاهيم كثيرة من الأوضاع لدى كثير من الشعوب خصوصا تلك التي سبق أن تآمرت على وحدة الأمة المغربية ومزقتها شر ممزق.

وفي غمرة أحداث الحرب العظمى هاته، كانت الحركة الوطنية في المغرب بمناطقه الموزعة خصوصا منطقتي الحماية الفرنسية والإسبانية، قد رشدت بزعامة بطلها المغوار الملك المجاهد محمد بن يوسف قدس الله روحه. فقد كانت الحركة تطالب بالاستقلال التام الناجز بدون قيد ولا شرط خصوصا بعد عريضة يناير 1944 والتي تمثل فيها التناسق التام بين العرش والحركة الوطنية فتردد الحاكمون وارتبك رأيهم في الأمر، وبعد عشرين يوما من الاستعداد السري في شراء بعض الضمائر الخربة واكتساب العملاء قاموا باعتقال بعض قادة الحركة الوطنية الذين علموا أنهم ممن تزعموا الأقدام على هاته الفعلة الكبرى فيما يظنون. ولكن الشعب المغربي قام برد الفعل في مظاهرات وتجمعات انطلقت من المسجد. والمسجد دائما هو المعقل العقائدي والقيادي في أمة الإسلام منذ بعث رسول الإسلام محمد عليه السلام.

ورغم النفي والسجن والقتل والتعذيب الذي سلطه الحاكمون على الشعب المومن فإن ذلك كله لم يزد هذا الشعب إلا تماسكا وتضامنا ونضالا من أجل انعتاقه وتحرره واستقلاله المنشود.

وتجاوزت الوطنية المغربية هاته الحواجز بفضل قيادة رشيدة من زعمائها وعلى رأسهم جلالة محمد الخامس.

من ثم عقد جلالته رحلته المشهورة عام 1947 إلى مدينة طنجة التي كانت دولية وبها ممثلو الدول المعنية بما سلف ذكره آنفا، وألقى كلمته المشهورة، والتي أعلن فيها أن المغرب جزء لا يتجزء من الجامعة العربية، الأمر الذي زاد في حقد الحاكمين على محمد الخامس وجاءت رحلة فرنسا سنة خمسين وتسعمائة وألف وقد كان الفرنسيون يظنون أن باستطاعتهم أن يستميلوه إليهم ويبعدوه عن الوطنيين، وفي رحلته هاته أقاموا لجلالته احتفالات لا نظير لها في بلادهم ولا فيما يقيمونه لرئيس أية دولة، ولكن عند المفاوضة التي جرت بينه وبينهم كان متصلبا بشدة في موقفه من استقلال بلاده، وعند رجوعه بدأوا في تدبير آخر مؤامرة ضده. وذلك بأعداد الرأي العام،

في زعمهم، لكي يتمكنوا من أرغامه على الاستقالة عن عرشه، لينصبوا بدله من يكون طوع إرادتهم، حتى يظلوا في حكمهم المباشر تحت اسم الحماية. وفعلا بدأوا يزيحون من الطريق من يعلمون أنهم سوف لا يخضعون للأمر الواقع، فاعتقلوا ونفوا كل العناصر التي تثير حفيظة الشعب ضد إجراءاتهم المتعسفة والتي تؤدي إلى تنفيذ خطتهم دون أن يكون وراءها رد فعل من جماهير الشعب التي بدأت تعي ما ترمي إليه إجراءات الحاكمين.

ورغم ذلك فقد ظل القائد العظيم صامدا لا يتزحزح عن موقفه وكانت كل المواقف البطولية التي وقفها جلالة محمد الخامس بمساندة نجله العزيز ولي عهده آنذاك جلالة الحسن الثاني الذي ورث سر أبيه فقد كان وهو في ريعان شبابه معروفا بالشجاعة وحسن التدبير، ولذلك كان لمواقفه إلى جانب والده العظيم أثر كبير في اتخاذ المواقف الصارمة وبالحكمة التي يقتضيها المقام. وهنا أرى من المناسب أن أسجل موقفا من هاته المواقف التي يجب أن لا تنسى فيما تنسيه الأحداث ويختفي تحت غبش توالي الأيام، والقصة أرويها عن رجل ثقة، صار إلى عفو الله من خواص جلالة محمد الخامس، وذات يوم كان داخل القصر يؤدي واجبه العلمي لدى الأسرة الملكية الكريمة ولما أنهى درسه وخرج، وجد مستشارا آخرا يتحدث إلى العاهل الكريم في مقابلة أجراها هذا المستشار مع الإقامة العامة. وهو يبكي متأثرا من تصلب هؤلاء في موقفهم. وكان ولي العهد حفظه الله يستمع. فراعه أن الوسيط بين جلالة والده والخصوم يبكي، وهو يقص على سيده ما سمعه منهم، فقال ولي العهد حفظه لوالده : يا سيدي **ايذن لي في أن أذهب وأفاوض هؤلاء، أنا الذي لا أبكي**. فأذن له واتصل بهم هاتفيا وأخذ الموعد وذهب. وكان موقفه هذا مشجعا ومساندا لموقف والده العظيم.

ومما يدل على أن الموقف كان صعبا وحرجا أن أحد جلساء جلالة الملك انبرى للسيد راوي القصة، وهو يتحدث إلى العاهل بما يشجعه ويحبذ موقفه وصموده في مواجهة الخصوم - من آيات قرآنية وأحاديث نبوية - انبرى هذا الجليس يلوم الشيخ المتحدث ويقول له : إنكم لا تفكرون في عواقب ما تقولون. وما تدفعون إليه سيدنا من مواقف صعبة وخطيرة. فأجابه الشيخ قائلا : دعني حتى اتمم حديثي مع سيدي واجيبك. فلما أنهى حديثه مع جلالة محمد الخامس. قال للذي يلومه أن جوابك في قوله الله تعالى : ﴿**فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نحشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أوامر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين**﴾. صدق الله العظيم. فبهت الذي يلومه وسكت.

وبالرغم من كل الأحداث فقد استمر محمد الخامس متصلبا في مواقفه البطولية. وظل الخصوم في غوايتهم سادرين. وكان ولي العهد يومئذ جلالة الحسن الثاني أكثر صلابة في اتخاذ المواقف وبصرامة الأمر الذي شهد به الخصوم. فقد نشرت الصحف الفرنسية التي كانت تصدر بالمغرب والمعروفة بصحافة ماس صورة لولي العهد تحت عنوان (عدو فرنسا الأول) (والفضل ما شهدت به الأعداء). وذلك قبل أن يتم تدبير المؤامرة القصوى لعشرين غشت 1953 لخلع الملك الشرعي محمد بن يوسف وتنصيب الدمية العميل على العرش.

ومعلوم أن المؤامرة تمت ونقل الملك البطل وأسرته إلى المنفى السحيق بجزيرة كرسيكا ثم مدغشقر ليمكث بها سبعا وعشرين شهرا كان فيها الشعب والاستعمار في مواجهة شديدة انتهت بخضوع الحاكمين لإرادة الشعب المومن الذي وهب نفسه لله في نصرة الحق والانعتاق من كابوس الحماية البغيض، فكانت مفاوضة أكس ليبان، التي تقرر فيها إرجاع الملك الشرعي إلى وطنه، يتربع على عرشه، معتزا فخورا بشعبه الذي فداه وفرض الحق على المغتصبين، فعاد الملك إلى عرشه وهو يتمثل قول الله تعالى : ﴿**الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور**﴾.

وعندما عاد جلالته منتصرا على خصومه الأجانب وعملائهم من ضعاف الإيمان من المواطنين ترفع عن

محاسبتهم وقال كما قال جده المصطفى عليه السلام يوم فتح مكة للمشركين أعداء التوحيد - إذ هبوا فأنتم الطلاقاء - فكان كبير النفس، كاظما للغيظ، متمثلا قول الله تعالى : ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾. فالرجل العظيم عندما قال كلمته قالها عن اقتناع ويقين بأن الله هو الذي يجازي المحسنين وقد فعل سبحانه فنصره ونصر جنده وشعبه وذلك جزاء المحسنين.

أما ولي عهده ومناصره والذي شد أزره في كل المواقف الصعبة والذي ورث سره وعرشه عند التحاقه بالرفيق الأعلى فقد كان كما أراده والده العظيم في كل المجالات نعم الخلف لخير سلف. وقد أجمعت الأمة على بيعته بولاية العهد في حياة والده، وتقلد المناصب الخطيرة تحت إشرافه، كقيادة الجيش ورياسة الحكومة، وخاض مع والده المعارك السياسية قبل الاستقلال وبعده، وحاز قصب السبق في كل مهمة انتدبه والده إليها، ولذلك ما أن فاضت روح والده بحكم الأجل المحتوم (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) ما أن حدث هذا الأمر العظيم الذي هز الأمة بأسرها من دون استثناء حتى هرع الجميع وليس أهل الحل والعقد فقط، وإنما أفراد الشعب رجالا ونساء، شبابا وشيبا، رجالا ونساء، هبوا جميعا إلى بيعته بيعة إجماع لا نظير لها في التاريخ أبدا. ونظرا إلى أنه متشبع بالفكر الديمقراطي. فلم يمض إلا قليل من الوقت حتى فكر في وضع أسس الديمقراطية العصرية وعرض على الأمة دستورا قل ان يوضع مثله.

أما في الميدان العلمي فحدث ولا حرج فكم من جامعة أسست بأمره وبرعايته وتوجيهه، فهذه جامعة الحسن الثاني بالبيضاء، وتلك جامعة محمد ابن عبد الله بفاس، إلى جانب جامعة القرويين أقدم جامعة في العالم العربي والإسلامي، وتلك جامعة محمد الأول بوجدة. وهذه جامعة القاضي عياض بمراكش.

أما المعاهد العليا فكثيرة نذكر منها. معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة. والمدرسة الحسنية لتخريج المهندسين. والمعهد الوطني للدراسة القضائية. والمعهد الوطني للإحصاء. والمعهد الوطني للبريد والمواصلات. والمعهد العالي للتجارة وغيرها من المعاهد العلمية في مختلف المدن والأقاليم والتي لا أحصيها عدا : وأخيرا تتويج جامعة القرويين بمعهد عال للدراسة العليا في علوم القرآن والحديث (دار الحديث الحسنية) التي أمر بإنشائها. ودشنها في شهر رمضان المعظم عام 1384 هـ 1964م في مجلس الدروس الحسنية التي تلقى برئاسته في القصر الملكي يحضرها أكابر العلماء من الأقطار الإسلامية. ومما ورد في خطاب التدشين قوله حفظه الله :

لقد كانت أمنية عزيزة علينا هاته التي نحققها اليوم بتدشين دار الحديث الحسنية في هذا الحفل الذي يضم طائفة من علمائنا. ونخبة من حاملي مشعل الهداية بيننا منذ أن أولانا الله مقاليد هاذه الأمة. ونحن بحكم التربية التي أنشأنا عليها والدنا المقدس، طيب الله ثراه، ونور ضريحه، نعمل لتستمر الهداية الإسلامية تنير بإشعاعها الخالد هذه الديار باذلين في سبيل ذلك كل نصح وتوجيه ومحصنين مقوماتنا التي نعتز بها من كل زيغ وتضليل وتحريف مومنين بأن لا صلاح للأمة الإسلامية إلا بما صلح به أولها.

إلى أن يقول حفظه الله : **وإن فتوحات المغرب العلمية لا تقل شانا عن فتوحاته السياسية.**

ويقول رعاه الله : **وإن تراثنا الإسلامي والمغربي منه بصفة خاصة لخليق بأن يحملنا على الاعتزاز به. ومن أجل ذلك فنحن مدعوون للمحافظة عليه وشمله بمزيد من العناية التي تقيه خطر العفاء والاندثار.**

ويشير نصره الله في كلامه أثناء التدشين إلى أن الدروس العلمية التي عرفتها جامعة القرويين أول جامعة إسلامية في العالم. والتي حج إليها رواد المعرفة حتى من أوربا كانت **عصارة ما انتهى إليه الفكر البشري.**

ثم يقول : **لقد كانت العناية الإلهية تجود على وطننا بين الفينة والأخرى بسلاطين مجددين يبعثون أمجادنا ويحيون تراثنا من إدريس الأصغر**

والمنصور الموحدي إلى المنصور السعدي وسيدي محمد بن عبد الله ومولاي الحسن الأول ومحمد الخامس.

وعند الحديث عن هاته المؤسسة ومناهجها وطلابها قال حفظه الله : «ستضم ثلاثين طالبا سيتخصصون في الدراسة الإسلامية طيلة أربع سنوات على أن يتزايد هذا العدد كل سنة على أن يدرس الطلبة فن الحديث متنا وسندا ورواية ويتخصصون في كل ما يقوى مراكزهم وينمي معلوماتهم في هذا الفن الأصيل من قواعد وفروع وأصول وما يقترن عادة بدراسة علم الحديث».

ويشير إلى أن القصد هو تخريج علماء لن تكون مهمتهم الوعظ والإرشاد **ولكن علماء يكونون الإطارات التي تعادل في كفاءتها وإطلاعها من عرفه المغرب من علماء مرموقين في هذا الميدان.** وقد أصبح عددهم يتضاءل بكل أسف.

وفي جواب ألقاه فضيلة العلامة سيدي عبد الله كنون الأمين العام لرابطة علماء المغرب، جاء ما يلي :

فدار الحديث التي تدشنها جلالتكم اليوم هي جامعة علمية في مظهر معهد عالي. وهي عمل يدخل في قول النبي ﷺ : «من أحيا سنة من سنني قد أميتت أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب» وقوله ﷺ : «من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء وكنت له شفيعا وشهيدا».

وقد سارت دار الحديث خطوات في الطريق اللاحب الذي اختطه لها منشؤها، نصره الله، وقد التزم طلابها بالدراسة الفعلية طيلة سنتين كاملتين، وصدر في شأنها ظهير شريف، وضع خطتها، وشروط الالتحاق بها، وذلك بتاريخ 1388/5/11 (1968/8/6) وأختير للتدريس بها أكابر العلماء الذين يتواردون عليها من جامعة القرويين وكلية ابن يوسف بمراكش وجامعة محمد الخامس أمثال الرحالي الفاروق، الجواد الصقلي، التهامي الوزاني، مولاي عبد الواحد العلوي، علال الفاسي، عبد الرحمان الغريسي، العابد الفاسي، ناصر الكتاني، والعباس الأمراني رحم الله الجميع والشيخ المكي الناصري حفظه الله وغيرهم.

وتوجت أعمالها بنتائج هامة فقد تخرج منها إلى سنة 1976 (211 طالبا) منهم أربعون من مختلف الأقطار تونس والأردن وسوريا وموريطانيا والنيجر وأندونيسيا وباكستان وفلسطين وتركيا والهند ويوغسلافيا وإيران وماليزيا.

وبعد انتهاء الدراسة الحضورية لمدة سنتين والنجاح فيهما يسمح للطالب بإعداد بحث هام في موضوع إسلامي علمي تحت إشراف أحد الأساتذة المتخصصين في ظرف عامين على الأقل يناقش أمام لجنة من العلماء لا يقل عددهم عن ثلاثة وبحضور جمهور من الطلبة والعلماء ينال بها الطالب شهادة دبلوم الدراسات العليا.

وبذلك يمكنه تحضير أطروحة لنيل دكتورة الدولة في مدة لا تقل عن سنتين ولا تتجاوز خمس سنوات، وقد صدر مرسوم يحمل رقم 73/162 بتاريخ 1393/2/29 - 1973/4/4 بتحديد الشهادات التي تسلمها دار الحديث.

وقد سجل 93 طالبا موضوعاتهم لاعداد البحوث لنيل شهادة الدبلوم إلى سنة 1976 غير أن الذين ناقشوا رسائلهم نحو ثلث هذا العدد وجلهم نال درجة حسن أو درجة مستحسن أو ممتاز.

كما سجل كثيرون منهم موضوعات لأطروحاتهم وفعلا نوقش بعضها ونال أصحابها شهادة دكتوراة الدولة وكل المتخرجين يوجدون اليوم في مختلف الوظائف السامية والمهام العلمية في التعليم والقضاء وغيرهما من الحقول الأخرى.

ولدار الحديث مكتبة علمية هامة نشأت مع مولد دار الحديث سنة 1384 وكان بها أول الأمر حوالي ألف مجلد ولكنها استمرت في نمو مطرد حتى بلغ تعدادها سنة 1976 حوالي ثمانية آلاف من أمهات الكتب والمراجع المهمة في الحديث وعلومه والتفسير وعلوم القرآن واللغة والأدب والتاريخ والجغرافية وعلوم التربية وكل ما يهم الدارسين.

إن جلالة الحسن الثاني أمير المومنين حقا وصدقا يريد لأمته الحفاظ على المستوى العلمي المعهود فيها منذ

كانت مفخرة الجامعات (جامعة القرويين) يغمر شعاعها أقطار المعمور. ولا شك أن ذلك الذي يعمل من أجله جلالته سوف يتحقق لأن همته كما عهد فيه، إذا تعلقت بشيء تحقق، فهو يبذل من فكره وجاهه ويقينه في أن الله لا يخيب أمله، ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه أن الله بالغ أمره**﴾. صدق الله العظيم.

أما في ميدان التنمية فإن جلالة الحسن الثاني أعزه الله لا يألو جهالا في كل الميادين الاقتصادية، فالسدود تقام هنا وهناك، مما يحقق أمله نصره الله في سقي المليون هكتار، طبقا لما أعلنه أعزه الله منذ سنوات ومن ثم فإصلاح الأراضي وتنظيم الزراعة يسير في الطريق اللاحب مما يكسب الشعب قوة ومنعة واكتفاء.

ومما تميز به العهد الحسني أيضا «مسيرة القرآن الخضراء» التي حررت الصحراء بطريق الاقناع والسلم، وهي حدث القرن العشرين تفتقت عنها العبقرية الحسنية، أمد الله في معناها، وحفظ للأمة المغربية قائدها وراعيها، وأقر عينه بطاعة شعبه، وبسمو ولي عهده الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه الأمير مولاي رشيد، ورزقه التوفيق في كل أعماله، وأمده بقوته، وأبقاه ذخرا لأمته، يرعى دينها ودنياها، إنه ولي التوفيق.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

• أنت شعبي العزيز، شعب أصيل فعليك أن تبقى أصيلا وعليك أن تبقى راعيا لمقوماتك من حضارة في تواضع، وكرم في اقتصاد، وشجاعة في رأي، وأخوة بدون قيد ولا شرط •

الملك العالم يخاطب العلماء

للأستاذ خليفة المحفوظي

يشهد المغرب في هذه السنة مناسبة عزيزة غالية، هي الذكرى الخامسة والعشرون لعيد العرش السعيد، في عهد صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني. ويشعر المغاربة في إحياء هذا العيد، بكثير من الحمد لله على ما وفقهم إليه من خير عميم، فيما أنجز من باهر الأعمال خلال ربع قرن من الزمان.

والحديث عن نعم الله سبحانه، راسخ في الجنان، مرتسم على المحيا، ظاهرة آياته البينات على الوطن، ماثلة في حياة الطمأنينة والأمن والسلام.

أما الحديث عن العرش المغربي، الذي يستمد عناصر قواه من متانة العقيدة وصفاء الإسلام، وعن صاحب العرش الملك المؤمن القوي، رجل السماحة والشهامة والتحدي، ومفخرة المغرب في المحافل والمجامع، فإنه سهل وميسور. ومن هنا فإن المناسبة كبيرة والاحتفال بها أكيد، وعرفان جميل بمن له الفضل والريادة والقيادة، في مسيرة التحرير والنماء والإزدهار.

وفي مساهمتي المتواضعة هذه، على منبر «دعوة الحق» في عددها الخاص، اخترت أن تكون مشاركتي تحت العنوان الذي أعطيته للمساهمة، ويدور موضوعه حول وقفات للذكرى والاعتبار، في فقرات من خطاب لصاحب الجلالة في الدورة الأولى للمجلس العلمي الأعلى.

كان ذلك في الرابع والعشرين من رمضان سنة اثنتين وأربعمائة وألف هجرية (موافق : 16 يوليوز 1982) وكان اللقاء الأول من نوعه مع العلماء بعد تأسيس المجالس العلمية في شكلها الجديد.

وللعلماء في المغرب منذ القديم مكانة مرعية، فهم صوت الحق والصدق والأمانة، وهم مشاعل الاهتداء في الملمات، وهم الأبناء البررة الأوفياء لهذا الشعب العريق، ومن هناك كان حب ملوك المغرب لعلمائه، وتخصيصهم بالرعاية والعناية.

وكان العلماء وما يزالون أوفياء لملوكهم، مراعين لعهود البيعة وشروطها، فمحضوا الحب والإخلاص لمحمد الخامس الملك المجاهد التقي النقي، ومحرر المغرب الحديث، وأسهموا بالنصيب الأوفى مع الشعب والعرش في جهاد التحرير، فتعرضوا لما تعرض له الواعون الراشدون من امتحان عسير، يوم مواقف الخلود في ثورة الملك والعرش الظافرة

ومحض العلماء ذلك الحب والإخلاص نفسه للحسن الثاني الملك العالم المستنير، فرعى جلالته لعلماء مملكته ذلك فأعلى من شأنهم، ووجدوا في صدره الرحب ما تضيق عنه صدور غير المهتدين.

ومنذ أن تولى الملك مولانا أمير المؤمنين، دأب حفظه الله على تشريع التراتيب لتنظيم الاختصاصات، وبيان مجال عملها في النهوض بالبلاد، وتأطير المجالات بما يناسب كل ميدان من ذوي الاختصاص فيه. وشملت العناية الملكية أهل هذه الإختصاصات بخطب تفيض وعيا وحكمة ودراية، فرسمت المعالم، وأنارت السبل، وأيقظت الهمم، وألهبت المشاعر، فاندفع الناس إلى القيام بالواجب، تحدوهم الرغبة في الخير، والعمل للصالح العام.

وجاء دور تنظيم مجالس العلماء، فكان هذا الخطاب الملكي الذي نجد فيه ما نجده في غيره من خطب صاحب الجلالة في تنظيم الجمعيات والهيئات الثقافية والإجتماعية

والتقنية، ولكنه يبقى متميزا بكونه خطاب ملك عالم إلى العلماء[1].

وبعد، فما هو مضمن هذا الخطاب الملكي ؟ وما هي ظروف توجيهه ؟ وما هي الرسالة التي يتحمل العلماء عبء مسؤوليتها في المجتمع ؟.

يرتكز الخطاب الملكي الذي ارتجله صاحب الجلالة حفظه الله في الجلسة الافتتاحية لأعمال المجلس على المحاور الآتية :

- محاربة الاستعمار الفكري.
- العودة إلى نهج السلف في نشر العلم.
- محاربة التحريف والإنحراف والبدع.
- العلماء هم الجسر السليم لتقريب الثقة بين الأمة والدين.
- الاندماج في المجتمع والإلتحام به.
- محبة جلالته لرجال العلم وحمايته للدين.
- حوار مستمر لوجه الله، وتفاؤل بخير الإسلام.

ذلك هو الإطار العام للخطاب أو مضمنه، وهو كما نرى يمكن أن يكون خطة مرسومة متكاملة، لعمل هادف بناء للمجالس العلمية، كفيلة بانبعاث دور العلماء من جديد في حظيرة المجتمع المغربي الحديث.

وهنا أجدني أمام خيارين اثنين : فإما أن اكتفي بالتعليق على كل محور من المحاور مهتديا في ذلك بالفكر الحسني المبدع، فأتمكن من التركيز والإختصار في الموضوع، وأما أن أسترشد بالإستشهاد بفقرات خاصة لكل محور من الخطاب فأتمكن من الإفادة بالمنطوق الحرفي فيه تعميما للنفع.

وأجدني أميل إلى الاختيار الثاني، لأن حديث الملك العالم هو حديث إلى كل العلماء، وهو أيضا إن كانت المناسبة فيه تخصص، فإن الموضوع فيه يفيد العموم. ومن هنا يكون الحديث موجها إلى علماء الإسلام قاطبة، باعتبار الدور الواحد، والميدان الواحد، والواجهة الواحدة.. ودعوة الحق، منبر تواصل بين العلماء كشقيقاتها في دار الإسلام، وليس من الميسور على من لم يكن بالمغرب أن تتوفر له وسائل الاطلاع، على الخطاب برمته أو على أبرز محاوره. وأبدأ وفق هذا المخطط بالمحور الأول.

محاربة الاستعمار الفكري :

في كلمات وجيزة، وضع الملك العالم أصبعه على عين الحقيقة، في أخطر مشكلة يكتوى بشرها العالم الإسلامي جميعه، وأعني بها الاستعمار الفكري، وهو يتمثل في طائفة من الناس، أخذت نصيبا من الثقافة الأجنبية التي جاءت مع الاستعمار إلى بلاد الإسلام، فانبهرت بها مفتونة منقادة، وربما أنساها ذلك حتى شخصيتها وانتماءها كما وقع في بعض الأقطار، وساء فهمها للدين وروحه وسماحته وطهارته، وما يعطيه للمتمسك به من ثبات ورسوخ واستقامة، وقد يتفاحش أمر الاستعمار الفكري، فيؤدي إلى زهد المستلب فيما عند أهله، فيسوء اجتهاده وتفكيره لغرابته.

وليس كل من نال حظا من الثقافة الأجنبية أصبح مستلبا ومستعمرا استعمارا فكريا، فإن القاعدة في أغلبية المسلمين المثقفين ثقافة أجنبية هي الثبات على اليقين والاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام، وإلى البلد الذي أنجبهم وجعل منهم رجالا، وإنما الذي انبهر منا واستلب هو شاذ القاعدة.

وعن هذه المشكلة الخطيرة، يخاطب الملك العالم العلماء رؤساء المجالس العلمية الذين هم أنفسهم أعضاء المجلس العلمي الأعلى، قال جلالته حفظه الله :

«إن المعركة التي خضناها بالماضي للتحرير الاستعماري، اكتست وجوها غير التي كانت له قبل، ولكن الإستعمار لا زال موجودا، ولا زال حيا : استعمار فكري، استعمار الرجال، استعمار سوء فهم الدين، استعمار سوء اجتهاد المجتهدين والمفكرين.

---

1) اعتمد نص الخطاب الملكي في المجلس العلمي الأعلى المنشور بالعدد : 8535 من جريدة «الأنباء» السنة التاسعة عشرة.

لهذا طلبت منكم في هذا التجمع الأول، أن تدرسوا - قبل كل شيء - الهياكل الإدارية والتنظيمية، ذلك أن الأهداف التي تريد أن تصلوا إليها، والغزوات الفكرية والعلمية التي تريد أن تقوموا بها هي - قبل كل شيء - منوطة بالهياكل أو بالدواليب الإدارية التي ستضعونها رهن إشارتكم، ورهن إشارة المسلمين كافة».

هذا هو المحور الأول، كما ورد في خطاب صاحب الجلالة الملك العالم إلى العلماء، وخلاصته هذه، تغني عن كل تعليق وإطناب، فهي جامعة مانعة هادفة.

أما المحور الثاني، فإنه خص بالحث على العودة إلى نهج السلف في نشر العلم وافشائه بين الناس.. ومن حق المواطن المسلم أن يستفيد من علم العالم المسلم، ومن واجب العالم أن يفيد مما علم، وزكاة العلم إنفاقه، والحكمة ضالة المؤمن يطلبها في كل وقت ومكان، وليس على طلب العلم حدود ولا قيود، فهو يطلب من المهد إلى اللحد، فكم من رجال نبغوا وهم في اليفاعة، وكم من رجال تفقهوا وهم كهول.

وإحالة العالم على الراحة أو إعفاؤه دينيا من مسؤولية التقصير في بث العلم وتبليغه، تتم في حالة واحدة هي شعوره بالعجز الصحي، بانعدام قدرته لشيخوخة عالية أو مرض قاهر، وإلا فإنه كتم ما علمه الله، ومن ثم فإنه استحق عقابه ويلجم بلجام من النار يوم القيامة.

فعلى هذا النهج القويم سار السلف الصالح من علماء المسلمين، في نشر العلم وتعميمه بين الناس، وعلى هديه سار علماء المغرب في كل عصر، ولذلك أحبهم المواطنون وأعلوا من شأنهم وحظوا منهم بالإحترام والتكريم.

العودة إلى نهج السلف في نشر العلم :

وعن هذا النهج يخاطب جلالة الملك علماء المغرب، خطاب العالم العارف بحق المواطن، وواجب العالم القائم بحق الله :

«إننا نعتقد شخصيا، أنه أولا يجب أن يعود المغرب في هذا الباب إلى سلف عهده، ذلك أن العلم وإفشاء العلم، لا ينقطع ولا يقف في أي وقت من الأوقات، ولا يوضع أي حد من الحدود للسن.

فالعالم يجب عليه ما دام قادرا، أن يفشي العلم بين الناس، عليه أن يدرس، وأن يبين للناس دينهم، وإلا فإذا هو كتم ما علمه الله، ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة».

إن العلم عند العالم رسالة وأمانة واجبة التبليغ، هذه هي رؤية الإسلام في بث المعرفة، ولا نعرف ديانة ولا قانونا لحضارة من الحضارات، سبق الإسلام إلى هذه الرؤية الخالدة.

وفي المحور الثالث من الخطاب، نجد الملك العالم يركز على مشكلة لا تقل خطورة عن المشكلة التي عالجها المحور الأول، وأعني بها محاربة التحريف والانحراف والبدع.

وظاهرة التحريف والانحراف والبدع، منزلق خطير، عرفته المجتمعات الأولى في تاريخ الإسلام، منذ حكومة المدينة، إلى زمن الأمويين بالشام، ثم إلى عهد العباسيين ببغداد.

لكن الإيمان القوي المتمكن في نفوس الناس يومئذ، كان يعطيهم مناعة تقيهم شرور ذلك المنزلق، رغم استفحال أمر الفرق والشيع.

وانصبت جهود السلف من العلماء على محاربة الجهل والبدع. فبث الثقافة الواعية يعطي المجتمع المسلم قوة تقيه من مفاسد التحريف والإنحراف والبدع، وهي إن أضيفت إلى عامل الإيمان، كانت حصنا أمينا للمسلم في حياته ودينه.

محاربة التحريف والإنحراف والبدع :

وللتذكير بالماضي لأخذ الدروس والعبر من أحداثه، كان تركيز الخطاب على شواهد منه، لمعرفة العلاج الناجع في محاربة زيغ اليوم، وشغب التحريف والانحراف والبدع، التي تغزو البلاد الإسلامية والمغرب منها بشتى الوسائل والطرق.

وعن هذا كلّه يقول جلالة الملك مخاطبا العلماء :

«علينا أن نعلم، أن السلف الصالح، من أيام المدينة المنورة، إلى أيام الأمويين، ثم إلى أيام العباسيين، أنهم كانوا لا يحاربون إلا الجهل ولا يحاربون إلا البدع، في منطقة جغرافية محدودة، وكان الناس والجل من الناس إن لم أقل الأغلبية، لا تصغى إلى تلك البدع ولا تعيرها إي اهتمام، لأن دعاتها أولا كانوا قلة، وثانيا كانوا معروفين على رؤوس الأصابع.

أما الآن فنحن نحارب التحريف والإنحراف والبدع، في كل منعطف من منعطفات أزقتنا، نحاربها في كل المنشورات التي تدخل إلى المغرب بأي لغة دخلت».

ويأتي المحور الرابع في الخطاب، فيبين دور العلماء في توعية المجتمع وتقريب الثقة بين الأمة والدين، إذ العلماء هم الجسر السليم في تقريب هذه الثقة، حيث يذهب الكثير ضحية بهرجة تيارات هدم العقيدة، وبخاصة في الأغرار ببعض الأوساط المنحلة الضعيفة، أو بين فئات معينة من الشباب لانعدام النضج لديها، أو لضحالة ما عندها من معرفة محدودة.

ولكي يكون العلماء جسر الوقاية والأمان في المجتمع، فعليهم أن يحصروا مهمة الدعوة، في نقطتين أساسيتين يبلغون بهما الغاية المنشودة من الدعوة والهداية. وهما :

أ ـ اماطة الأذى عن الطريق.

ب ـ الاندماج في المجتمع.

فبإماطة الأذى التي يقصد بها تحصين المسلم من الفتنة في عقيدته ودينه، وذلك بالتبشير والترغيب وفق شروط الدعوة إلى الله. وباندماج العلماء في المجتمع يتمكنون من معرفته، ويكتسبون ثقة الناس ومودتهم، ويمتد جسر التواصل معهم، فيبسطون للنقاش مختلف القضايا التي من شأنها أن تزيد المسلم وعيا بشؤون دينه، وتبعد عنه شرور الفتنة والضلال.

العلماء هم الجسر السليم لتقريب الثقة بين الأمة والدين :

هذا هو دور العالم الداعية القائم برسالة العلم، ومفهومها في المنظور الإسلامي، وهو ما أجمل في الفقرة الآتية من الخطاب الملكي :

«علينا أن نقرب الثقتين : ثقة الدين من ثقة المستهلكين لهذا الدين، ولا يمكننا أن نقرب الثقة بينهما إلا إذا كونتم أنتم من العلماء الجسر السليم الذي يربط بينهما، ولا يمكنكم أن تكونوا ذلك الجسر السليم إلا، أولا إذ حصرتم مهمتكم في الأول عند نقطتين مهمتين :

أ ـ إماطة الأذى عن الطريق :

«أولا : لأن درء المفسدة يسبق جلب المصلحة، إماطة الأذى عن الطريق وما هي إماطة الأذى عن الطريق في هذا الباب ؟ كل ما من شأنه رأيتم أنه يمكن أن يكون خطرا على حسن العبادات أو إتقانها أو معرفتها أو تطبيقها، أو كل ما من شأنه أن يزحزح المسلم عن فضيلته وعن أخلاق دينه، عليكم أن تحاولوا إماطته.

وهذه الإماطة تكون أولا بالتبشير وبالوعظ لا بالتغيير والقهر، ولأن المهم حينما يلتقى بكم مسلم، هو أن يرجع بعد لقائه بكم مقتنعا، لا خائفا أو منافقا أو مستعملا للرياء».

ب ـ الاندماج في المجتمع :

«ثانيا : عليكم أن تندمجوا حتى إذا أحسستم منهم خيفة فلا تخافوا، فعليكم أنتم الذين أتاكم الله بسطة في العلم والمعرفة، عليكم أنتم أن تمدوا اليد لا أن تنتظروا أن يأتي الناس إليكم.

وهذا لا يمنعكم بأن تخالطوهم في مذاكراتهم، وفي مناقشات الجميع في الأندية، جميع المواضع التي يناقشها أي رجل مع أصدقائه أو مع أصحابه، حتى لا تخلقوا حقيقة طبقة خاصة، في هذه السنين المظلمة الحالكة التي نرى المؤامرة تخيم بكيفية متقنة، وبكيفية مخططة على الإسلام، وروح الإسلام، وتطابق الإسلام مع الحياة اليومية».

ثم على العلماء أن لا يكونوا طائفة في المجتمع متميزة عنه، وتعيش منعزلة عن الناس، لأن ذلك سيؤدي

بهم إلى نوع من الرهبنة، ولا رهبانية في الإسلام، وسيبعد بهم عن مسلك السلف الصالح ونهج السنة المستقيم.

وهذا هو المجال الذي عالجه المحور الخامس من الخطاب، وأنه لملحظ يجب أن يحظى بالعناية من العلماء، فهم هداة المجتمع ودعاته، ولن يتمكنوا من معرفة أحواله إلا إذا كانوا مندمجين فيه وملتحمين به.

الاندماج في المجتمع والالتحام به :

وعن هذا يقول جلالة الملك في خطابه إلى العلماء :

«...والإسلام ضد الرهبانية، لا رهبانية في الإسلام، فلا يريد أن يقال عندنا في المغرب كما يقال في بعض البلاد المعروفة رجال الدين.. بمعنى أوضح يجب أن لا تكونوا مجتمعا في المجتمع، أو فرقة خاصة من فرق المجتمع، عليكم أن تندمجوا فيه فأنتم منهم وهم منكم.

إياكم ثم إياكم أن تظهروا إما فرادى أو جماعات أو مجالس أو هيكل ـ كهذا ـ أنكم رجال الدين، وإلا سنصبح في الرهبانية، وسنصبح في البدع، وسنصبح مخالفين للسنة، تلك السنة التي جعلت من المغرب هيكلا ودولة ونظاما وحصنا حصينا، منذ أن دخل الإسلام إلى هذا البلد، إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها».

وفي المحور السادس من الخطاب، يتكلم صاحب الجلالة عن محبته لرجال العلم وتقديره لهم، وعن مدى شعوره بأهمية واجبه الدستوري في حماية الدين.

ويذكر جلالته العلماء بأنه تربى ونشأ في بيت رعاه العلماء منذ القدم، وأن والده الملك المنعم بالرضوان كان يحب ويجل العلماء.

محبة صاحب الجلالة لرجال العلم وحمايته للدين :

إن محبة ملوك المغرب حقيقة ثابتة، وهي ظاهرة ليست غريبة، لأن ملوك المغرب كانوا في الأغلبية علماء.. وصاحب الجلالة حفظه الله عالم لا جدال في ذلك، وهذا ما يجعل هذه المحبة منه وسام تشريف وفخر من العلماء.

قال جلالته وهو يستبشر خيرا بما ستقوم به المجالس العلمية من عمل، تحت رعايته السامية الشريفة :

«وإني لمتفائل جدا بما ستقوم به جميعا، واعلموا ـ وفقكم الله ـ أنني زيادة على محبتي لرجال العلم، وتقديري لهم، واعتباري لقيمهم ولقيمتهم الشخصية، إنني تربيت في بيت رعاه العلماء منذ القدم، وتربيت تحت أب كان يحب ويجل العلماء.

من واجباتي الدستورية التي أنا مقتنع بها، ومؤمن بها، ومصر على القيام بها إلى آخر نفس، ألا وهو حماية الدين، وبما أن البعض في الكل، فحماية الدين والرجال الذين يشرفون على تعليمه ونشره وإفشائه بين المسلمين».

وإنه لعهد وأي عهد، ولن يقدر على الالتزام به، وعلانية على هذا النحو، إلا عظماء الرجال.. ومن حمى دين الله والقائمين به، فإن الله يحميه وينصره، ويمكن له ويعلي من شأنه وقدره.

وفي المحور السابع من خطاب الملك العالم للعلماء، يعلن جلالته عن تفاؤله بنجاح ما ستقوم به المجالس العلمية من أعمال جليلة، فيها عزة للإسلام ومناعة للمسلمين من الدجل والفتنة والبدع.

حوار مستمر لوجه الله، وتفاؤل بخير الإسلام :

إنه حوار مع العلماء، وحوار مستمر لوجه الله سبحانه، ومعلوم أن للمجلس العلمي الأعلى دورات معروفة، يشرفها صاحب الجلالة برآسته لها، ومن ثم كان الحوار مفتوحا ومستمرا ولوجه الله.

وإذا كان مجال عمل المجالس العلمية، هو بث العلم وإفشاءه بين الناس، والدعوة إلى الله وحفز عزائم المسلمين للتمسك بحبل الله المتين، فإن الحوار في كل ذلك هو حوار لوجه الله.

قال جلالة الملك في ختام الخطـاب :

«..فكما قلت لكم أنا متفائل، ولي اليقين أن اللـه سبحـانه وتعـالى، سيكتب لنـا جميعـا بجوارنـا المستمر، وبجوارنا لوجه الله، سيكتب لنا ـ إن شاء اللـه ـ فتوحـاته، وإننا سنرى ثمرات مـا يشغل بـالنـا جميعـا، في أقرب ممـا نظن يانعة إن شاء الله، وإن سنابلنـا ستكون تلـك السنـابل المحمدية القرآنية التي توتي أكلها أضعافا أضعافا».

فبالتفاؤل كان الختم، وتلك عادة حميـدة رشيـدة، في خطب الملك العـالم صـاحب الجلالـة الحسن الثـاني، وهي مستمـدة من السنـة الشريفـة «بشروا ولا تنفروا» حقـق اللـه الأمل لزارع الآمال.

أمـا بعـد، فهـذا قبس من تلـك الأقبـاس من معين الفتوحات الذي لا ينضب، وما خطب مولانـا أمير المؤمنين إلا فتوحـات نورانيـة، وصدق رب العزة ﴿**يوتي الحكمـة من يشاء**﴾.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• من واجب القادة المسؤولين والزعماء البارزين في العالم الإسلامي أن يفتحوا الطريق أمام القائمين بالبعث الإسلامي والدعوة الإسلامية وأن يشملهم بالرعاية والعناية حتى يؤدوا رسالتهم أحسن أداء ••

ناديت بالتطوع لإنقاذ القدس

للأستاذ علي بن الشريف العلوي

إن التاريخ قد سجل في الماضي وقائع مثالية، في مجال التطوع صدرت من الأسلاف الأوائل، ومن الأجداد الغر الميامين، من الحسن الداخل إلى الحسن الثاني، حلقات متواصلة، وصفحات خالدة تلمع بالتطوع النادر، وتتلألأ بالتضحية والفداء، وتشرق بعظمة الاستشهاد، تجلى ذلك في مختلف العصور والأزمان وأعطى للأمة أمثالا حية للتأسي والاقتداء. فالحسن الداخل كان أول المتطوعين من أجل الإصلاح، ونشر النبل والفضيلة، ودعوة الخلق إلى الحق والشريعة، وإلى المقاصد المرتضاة دينا ودنيا. فأنبتت هذه الدوحة أغصانا يانعة، وثمارا زكية، أرجت هذه الأرض بجمال التطوع لإثبات الحق ونصرة العدالة والدفاع عن الفضيلة، والسعي في تشييد الحسنى، وإشاعة المعروف بين أرجاء البلاد، والاستجابة إلى الذب عن المسلمين، وتحرير رقابهم من أغلال الطغاة المعتدين، وتكسير أصفاد الغزاة المغامرين. **تأمل** معي صفحة مشرقة للمولى علي الشريف جد الأشراف العلويين ضجيع سجلماسة الذي ضرب أروع الأمثلة في التطوع والجهاد، وهب منجدا المسلمين من الكنيسة المتعصبة، وصلفها الواضح في التعذيب والتشريد ولم يكن في المغرب آنذاك من تجتمع عليه الكلمة إلا المولى علي الشريف حيث كاتبه علماء فاس حينما سمعوا بعزمه على زيارة البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج. وكتبوا إليه عدة رسائل يقولون فيها : «عوضوا هذه الوجهة الحجية التي أجمع رأيكم عليها، وتوفر عزمكم لديها بالعبور إلى الجهاد فإن الجهاد أصلحكم الله في حق أهل المغرب أفضل من الحج كما أفتى به الإمام ابن رشد رحمه الله حين سئل عن ذلك وقد بسط الكلام عليه في أجوبته، ووجه ما ذهب إليه».

ولم تكن هذه الرسالة الموجهة إليه في هذا الباب فقد وردت عليه عدة رسائل في الموضوع، كما وردت قصائد شعرية تحثه على الجهاد وإضعاف كيد الأعداء، ومما جاء في قصيدة أبي فارس بن الربيع الغرناطي تصف المولى علي الشريف،

هو الصقر مهما اهتز كل مجاجل
هزبر إذا ما انشب الناب والظفرا
هو الغوث إن دارت رحا الحرب للقا
وغيث إذا ما المزن ما أرسلت قطرا
أغار على الأعلاج فاجتاح جمعهم
وجدلهم قتلا وشددهم أسرا
بطنجة قد طاب الممات لزمرة
بنصرتها ترجو من الملك الأجرا

والقصيدة طويلة فياضة بالمشاعر، تدعو هذا المتطوع المقدام لصب النكال على جحافل الأعداء، مما أدى به إلى ملازمة الجهاد ستة شهور من كل سنة. ولم تكن وجهته

الشمال فقط بل أيضا توجه إلى قلب افريقيا، متطوعا لنشر الدعوة الإسلامية ورفع معنويات المسلمين هناك.

ولنواصل مسيرتنا مع هذه السلسلة الذهبية لنقف قليلا في زمن المولى محمد وعلى الحدود الشرقية ـ مصدر الفتنة والفساد ـ فقد علم المولى محمد بعزم ولاة الأتراك حكام الجزائر آنذاك خرق حدود المغرب، والاستيلاء على مدينة وجدة فما كان من المولى محمد الذي كان في أخذ ورد، مع زاوية الدلاء إلا أن تخلى عن مدينة فاس وما جاورها، نـاذرا نفسه للتطوع لإنقاذ المغرب من الاحتلال واقتطاع شرقه منه، وسار بجيشه إلى أن دخل تلمسان، وأيقظ الأتراك من غفلتهم باستعداد المغرب لشن الحروب ولو شطت الديار، وخوض معامع القتال في المدن والقفار : فارتعدت فرائص الأتراك، واستبدلوا مخططهم الهجومي على مدينة وجدة باحترام المدينتين تلمسان ووجدة من الطرفين، وإقامة الصلح بين الجانبين على عدم تحدي خطوط مختطة، وديار بين الطرفين مرسومة، ولقد كان هذا التطوع من المولى محمد تطوع تضحية وفداء لما ترك خلفه من تهديدات زاوية الدلاء، واستعداداتهم للهجوم عليه، واستئصال ريادته ورياسته، ومع ذلك خالطه حب الأوطان، والاستشهاد في سبيل إنقاذ البلاد. ممن استولوا على شمال افريقيا. وأرادوا الوصول إلى المحيط عدوانا وبغيا، فأوقفهم عند الحدود التاريخية، وأملى عليهم شروطه الواقعية طوعا أو كرها. **تلك صورة** من صور التطوع المثالية بالنسبة إلى هذه العائلة السنية، وطبيعة من طبائعهم الزكية، منذ النشأة الأولية.

وإن الحديث في هذا المجال، متسع الجنبات، فسيح المناحي والاتجاهات، مابين اجتثاث للبغي والطاغوت، ودفاع عن الحرمات، وحيازة الأسبقية في العمل الاجتماعي وتحقيق أماني الشعب في دعم الاقتصاد، ونشر رياض العلوم والعرفان وضرب الأمثال في روائع المحاسن في الكمالات الإنسانية مما بقي غرة في جبين العصور والأزمان.

وهل عرف التاريخ أروع تضحية من تضحية البيت المالك في عهد محمد الخامس حيث نادته الأمانة الملقاة على عاتقه، والرسالة الجسيمة المطوقة كاهله، برفض كل خنوع لجبروت الحماية، وإباء كل بديل إلا الاستقلال والحرية، وتقدمت معه العائلة بأجمعها متطوعة لحمل أعباء التضحية، وركوب أقسى الامتحانات الوطنية، ولباس دثار النفي والغربة، للتزين بالحق والشرعية، وإعلاء جبين الأمة المغربية، وترصيع تاريخها بغرر صنائع ملوكها الأباة، فكان نعيم الملك في اقتحام المشاق، ولباس دروع المحنة والابتلاء. وكان جمال الملك في البعد عن الأوطان، وكانت دلائل المحبة للشعب في ركوب مطايا الاستشهاد، وارتشاف مناهل الفداء، صدود عن العرش في قفص الأسر، إلى عرش أبي شامخ حر، صدود عن نعيم الجسدية إلى نعيم الروح الخالدة القدسية ذلك هو التطوع الأكبر الذي ارتضاه محمد الخامس في نفسه وعائلته وشعبه، وطافت نفسه في مداره، فحقق المعجزة السامية وبقي على عرش القلوب، عرش الأرواح، عرش الأفكار، يرقى وترقى العائلة معه ويمتد اعتلاؤها، وتزداد شموخا، سيرا مع الأيام وفلكا مشعا في تتابع الحدثان. حيث يشهد في توقلاته صنيع الإبن البار الحسن الثاني فقد طاوع أباه وتقاسما الطواعية وحمل حصة الأسد تمكينا لأبيه ووطنه، فكان أمين سر تلك المعامع، متحملا الزواجر والروادع، فخالط التطوع منه الإحساس والمشاعر، ونهل من حياض المصابرة والمرابطة، في سبيل الحق ما خرق له الحجب والستائر، للاطلاع على مدارج السداد، ومراكب الهدى والرشاد، فأصبح من خلال تلك التجربة الهائلة، والمعاناة القاسية أكثر الناس خبرة، وألهمهم حدسا وفكرة، وأسبقهم ابتدارا ومبادرة، وأعظمهم تقديرا وحسابا، وأشملهم جمعا واستيعابا.

ولقد أبان عن كل هذا صفاء التجربة النادرة، في تنظيم المسيرة الخضراء، والتي اعتبرها العالم بأجمعه المعجزة الكبرى، لم يسبق لها المثيل في عالم التطوع السائر، سواء منه الغابر أو الحاضر، تطوعا فريدا في شكله، ودقيقا في ترتيبه وأسلوبه وأهدافه إنه التطوع الصادق، المتجاوز لكل الحواجز والسدود، تطوع قاهر لكل التحصينات، متحد لجحافل الجنود، والاستهانة بالأسلحة

القوية المكثفة، تطوع ذاتي وروحي أحدقت به المخاطر، وشبر له الطغيان بكل زاجر وقاهر، وأني لجذوة الإيمان أن يخمد لهيبها صلف البطلان، أو يؤثر في حرها نفث الشيطان إنه منبع متسلسل يقوم به المتطوعات والمتطوعون اقتداء بالمتطوع الأول جلالة الحسن الثاني سليل المتطوعين فإذا نادى جلالته بالتطوع من أجل القدس فإن الشعب الدافق بالإيمان، والمغرب الساطع بآيات الغزو والجهاد في سبيل رفع راية الإسلام يهب بروحه التطوعية، ويهب نفسه لحياة تلك المقدسات. وقد سبق لأبنائه أن وضعوا أقدامهم في تراب الشرق تطوعا من أجل فلسطين، وسكبوا أرواحهم لأرض تضم القدس الشريف، ودفنوا أجسادهم في تلك البقاع غير هيابين ولا وجلين لإنقاذ تلك الأرض من الغزاة الصهاينة المعتدين، وفي هذه الأرض لا يوجد من لم يتطوع بالعون المادي من أجل تطهير القدس الشريف وإحقاق حق أبناء فلسطين. إنهم على درب التطوع سائرون، لا ينضب لهم مدد ولا ينفد لهم سند إلى أن ينبلج صبح الانتصار مهما طال الزمان واستدار، لأن التطوع في هذه البلاد لقنها الملوك السالفون لأبنائهم الملوك الواردين، يمارسونها في كل عصر وزمان، عقيدة راسخة في الأذهان، وصورة للتطوع من أجل إنقاذ القدس، إنه نداء خفقت له القلوب، ودوى صداه في كل النفوس، مومنة كل الإيمان أنه صادر من تفكير ملهم فياض بالتوفيق ومن مشاعر عامرة بالحق واليقين ينبلج صبحها عن جميل السرى ويبزغ فجرها بالنصر المكين، والفتح المبين.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

●● إن الإسلام دين ترتكز فيه الحياة كلها على مبدأ المسؤولية، وهي، في مفهومه فردية وجماعية، فما من أحد منا إلا وهو يتحمل حظا منها يضيق أو يتسع ●●

أفق توعية المسلمين في رسالة أمير المومنين

للأستاذ أحمد افزاز
رئيس المجلس العلمي الإقليمي
لوجدة وفكيك

لقد دأب الملوك العلويون بحكم ما عليهم من مسؤولية إسلامية عامة اعتبارا لصفة إمارة المومنين التي يحملونها على النظر في وضعية المسلمين وحالتهم ومدى تمسكهم بمنهج الله ورسوله في عقيدتهم وعبادتهم ومعاملتهم، وإسداء النصح لهم والتوجيه لسلوكهم بواسطة رسائل إسلامية يوجهونها إلى الأمة الإسلامية في مطلع كل قرن إسلامي تجديدا للدعوة الإسلامية وحثا لهمم المسلمين على التمسك بدينهم وتوسيع أفق النظر في مشاكلهم ودراسة الأصول والقواعد التي يجب الإعتماد عليها لاحتواء جميع التطلعات التي يريد المسلمون أن يضعوا أنفسهم فيها وأن يضيفوها إلى حياتهم دون الخروج على أحكام الشريعة الإسلامية.

وفي هذا الإطار جاءت الرسالة الملكية إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري والتي حررت بفاس في فاتح محرم عام 1401 هجرية.

إن دراسة الرسالة الملكية وشرح فقراتها تحتاج إلى صفحات طويلة، وإننا بهذه المناسبة ذكرى عيد العرش المجيد سنحاول التوقف مع أحد أغصانها الفواحة بفكر سديد ورأي عميق في ميدان التوعية الإسلامية والدعوة إلى شريعة الله ورسوله.

لقد صدر بعد تحرير الرسالة الملكية في مطلع عام 1401 الظهير الشريف المؤرخ في 3 جمادى الثانية 1401 (1981/4/8) بإحداث المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية، ولعل أمير المومنين كان يريد بذلك أن يضع القاطرة الإسلامية على طريقها الصحيح والشروع الفعلي في حماية الصحوة الإسلامية بترشيدها وتوجيهها الوجهة الإسلامية الحقيقية المطابقة للأصول والقواعد العامة لأحكام الشريعة، ففي عرض للأسباب الموجبة في الظهير المؤسس للمجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية ورد ما يلي : «حرص ملوك مختلف الدول التي تعاقبت

على المغرب على العنايـة بشؤون الإسلام وإجراء العمل بأحكامه والذود عن عقائده، ونشر تعاليمه الصحيحة بين الناس، ليكونوا على بينة وبصيرة من أوامره ونواهيه في كل ما يرجع إلى أمور دينهم ودنياهم على حد سواء».

فكانت الرسالة الملكية نفخة جديدة في حياة المسلمين لإيقاظهم من سباتهم، وتوجههم نحو الشريعة الإسلامية ليتطوروا معها وفي دائرتها وعلى أساس قواعدها وأحكامها، لأنها شريعة صالحة لكل زمان ومكان.

ففي الفقرة العاشرة من الرسالة الملكية يبين أمير المومنين وضعية الشريعة الإسلامية التي جعلها الله الدين الذي لا يقبل غيره ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**﴾[1] فهي «شريعة فطرية في مبادئها، منطقية في أحكامها، قادرة على استيعاب مراحل التطور بأجمعها مستجيبة لحاجيات المجتمعات على اختلاف مستوياتها وأنواعها صالحة للتطبيق في كل عصر وجيل، دون حاجة إلى إدخال أي تغيير على مبادئها أو تبديل»[2].

بهذا التحليل الشامل والوصف الكامل تقدم الرسالة الملكية الإسلام إلى الأمة الإسلامية، فمبادئه قائمة على أصول الفطرة الإنسانية ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾[3] فالإنسان لا يجد في الإسلام ما يتعارض مع هذه الفطرة كلما كانت سالمة من أي خلل أو عطب في التوجيه.

والشريعة الإسلامية منطقية في أحكامها، لأنها جاءت لهداية البشرية ﴿**وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**﴾[4].

فلا هدي إلا بها ولا كرامة إلا مع أحكامها ولا سلامة إلا في اتباع نهجها.

إن الله عز وجل - وهو العالم بما كان وما سيكون - هو الواضع للشريعة الإسلامية وهو الذي قدر لها أن تكون الشريعة الأبدية للإنسانية ولذلك جعلها قادرة على استيعاب جميع مراحل التطور البشري مهما تقدم الإنسان في علوم الكون وعلوم الإنسان وعلوم الأرض، فكلما اتجه الإنسان في ميدان المعرفة الصحيحة التي تنفع البشرية وتصحح مسيرتها إلا ونجد أحكام الإسلام وأصوله وقواعده مؤطرة له ومضيئة لسبله التي يعبر منها إلى جذور العلم والمعرفة «دون حاجة إلى إدخال أي تغيير على مبادئها أو تبديل».

فالفتح العلمي الذي يبلغه الإنسان مهما كانت درجته وموقعه والتطور البشري الذي يصل إليه في خطواته نحو اكتشاف الآفاق المجهولة لا يحتاج إلى ادخال تغيير على مبادئ الشريعة الإسلامية أو تبديل لبعض أحكامها الأساسية لأن وصول الإنسان إلى «غاية ما يطمح إليه من التطور والنمو والكمال والسمو» إنما يتم ويتحقق بسلوك منهج الشريعة الإسلامية والمحافظة على روحها والعمل وفق مخططها ورسمها.

إن التقدم العلمي الذي يصل إليه الإنسان من حين لآخر في معرفة أسرار الكون والخلق إذا أردنا أن نحكم على نتائجه وآثاره بحكم الفطرة الإنسانية السليمة المجردة من تصورات مسبقة، لابد أن نهتدي به إلى ما هدانا الله إليه، وهكذا تكون الأصول العامة للشريعة الإسلامية والمثل العليا للإسلام عند النظر إليها بعد الوصول إلى الغاية بالعين الإنسانية الفطرية هي التي أضاءت الطريق ومهدت السبيل لذلك التقدم الإنساني.

إن الرسالة الملكية الإسلامية تبين كل هذه الحقائق للمسلمين ليسترشدوا بأحكام الشريعة ويتطوروا مع أصولها وقواعدها وليتقدموا في إطارها وتخطيطها.

ولكي يصل المسلمون إلى المكانة التي وضعتها الشريعة الإسلامية والدرجة التي أعدتها لهم والأفضلية التي جعلتهم فيها بين كافة البشر ﴿**كنتم خير أمة أخرجت**

1) الآية 85 سورة آل عمران.
2) رسالة أمير المومنين ص 8.
3) الآية 30 سورة الروم.
4) الآية 43 سورة الأعراف.

للناس﴾[5] يجب عليهم الإلتزام بالمنهج الإسلامي الصحيح في كل حالة من حالات الإنسان وفي كل وضع من أوضاعه أو ظرف من ظروفه.

صحيح أن الشريعة الإسلامية مرت عليها قرون لم يقم على خدمتها العدد الكافي من العلماء، لا نقول إنها كانت في مبردة مجمدة ولكننا نقول بأن المسلمين انحرفوا عن السير على نهجها فتأخروا في مسيرة التقدم والتطور وجاءت الحضارة الغربية المزيفة في أصولها الداخلية فبهرت الأبصار ومكت العقول وجمدت العضلات فأصبح المسلم ينظر إلى «اليمين» و«اليسار» ويتجه نحوهما للأخذ والاستهلاك فقط لا للدرس والإنتاج.

ومن أجل أن يخرج الإنسان المسلم من هذا الضيق الفكري ويتجه نحو الأفق الإسلامي الواسع للشريعة جاءت رسالة أمير المومنين لتبين السبيل وتضيء الطريق «فيتوقف الأمر على من يستوعب نصوصها ويدرك مقاصدها ويتفهم أسرارها، ويأخذ على عاتقه أن يستخرج نفائسها ودررها وذلك أمر مرهون بإعداد مجموعة كافية من العلماء والمفكرين يكونون - مثل سلفهم - مستوفين لشروط الاجتهاد والنظر في أصول الدين ويكرسون جهودهم لإحياء تراث الإسلام الثمين وصياغته صياغة جديدة تجعله في خدمة جماهير المسلمين»[6].

هذا هو السبيل الذي تصوره الرسالة الملكية لربط جماهير المسلمين بالإسلام، فيجب تقديم نصوص الشريعة الإسلامية في صياغة جديدة يسهل القرب منها والتعامل معها والإلتزام بالأحكام المستخرجة منها، يعد الغوص إلى أسرارها والتعمق في دراسة مقاصدها وهذا واجب العلماء والمفكرين من المسلمين الذين يبلغون الدرجة العلمية العالية في كافة العلوم الإسلامية تؤهلهم إلى النظر والاجتهاد والتفسير والاستنباط فيقدمون الحلول الإسلامية لمشاكل الحياة المعاصرة للمسلمين ولمن تدعوهم إلى الإسلام سواء في الميادين الاجتماعية أو الاقتصادية أو الأخلاقية أو الثقافية أو غيرها مما يستجد في حياة المسلمين.

إن القواعد الأساسية للإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج لن يدخل إليها تغيير أو تبديل، والإيمان بالغيب وما يحيط به لا سبيل إلى تغيير أصوله وقواعده وصوره، ومع ذلك فإن العلماء المسلمين مطلوب منهم توحيد الحل الإسلامي بالنسبة للمسلمين الذين يعيشون في مناطق لا تغيب عنها الشمس أو لا يغيب شفقها بالنسبة للصلاة الليلية وبداية الصوم ونهايته في شهر رمضان، لأن ازدواجية الحلول وتعددها لا تقرب الإسلام إلى جماهير المسلمين ولكنها تضعهم في حرج تجاه أحكامه المختلفة، وإدراك المقاصد الحقيقية للشريعة وتفهم أسرارها. وتوحيد النظر إليها لا بد أن يعطي للمسلمين الحل الذي يساعدهم على خدمة الإسلام ونشر أحكامه والتعامل طبقا لقواعده وأصوله.

وإذا كانت الرسالة الملكية حددت التزامات علماء الإسلام تجاه الشريعة الإسلامية بتجديدها وإزالة الغبار عليها والغوص في أعماق أسرارها فإنها بينت إلى جانب ذلك ما يقع على عاتق قادة المسلمين وزعمائهم من مسؤوليات في سبيل الوصول إلى تلك الغاية فعلى هؤلاء «أن يفتحوا الطريق أمام القائمين بالبعث الإسلامي والدعوة الإسلامية وأن يشملوهم بالرعاية الكافية حتى يؤدوا رسالتهم أحسن أداء»[7].

إن فتح الطريق أمام العلماء والمفكرين الأعلام من المسلمين في العالم الإسلامي والعالم الغربي يحتاج إلى خلق مؤسسة علمية متخصصة على مستوى العالم الإسلامي تكون بعيدة عن المؤثرات التي تؤثر في عملها أو تقف عائقة في سبيل سيرها الدائم، وتتفرغ للدراسة والبحث ومعرفة المستجدات في الحياة المعاصرة وما يدخل إلى العالم الإسلامي من أمور مستوردة في الحياة الفكرية أو

5) الآية 10 سورة آل عمران.
6) رسالة أمير المومنين ص 9.
7) الرسالة الملكية ص 9.

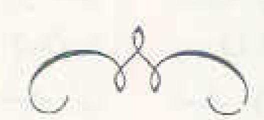
في الميادين التربوية أو الأخلاقية أو في المعاملات الاجتماعية والاقتصادية فتعمل المؤسسة على صياغة تلك المستجدات صياغة إسلامية وتكيفها بالطابع الإسلامي مادامت لا تتعارض مع مبادئه وأحكامه، إن عملية التطور والتقنية يجب على العالم الإسلامي أن لا يبقى بعيدا عنها بل يجب عليه أن يدخل في جهاد من أجل الحصول على جميع المعارف التي تؤدي إليها وبكافة الوسائل المشروعة، ولكن الإسلام يجب أن يبقى هو الشعاع الذي يضيء الطريق للوصول إلى جميع تلك العلوم والمعارف أو أن تدخل جميع العلوم المعاصرة المستوردة إلى المختبر الإسلامي الذي يشرف عليه علماء الإسلام فيفككون المادة العلمية ويخرجون منها ما يتعارض مع الإسلام ويضعون قطاع الغيار الإسلامية في محلها ليكون التقدم إسلاميا والحضارة إسلامية.

إن البعث الإسلامي الذي تدعو إليه الرسالة الملكية وتضع واجب الاهتمام به على القادة المسلمين لفتح الطريق أمام العلماء القائمين به لا يخص مجالا واحدا ولكنه بعث إسلامي شامل لجميع نواحي الحياة بكل فروعها.

لقد بلغت الحضارة الإسلامية ذروتها في التاريخ القريب عندما تقدم المسلمون في جميع مجالات العلوم والمعرفة النظرية منها والتطبيقية، والإسلام الذي عمل به أولائك العلماء والفلاسفة المسلمون هو نفسه الإسلام الموجود اليوم، ولكن الركود والجمود وقع فيه المسلمون لعدة قرون وأصبح كل تأخر ينسب إلى الإسلام بدل أن ينسب إلى المسلمين وكل عجز أو تقصير أو تأخير توصف به شريعة الإسلام وهي بريئة منه، بدل أن يوصف به الإنسان الذي انحرف عن الإسلام وزاغ عن طريقه وانحرف عن منهجه.

والشيء الذي يبعث على التفاؤل بالنسبة لمستقبل الإسلام أننا بدأنا نرى بحره في مد مستمر لا جزر له، فالإلحاد الظاهر أو الخفي الذي كان الشعار الرسمي للتقدم أصبح يتراجع وينحسر وفلسفة التخلي عن الحياة التي لم يعرف الإنسان الهدف منها لفترة من الزمن أخذت تعود إلى رشدها لتبحث عن المبادئ والأصول التي يجب المحافظة عليها والحياة معها، فالمادية الصرفة في طريقها إلى الزوال لتفتح الطريق أمام شعاع الإيمان يتسلل إلى الفكر والعقل ليقدم له الغذاء والدواء معا.

ولعل فكرة البعث الإسلامي والدعوة الإسلامية التي نادى بها أمير المومنين في رسالته إلى الأمة الإسلامية تجد صداها لدى قادة العالم الإسلامي والزعماء البارزين فيه، حتى نرى الأمة الإسلامية من طنجة إلى جاكارطة قائدة رائدة حاملة مشعل النور والهداية لحياة معاصرة سعيدة، قائمة على تقوى الله مثبتة للقيم الأخلاقية الإسلامية الأصيلة معتزة بحملها لرسالة الإسلام محافظة على أداء شعائره جاعلة هدفها تغيير حياة المسلمين لتطابق الإسلام الذي لا يقبل الله دينا وشريعة غيره.



الوزير

محمد الشرقي الإسحاقي

مدون الرحلة التي قامت بها السيدة خناثة بنت بكار وحفيدها سيدي محمد بن عبد الله إلى البقاع المقدسة عام 1143 هجرية.

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

في يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الثانية سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف بعد صلاة الجمعة، خرجت السيدة خناثة بنت بكار والدة السلطان المولى عبد الله مع حفيدها الصغير سيدي محمد بن عبد الله من مدينة مكناس عاصمة المملكة المغربية آنذاك، متوجهة إلى البقاع المقدسة، وهي في شوق ولهفة لتحقيق هذه الأمنية التي طالما حنت إليها، وتمنت إنجازها.

وكان في مصاحبتها وفد يتكون من بعض العلماء والموظفين الذين وثق الملك في علمهم وأخلاقهم وحصافة عقولهم، أمكننا التعرف على بعض أعضائه من خلال الرحلة التي دونها السيد الوزير محمد الشرقي الإسحاقي الذي كان له الفضل في تسجيل مراحلها، وتدوين أخبارها ووضع تقارير كافية حولها، زيادة على ما أبداه من الاهتمام العلمي والصوفي الدال على ما كان للمغاربة من العناية بمختلف الفنون والعلوم، ومن التشوق إلى الاطلاع على أحوال المسلمين وتتبع أخبارهم وعاداتهم، وتسجيلها تسجيلا يفيد الذين يرغبون في التوجه إلى الحج، سواء من الناحية الجغرافية، أو التاريخية، أو الأدبية، أو العلمية، أو غير ذلك من مختلف الأحوال الثقافية المفيدة.

كان الوفد يتكون من قائد الركب الحجازي السيد عبد الخالق عديل باعتباره المكلف الرسمي بشؤون الحج، ومن السيد الوزير محمد الشرقي الإسحاقي المدون لهذه الرحلة - والغالب أنه كان مسؤولا عن وضع تقرير كامل حولها ليقدمه إلى السلطان المولى عبد الله إثر رجوعه - ومن ابن أخته الطالب الفقيه السيد العربي بن محمد، ومن القاضي السيد بلقاسم بن الفقيه سيدي سعيد بلقاسم العميري[1]، ومن الفقيه السيد أحمد المكودي،[2] ومن الشيخ محمد بن محمد بن أبي بكر المرابط الدلائي الذي توفي بليبيا قبل الوصول إلى مكة، ومن مؤدب ولد السلطان

1) مخطوطة القرويين : الصفحات 48 و 143 و 180 وتوجد ترجمته بالجزء الخامس من اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس للشريف مولاي عبد الرحمن ابن زيدان صفحة 541.

2) الرحلة صفحة 81.

السيد بلقاسم التسولي الذي وافته المنية في اليوم التاسع عشر من ذي الحجة بعد الانتهاء من مناسك الحج.

وكان مع الوفد جماعة من عبيد سيدي البخاري يحسنون الركوب على الخيل، ويتوفرون على مهارة في اللعب بالبارود، ولهم دربة عسكرية فائقة. كلفوا بحماية الركب وبإظهار براعة المغاربة في الفروسية كلما احتاجوا إلى ذلك، وقد كان دورهم فائقا في ليبيا أثناء وصول الركب الحجازي إليها. مما جعل كل الذين شاهدوهم يبدون إعجابهم بقدرة المغرب في الميدان العسكري وفي الدربة على ركوب الخيل وممارسة استعمالها.

ولقد برع السيد الإسحاقي في تدوين مختلف المراحل، وأبدى عناية فائقة بكثير من الدقائق العلمية والأدبية، وأكثر من نقل الأشعار، ومن نقل النصوص العامة المتعلقة بوصف بعض الأقاليم، أو بوصف بعض المزارات، مما يدل على أن الكتاب كان يجمع بين الطريف والتليد، فهو لا يقتصر على المشاهدات الفردية، ولكنه يضيف إليها أحيانا ما سجله السابقون إذا كان في نقله فائدة، أو في تقديمه منفعة عائدة، وفي خزانة القرويين نسخة من هاته الرحلة مسجلة تحت عدد 1258 مكتوبة بخط جيد واضح في حجم متوسط، تبلغ صفحاتها 272. حبسها المولى عبد الله على هاته الخزانة عام 1156 هـ.

ولقد حاولنا من خلال هاته الرحلة أن نستشف بعض الجوانب من حياة مؤلفها، وأن نتتبع أحواله، وأن نطلع على مؤهلاته الثقافية التي خولت له القيام بهذا العمل الجليل، فهو فيما نعلم لم يحظ بترجمة خاصة به. إذ غالبا ما يذكر مع ترجمة السيدة خناثة بنت بكار حينما يتحدث عن رحلتها إلى المشرق، أو يذكر مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله حينما يشار إلى طفولته وإلى مصاحبته لجدته في رحلتها هاته.

ففي كتاب الاتحاف مثلا نجد المؤرخ الشريف سيدي عبد الرحمن بن زيدان يتعرض لهاته الرحلة أثناء ترجمته للسيدة خناثة ذات الفضل والعلم والأدب، ويقوم بتلخيص دقيق جدا لجميع مراحلها من بدايتها إلى النهاية، ولا يفصل الحديث عن مؤلفها ولا يذكر شيئا من ثقافته وسيرته وترجمته، مما جعلنا نفكر في محاولة البحث عن هذا العالم الجليل، عسانا بذلك أن نبرز بعض خصائصه وسماته، وأن نتعرف على ثقافته وأحواله. واعتمدنا في ذلك على ما نستشفه من الرحلة ذاتها، ففيها جوانب متعددة صالحة للتعريف به، ولإظهار اهتمامه الفكري وسلوكه الذاتي. لقد كان والده من أتباع السيد الشرقي المعجبين به، المحبين له، المتفانين في نهج طريقته. لذلك سمى ابنه به ليتفاءل بهذا الرجل الذي كان المغاربة يجعلونه شعارا صوفيا مقدسا. ولم يكتف بالتبرك الاسمي فقط، بل وجهه للمعرفة، وحبب إليه العلم، واعتنى بتربيته، وحفظه القرآن، وجعله من رواد المجالس العلمية، سواء في حلقات الدروس التي تعقد بالربط والزوايا، أو في حلقات الدروس التي كانت توجد بالمدن الكبرى.

وكانت المجالس العلمية الناجحة آنذاك، تستمد عناصر وجودها من العلماء الذين نزحوا عن الزاوية الدلائية وتفرقوا بين المدن والقرى، فكان لهم فضل كبير على ازدهار الفكر الحي، ونشر أصول الأدب وأصول الفقه، ومن أشهرهم حماسة وعلما وموسوعية أبو علي الحسن اليوسي الذي فاقت شهرته الآفاق، وتداولت كتبه شتى الجهات، والذي أصبح الاستمداد من علمه دليلا على الكفاية، وبرهانا على النجابة والدراية.

وفي حديقة مجالسه استمد الإسحاقي كثيرا من علومه وآدابه يبدو ذلك في طريقة آدائه، وفي أسلوب عرضه، وفي مزجه بين الفقه والأدب. ولقد أشار إليه أثناء الرحلة وأثنى عليه، وجعله من بين شيوخه إلا أنه لم يذكر مكان الأخذ عنه، ولا زمن ذلك الأخذ.

الغالب أن هذا التلقي كان في السنوات الأولى من دراسة الإسحاقي، فلقد نزح الحسن اليوسي عن الزاوية الدلائية عام 1079 هجرية بعد قضاء المولى الرشيد عليها وحينئذ توجه إلى فاس ولكنه لقي عنتا من بعض طلبتها، الشيء الذي دفعه إلى عتابهم، وإلى إظهار القلق من موقفهم، فقد قال رحمه الله (الاعلام ج 3 ص 157).

مــــــا أنصفت فــــــاس ولا أعـــلامهــــــــا
علمي ولا عرفـــوا جـــلالــــــة منصبي
لــو أنصفـوا لصبــوا إلي كمـــا صبــــــا
راعي سنين إلى الغمـــــــــــام الصيب

وهمـا بيتـان معبران عن إحســاس دفين في أعمــاق الشاعر. وهما خاليان من أي بذاءة. ولكنهما رغم ذلـك أثـارا حمية طـالب مـا زال في عنفوان شبابه، هـو السيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي فقال :

بـل أنصفت فـــاس ومن إنصـــافهـــا
أبـــدا سقـــوط المـــدعي والمعجب
تنفي الـــدجــاجـل عــاجـلا أو آجـلا
منهــــــا كنفي قريظـــــة من يثرب

وهو رد قاس ما كان ليتحمله اليوسي ولا ليقبله، ولا ليرضى الإقامة في مدينة أساء إليه بعض طلبتها، فاضطر إلى مغادرتها وإلى التوجه إلى البادية، حيث أصبحت مجالسه قبلة الطلاب من مختلف القبائل، وصارت دروسه نبراسا يستضيء به كل الذين كان لهم ولوع بالثقافة الإسلامية النافعة، ولهذا قال فيه أبو سالم العياشي (النبوغ ج 1 ص 286) :

من فـــاتـــه الحسن البصري يـــدركـــه
فليصحب الحسن اليـــوسي يكفيــــــه

وسواء كان تلقي الإسحاقي أيام إقامة اليوسي بفاس أو بعدها فإن ذلك لا يتصور إلا أيام الشباب لأن اليوسي توفي عام 1102 والرحلة التي قام بها الإسحاقي كانت عام 1143 فبين الرحلة وموت اليوسي إحدى وأربعون سنة، وأيام التلقي إنما كانت بين 1079 وبين 1102 ولهذا نرجح أن الإسحاقي لم يقم بالرحلة إلا بعد أن تجاوز الستين من عمره وقرب من السبعين.

وعلى كل حال فإن الإسحاقي كان يشير إلى اليوسي إما مباشرة أو بواسطة.

فمن الإشارات المباشرة تحدثه عنه أثناء التعقيب على رحلة العبدري، فقد لاحظ الإسحاقي أن العبدري كان يندد بأهل مصر لأنهم كانوا ينوهون بالإمام الشافعي ويغفلون ذكر غيره من الصحابة وأهل البيت النبوي، مع أنهم أولى بالاهتمام، فقرر أن هذا التنديد لا محل له لأمرين.[3]

أولا : لأن خفاء مشاهد بعض الصحابة لا غرابة فيه، واستدل بقول الشاعر :

ليس الخمـــــــول بعـــــــار
على امرئ ذي جـــــــــلال
فليلـــــــة القـــــدر تخفى
وهي خير الليـــــــــــالي

ثانيا : لأن الإظهار والإخفاء أمر إلهي ليس للعبد فيه تعمل، فمن أظهره الله للناس ظهر حيا وميتا، ومن أخفاه خفي. وهنا قال ولله در شيخنا أبي علي الحسن اليوسي رحمه الله في قوله من قصيدة يمدح بها الشيخ أبا يعزى نفع الله به.

مــــاذا طـــوت منهم الغبراء من نجب
مثـل[4] المشرفيـــة إذ تطـوى بـــأغمـــاد
لـــو التقينـــا لأسعـــدنـــا بـــأوجههم
كمـــا الأولى عـــاشروا فـــازوا بـإسعـــاد

وأما الإشارة غير المباشرة فتوجد حين الحديث عن مصر، وعن ضياع العلم بين أهلها، فهو قد لاحظ ضعف كثير من علماء الأزهر، وذكر أنه حضر عددا من المجالس بهذا الجامع فما وجد ما يشفي الغليل، ولا ما يبرئ العليل، ثم قال : وبالجملة فالعلم بالبلاد المشرقية كغيرها قد وقف على ثنيات الوداع، وهمَّ مزنه بالإقلاع، وآزر ملاحظته بقوله.. وأخبرني بعض أصحابنا أنه سمع شيخنا أبا علي الحسن اليوسي بعدما رجع من حجته يقول : ما بقي بالبلاد المشرقية من تشد إليه الرحال في طلب العلم، وما راء كمن سمع.

3) المخطوطة صفحة 111.
4) كذا في الكتاب والصحيح كالمشرفية.

ولم يكن الإسحاقي يهمل الرواية في الأخبار، إلا أنه كان يذكر أحيانا أسماء من يروي عنهم، وكان يكتفي أحيانا بالإشارة إلى جنسهم أو إلى حيثيتهم كقوله : رويت عن بعض المغاربة أو أنشدت بعض أصحابي وما أشبه ذلك.

وتجتمع الظاهرتان معا فيما يأتي، فهو يقول مثلا أنشدني بعض المغاربة للشيخ المحدث الفاضل فتح الدين أبي عمرو بن سيد الناس رحمه الله :

لله إن جزت بوادي الأراك
وقبلت عيدانه الخضر فاك
فابعث إلى المملوك من بعضها
فإنني والله مالي سواك

ثم يقول وأنشدته لبعضهم :

جعلت هديتي لكم سواكا
ولم أقصد بها أحدا سواكا
بعثت إليك عودا من أراك
رجاء أن أعود وأن أراكا

وأنشدته لصاحبنا الفقيه الأديب السيد محمد ابن زاكور الفاسي رحمه الله.

أبغي السواك ولا أروم سواكا
سبحن يا بدر الذي سواكا
فلماك يمتهن السواك ولا رشا
يغني لماه عن السواك سواكا

ومن المعلوم أن ابن زاكور المشار إليه قد توفي عام 1120 هـ وهو قد كان علما من أعلام الفقه والأدب بالبلاد المغربية، وكانت له عناية بشرح النصوص وتأليف الكتب البلاغة والأدبية فهو قد شرح قلائد العقيان لابن خاقان، وشرح لامية العرب، وهو صاحب الديوان الشهير الذي أسماه الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض.

ومن خلال بيتيه السابقين يتجلى لنا حبه للجناس وتعمده لا ستعماله سيرا على نهج البديعيين الذين كان لهم ولوع بذلك فكانوا يتبارون في تنويعه وتلوينه.

إن الإسحاقي في رحلته لم يتعرض لذكر جميع شيوخه أو جميع أصدقائه بحيث لو حاولنا تحديد أسمائهم أو معرفة أخبارهم لتعذر علينا ذلك إلا أن اعتزازه بشيخه اليوسي وإشارته لصاحبه ابن زاكور لمما يدل على أن عنايته بالفقه كانت ممزوجة بعنايته الأدبية العامة، وتظهر آثار هاته العناية فيما كان ينتقيه من موضوعات، أو فيما كان يشير إليه من كتب، أو فيما كان يحلله من نظريات، أو فيما كان يجول فيه من آراء، سواء كانت تتلاءم مع عصره، أو كانت معبرة عن ثقافة سابقة.

إن ثقافته العامة كانت تدل على اعتنائه بالتاريخ والسيرة النبوية، وعلى اعتنائه بالأدب والفقه، ويتجلى ذلك فيما ينقله من أشعار، وفيما يتعرض له من أحوال، وفيما يشير إليه من أقوال فقهية متعددة تدل على خبرته بالفقه المالكي وببعض القوانين الفقهية في المذاهب الأخرى.

ويبدو من خلال ما كتب أنه كان يدعو إلى الفهم والتأمل وسعة الخاطر، مع الاعتزاز بالكرامة النفسية والافتخار بالهمة الذاتية، فليس هناك ما يفسد العلم مثل الحفظ الآلي الذي لا يكون معه تدبر ولا قدرة على المناقشة والمعارضة وحضور البديهة.

وإن نظرة في هاته الرحلة لترسم لنا زيادة على ما أطلعنا عليه صورة من سلوكه وأخلاقه، وسلامة ذوقه ورقة حواره، كما تبرز لنا قدرته على السخرية اللاذعة التي لا بذاءة فيها.

ومن طبيعته في تأليفه أنه يشير إلى المصادر التي استفاد منها سواء فيما يتعلق بالرحلات السابقة التي كانت متداولة في المغرب كرحلة أبي محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني التونسي في أوائل القرن الثامن للهجرة،[5] وكرحلة البلوي وكرحلة العياشي وكرحلة الغرناطي وكرحلة ابن جبير وكرحلة العبدري أو فيما يتعلق بكتب السيرة والحديث وتاريخ الصحابة كالشفا للقاضي عياض، والروض الآنف للسهيلي، والاستيعاب لابن

5) لمحات من تاريخ الغرب تأليف الدكتور نقولا زيادة ص 300.

عبد البر، والإصابة لابن حجر، ودر السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة للسيوطي، أو فيما يتعلق بالفقه كالبيان والتحصيل لابن رشد، والمقدمات له أيضا، وواضحة ابن حبيب وبعض المناسك المشهورة لمختلف الفقهاء زيادة على اهتمامه بكتب اللغة التي ذكر أسماء بعضها.

ولم يكن المؤلف في رحلته مندفعا اندفاعا يلهيه عن التحكم إلى العقل. ولعل السبب في ذلك راجع إلى كونه لم يكتب الرحلة إلا بعد أن خبر الحياة فاستأنس بتقلباتها وأهوالها، وتعلم منها أن الاندفاع العاطفي لا يوتي أكله إذ لابد من الاستخدام العقلي، ومن التحري في الأحكام ومن مراعاة مقتضيات الأحوال، وإلا كانت الأحكام عبثية لا فائدة ترجى من ورائها.

وليس معنى هذا أن المؤلف كان مسالما إلى أبعد الحدود، فهو بطبيعة الحال كان يقلق كغيره إذا وجد ما لا يرضيه، إنما طريقة التعبير والأداء هي التي كانت تصور نضجه العقلي وما يمتاز به من قدرة على التبليغ الهادف الذي يجعلك تستأنس به وتعيش معه في لذة فنية ممتعة تجمع بين روح الأديب وعقل العالم. ولا أدل على ذلك من قصة طريفة كتبها بأسلوب ساخر يكاد يكون أسلوب الجاحظ في سبر الأغوار، وفي التحليل النفسي الدقيق. إنها قصة رجل مصري أراد أن يتقرب إليه وإلى الوفد الذي معه، وأن يستمنحهم عن طريق المدح والارتزاق بالشعر. وكان الهدف عنده من كتابة هاته القصة إظهار بعض الجوانب المتعلقة بحب المال وبالحرص على اكتسابه بأي صورة كانت في المجتمع المصري آنذاك، وأن يؤيد ذلك بعض الأوصاف التي وصف بها الرحلة العبدري أهل مصر. هذا مع العلم بأن العبدري في كتاباته العامة كان مندفعا مغاليا قال المؤلف[6] «ومن أعجب الملق والطمع الذي وصفهم به صاحب الرحلة المذكورة (ويشير بذلك إلى العبدري) ما شهدته من بعض من ينتحل العلم منهم، قصدونا إذ سمعوا بخبرنا أننا من جملة كتاب السلطنة بالمغرب عمره الله بوجود مولانا نصره الله، مادين أيدي القانعين والمعترين فرضخت لهم على قد الميسور، ثم تتابعوا وتراسلوا حتى عالت فريضتهم، وأحرجتنا سنتهم وفريضتهم، فانحرزنا عنهم إلى حيز الإهمال، وأوليناهم أذنا صماء، وتشاغلنا عنهم ببعض الأشغال تفاديا منهم. فبينما نحن في ذلك، ما شعرنا يوما حتى دخل علينا شيخ على رأسه عمامة مفرطة الطول والعرض، وجوخة يسحبها على الأرض، طويل السبال يمشي مشية مختبل أو مختال، فلم وهش وبش من تلقاء نفسه، ورفع يديه وقرأ فاتحة، ودعا لنا ولنفسه، بكل سانحة، من أمنية وبارحة، ثم أخرج قصيدة امتدحنا بها هي إلى الهجو أقرب، فجعل يقرؤها حتى فرغ منها فناولنا إياها فتأملناها فإذا هي عن الإعراب في غاية الانحراف، محتوية على المتقيات : الاقواء والإجازة والإصراف، فقلنا له يا شيخ لم رفعت هذا وحقه النصب، فقال نعم رفعته لإقامة الوزن. فقلنا له أيجوز لك أن تلحن لإقامة الوزن فقال نغيره ياسيدي. ثم قام وتولى وكان هذا الشيخ جاء راكبا على حمار نزل عنه في وسط الحوش الذي به بعض قشنا، وطلع إلينا إلى المقعد الذي كنا فيه، فرأى الحمار بردعة صغيرة هنالك، والموضع فارغ مافيه أحد، فقبض عليها بأسنانه، وقصد باب الدار خارجا بها، فخرج الشيخ وراءه يجري حافيا، فأدركه قرب من الخروج إلى شارع الطريق فرده ورد البردعة،فأغربنا في الضحك. وما عرفنا من أيهما نعجب، من الشيخ أم من حماره والناس يقولون قلب الجواد على قلب مولاه !

فهذه الحكاية تعتبر من أقسى ما يهجى به شخص، وألذع ما يوصم به إنسان، فقد وسمت هذا الرجل بالجهل والدناءة وسوء الإلحاح، وعدم القدرة على التمييز بين الجيد والرديء مع صغار النفس، وقلة الحياء.

وقد استغل فيها المؤلف خبرته بعلم العروض ودرايته بقواعد الشعر وقوانين القافية، واعتزازه بجمال الطبع مع

6) المخطوطة ص 138.

عدم السماح ببعض الضرورات التي لا تترك للشعر جاذبيته، والتي تدفع إلى الأخطاء اللغوية الفاحشة.

والظاهر أن الإسحاقي كانت له خبرة بعلم العروض، وأنه كان في أيام شبابه ينظم الشعر ويمارسه، إلا أننا لا نستطيع أن نحكم على شاعريته حكما دقيقا لأننا لم نطلع على ما يكفينا منه، فليس بين أيدينا لحد الآن إلا أبيات وردت في الرحلة تذكرها للاستئناس بها ولعلها كانت من الشعر الأول الذي قاله في شبابه قبل أن يتمكن من ناصية اللغة وقوة البيان.

فقد أورد هذه الأبيات حينما كان يترجم للفقيه مفتي الشافعية بالحرمين الشريفين زين العابدين بن سعيد المنوفي وكان ذا أخلاق طيبة وكرم وسخاء متجاوز الحد، يقول الشعر ويحسن إلى الناس كثيرا. ولقد استأنس بالإسحاقي وزالت بينهما الكلفة، وأنشده في يوم من الأيام قصيدة في مدح الرسول ﷺ فتذكر الإسحاقي أيام شبابه وقال بعد سماعه للقصيدة المشار إليها :[7] ولما فرغ صاحب الترجمة أعزه الله مما أنشدني لنفسه، أنشدته على وجه المطارحة في مجلس أنسه، مع بعض إخوانه وأبناء جنسه، ما كنت قلته قديما على وجه التمليح والاقتباس :

يا ذا الذي عذبني
وما درى كيف فعل

جد لي بريقك الذي
ألذ من طعم العسل

إياك والبطء به
إني خلقت من عجل

فكتبها وسطها للحين.

ومن يسمع هذه الأبيات فسيرى أنها لا تمثل قوة أدبية، ولا رقة شعرية كافية، وإنما هي أبيات تكاد تكون من المحاولات الأولى التي سار عليها الشاعر. ونحن لا ندري هل وقف الإسحاقي مع هذه المحاولات فلم يتجاوزها إلى غيرها أو استطاع أن يقوي ملكته الشعرية، وينمي قوته الخيالية، ويصقل معطياته التصويرية، فليس بين أيدينا ما نبرر به الجانب الثاني لأن الرحلة خالية من شعره رغم اهتمامه بالنقول الأدبية إلى حد كبير.

وكانت النقول الأدبية مختلفة الأغراض، ومتعددة الجوانب، وممثلة لعصور مختلفة، مما يمكننا أن نستدل به على حسن اختياره وسعة ثقافته.

ولم يكن في اختياراته يهمل الجوانب العاطفية الرقيقة الدالة على رقة طبعه وسلامة طويته.

فمن ذلك مثلا قوله وهو يغادر البلاد المغربية أثناء شروعه في السفر :[8] وخرج معنا مشيعونا من الأولاد والطلبة والأحباب والأصحاب، فجمعنا بين حلاوة التشييع، ومرارة التوديع، وإن كان الشيخ أبو الفتح ابن دقيق العيد رأى صواب ترك الجميع، إذ قال :

صدني عن حلاوة التشييع
ما أرى من مرارة التوديع

لم يقم أنس ذا بوحشة هذا
فرأيت الصواب ترك الجميع

ولما ودعنا من كان معنا من الطلبة والأصحاب، أنشدت متمثلا في الحال قول من قال :

ليت شعري أنلتقي بعد هذا
أم وداعا يكون هذا اللقاء

فاذكروني وزودوني دعاء
خير زاد تزودوني الدعاء

وكان حنينه إلى وطنه متجددا، يذكره في كل مناسبة ويتحدث عنه كلما واتته الظروف. ولقد نقل قصيدة كاملة من نظم صديقه القاضي العميري أنشده إياها وهو بمصر فسجلها في رحلته نقلها للتعرف على بعض النماذج الأدبية المغربية في هاته الحقبة التي تتحدث عنها. قال الإسحاقي :[9] تذاكرنا الغرب يوما ونحن بمصر، فذكرنا

7) المخطوطة صفحة 233.
8) المخطوطة صفحة 19.
9) المخطوطة صفحة 143.

مطمح النفس، ومحل الأُنس، مكناسة الزيتونة، وما بها من المعاهد التي استفتى القلب فيها نفسه وإن أفتاه المفتون. ففتت الشوق منا كل كبد، وبرح كل منا بما يجد، فأنشدني صاحبنا الفقيه الأديب السيد بلقاسم بن الفقيه العلامة السيد سعيد العميري لنفسه ما أنشده أيام نزوحه عن الحضرة المذكورة وجلائه عنها أيام الحادث الجارف، الذي استوعى التالد والطارف، بناحية غمارة.

يـا للـورى لغمـاره
ـئمنهـا بغمـاره
أرابني اليـوم أمر
كنت امتطيت غمـاره
فصنتهـا عن مقـامي
صـون الغيـور ذمـاره
وملت عنهـا بـوجـه
امطت عنـه خمـاره
من احتسى الكـأس صرفـا
لا ينكرن خمـاره
ومـا بغير بـلادي
أرض ولـو بـإمـاره
لاتحلهن وفـائي
فلي عليـه أمـاره
وكيـف ولا وبكـره
خلى الحبيب وداره
فليس يبغى سـواهـا
مـأوى ولـو كـان داره
وكـان منهـا لبـدري
في أفـق عـزي داره
مـا حيلتي في رجـوعي
واحر قلبي ونـاره
والـلـوم في ذاك لـوم
لا ترفعن منـاره
يـا هـل يرد لشمي
بعـد الافـول انـاره
حتى يقـال فـلان
يـا سعـده الحب زاره
وبرت في الأرض أبغي
مـزارة فمـزاره
رثى لي النـاس طرا
معـده ونـزاره
ومـا وجـدت عـزيـزا
يجير من كـان جـاره
فتم في اللـه قصـدي
وكنت حقـا مجـاره
ورد كيـد قلـوب
قـاوة كـالحجـارة
حتى يصـون رجـائي
عن خيبـة وخسـاره
حتى يمن عليـه
حتى يفـك أسـاره
حتى أعـود قريبـا
لمعشري عـود سـاره

ثم قال المؤلف :

وربما اتبعنا الزفرة بالزفرة، وواصلنا العبرة بالعبرة، وأنشدنا من الاشتياق إلى الأوطان وتزاحم الأشواق قول أبي حيان :

يـا فرقـة أبـدلتني بـالسرور أسى
وأسهرت نـاظرا طـالمـا نعسـا
أنى يكـون اجتمـاع بين مفترق
جسم بمصر وقلب حـل أنـدلسـا

وهكذا نرى رغم حبه للتنقل، واشتياقه لزيارة البقاع المقدسة، لا ينسى وطنه، ولا تغيب معالمه عن نفسه، فهو يذكره في جل الأحيان، ويختار من الشعر ما يعبر به عن حزن الفراق، وعن لوعة الاشتياق.

وقد تجلى لنا ذلك واضحا في بعض ما ذكرناه سابقا كما سيتجلى لنا ذلك فيما يأتي.

إن المؤلف كان دقيق الملاحظة وكان يربط بين الواقع المغربي وبين المعطيات الحضارية العامة سواء بالنسبة إلى التاريخ القديم، أو إلى التاريخ الذي يحياه بنفسه. فهو مثلا حينما كان يتحدث عن الدولة العلوية ربط بين أصولها من الأشراف الذين وفدوا على المغرب من الحجاز وبين رجال الدولة الحاكمين، وأحس بوجود روابط ذاتية بين الأشراف الحاليين وبين أجدادهم في ينبوع النخل لا تتصل بالطباع فقط، بل تصل إلى حد التشابه في الخلقة الجسمية نفسها. فهو حينما كان يتحدث عن أشراف ينبوع النخل بالحجاز قال :[10] «ومن العجب أن هؤلاء السادة مشابهون لشرفاء أهل تافلالت في ألوانهم. جمعتهم سمرة الحجاز. والله لقد رأيت شريفا منهم لهو أشبه بمولانا إسماعيل رحمه الله لونا وقدا وسلامى يدين».

وحديثه عن الأشخاص الذين التقى بهم في الرحلة مفيد جدا خصوصا فيما يتعلق بالمجال السياسي، أو فيما يتعلق بالمجال العلمي. ولقد كان لهذه الإشارات التي دونها في رحلته فائدة أعانت على معرفة كثير من العادات السائدة، ويسرت الاطلاع على جوانب من تاريخ بعض الأعلام الذين كان لهم أثر في التسيير العلمي أو التاريخي.

ففي مدينة فاس مثلا[11] أشار إلى الفقيه الخطيب السيد البكري بن محمد الشاذلي بن الولي الصالح سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي حيث استمع إليه في مسجد الأشراف وهو يصلي هناك يوم الجمعة فرأى فيه خطيبا بليغا تهتز لخطبته النفوس، وتخشع القلوب، وتدمع العيون، وتهيج شوقا إلى زيارة البقاع المقدسة. فقد قال في رحلته حين كان يصف هذا الخطيب أثناء صلاة الجمعة : «فما ترى من الحاضرين إلا من ذرفت منه العيون، واستنفد ماء الشؤون، وود أن لو كان له جناح يطير به مع الرياح. ومن لم يساعده المقدور ببلوغ ذلك المنى والسول، ينشد بلسان حاله أو مقاله ويقول :

يـــا راحلين إلى المختـــار من مضر
سرتم جسوما وسرنـا نحن أرواحـا
إنـــا أقمنــا على عــذر ومعجــزة
ومن أقــام على عــذر كمن راحــا

وفي مدينة تازا اتصل بالفقيه الأديب السيد عبد القادر بن محمد المصيلي وقال عنه انه فقيه نجيب له مشاركة تامة في فنون من العلم، وتسلط عليها بفهم ثاقب. يرد المجهول إلى المعلوم. ذاكرته في مسائل أنبأنا فيها شاهده عن غائبه.

ومن وصفه لهذا الفقيه تتبين لنا العناصر التقديرية التي يبني عليها المؤلف قيمة المثقف النافع.

فمن هذه العناصر :

أولا - المشاركة التامة في مختلف الفنون. وهذه الظاهرة كانت صورة للمثقف الحقيقي في المجتمع العربي حيث كان يحسن اللغة والأدب والفقه والحديث والتاريخ وبعض مقدمات الطب والحكمة، فإذا تحدث جال في مختلف المعارف جولة العالم الموسوعي الذي يطمئن إليه من سأله، ويرتاح إلى معرفته من احتاج إليه.

ثانيا - التسلط على هذه الفنون بالفهم الثاقب، فليس هناك ما يضيع العلم مثل الانغلاق على المعرفة، وعدم استخدام العقل في استيعاب كنه الأشياء، لأن ذلك الانغلاق يحجر الفكر، ويجعل الإنسان كالببغاء، يردد ما هو موجود، ولكنه لا يعي ما يقول.

ثالثا - القدرة على الافهام، وذلك لا يتم إلا بالفهم، إذ من المعروف أن الذي يستوعب الأشياء ويفهمها فهما جيدا يقدر على حصر معلوماته، وعلى تحديد طريقة تلقينها ووسيلة تبليغها، وعلى البحث عن أيسر الوسائل التي يستطيع بها إبراز المجهول وربطه بالمعلوم. فالإلمام بالمادة

10) المخطوطة صفحة 164.
11) المخطوطة صفحة 23.

كما يقول أهل التربية ييسر البحث عن وسيلة التبليغ، ويعين الملقن على اختيار السبل النافعة، والطرائق الناجعة، التي يستطيع بها رد المجهول إلى المعلوم.

رابعا ـ القدرة على الحوار والمذاكرة وعدم الاقتصار على المحفوظ فإن الذي لا يحسن الحوار ولا يعرف كيفية التصرف في معلوماته هو أقرب إلى الجهل منه إلى العلم، فالمذاكرة أصل من أصول المعرفة، وسعة الخاطر فيها دليل على التمكن من آداب العلم وآداب الحوار.

وفي مدينة تازا لم يكتف المؤلف في الإطار الثقافي بذكر من التقى بهم مباشرة بل أشار إلى بعض العلماء الذين زار قبورهم وتحدث عنهم تحدث المعجب بهم وبقيمتهم، كما أشار إلى بعض المآثر الحضارية التي اشتهرت بها هاته المدينة في تاريخ المغرب.

فقد زار مسجدها ووصفه وصفا أبان فيه ما يختص به هذا المسجد من الجمال والإتقان، كما وصف المدرسة الملاصقة له المكتوب على بابها :

لعمرك مـــا مثلي بشرق ومغرب
يفــوق المبـــاني حسن منظري الحسن
بنــاني لـــدرس العلم مبتغيـــا بـــه
ثــوابـــا من اللـــه الأمير أبــو الحسن

وعند حديثه عن المسجد أشار إلى ثرياه الكبرى التي أقامها المرينيون وإلى ما كتب عليها من أشعار، كما أشار إلى الخزانة التي بقبلته على يسار المحراب، وإلى المنبر وما يمتاز به من إتقان.

وبعد الانتهاء من ذلك قال : والكل من عمل بني مرين جزاهم الله بالخير إذ كانوا على السنة والسذاجة في الدين، عقدهم اشعري، والمذهب ليس بقدري.

ونظرا لاهتمامه العلمي لم يهمل في مدينة تازا بعض مزاراتها المحتضنة لعلماء أجلاء كان لهم وزن علمي في بلادنا من أولئك العالم ابن بري الذي قال عنه :[12]

ابن بري هو علي بن الحسين الشهير بابن أبري التسولي النسب، التازي الدار.

قال ابن عبد الكريم هو من بني لنت. وكنت أسمع أنه من بني مقورة منهم. وقال المجاطي التسولي البلنتي صاحب الكلام البديع، والخط الرفيع. قال ابن مسلم الرباطي قال الحصار قال ابن المجراط ولد بتازة في الستين والستمائة ونشأ بزقاق الزفانين منها، واجتهد كثيرا في الذكر والبحث والمطالعة. وكان من طلبة تازا من عدولها وانتقل إلى فاس كاتبا سنة أربعة وعشرين وسبعمائة. وتوفي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شوال عام ثلاثين وسبعمائة.

قال ابن عبد الكريم توفي بفاس ـ قال الحصار ودفن ببلاده يعني تازة قلت في روضة الترجايين.

قال الشريف عمر بن إبراهيم قدس الله روحه رأيت قبره في روضة الترجايين بتازا.

وشيوخه أبو جعفر بن الزبير وأبو الحسن بن سليمان وأبو الربيع ابن حمدون ذكر ذلك في إجازة له.

وتواليفه عشرة الرجز المشهور، وتأليف في القراءة أيضا، وشرح وثائق الغرناطي، والكافي في العروض والقوافي، وشرح ابن السقاط في العروض، وشرح الإيضاح للفارسي، واختصر زهر الآداب واختصر الشريشي على المقامات، وذكر الحصار أنه ابتدأ شرحا على المدونة، والقانون في رواية ورش وقالون مختصر انتهى من خط بعض الأفاضل الفاسيين البوعنانيين.

ويتضح لنا من هذه الترجمة أن المؤلف لم يكن ينطلق مع قلمه عند ذكر أخبار الناس دون أن يعتمد على توثيق دقيق. فهو لم يكتف بذكر ترجمة ابن بري ولكنه نقلها عن أصول ذكرها ليكون القارئ على بينة من أمره، وليعلم مصدر هاته الأخبار. وتلك سجية العلماء لا يدعون ما ليس لهم، ولا ينتحلون ما لغيرهم، وإنما يشيرون إلى

12) المخطوطة صفحة 29.

الأصول لتبقى حرية النقد عند السامع والقارئ فيربط كل خبر بأصله وعن طريق ذلك تنطلق تقديرات التعديل والتجريح.

ومن تازا يمكننا أن نسير مع المؤلف في رحلته لنقف بالخصوص على بعض الجوانب الثقافية الأخرى ولنطلع على بعض أحواله. فهو لم يكتف بذكر بعض المعالم التي أعجب بها في المغرب فقط، بل تتبع ذلك أثناء مسيرته. ففي تونس مثلا زار مدينة توزر. وفي هذه المدينة ذكر أنه التقى بالفقيه السيد محمد بن منصور وبعض طلبته والتمس منه أن يعيره جزءا من شرح القسطلاني على كتاب البخاري فاستجاب له الفقيه وحينئذ قضى كثيرا من أوقاته في التبرك بدراسة هذا الكتاب شأنه في ذلك شأن المغاربة الذين لهم إعجاب كبير بصحيح البخاري وبشروحه المختلفة. وبقي هذا الجزء بيده إلى أن رده إلى صاحبه بمدينة طرابلس.

ولاحظ المؤلف في مدينة توزر أن النساء يكثرن من لباس السواد فأثار ذلك انتباهه، ودفعه إلى استفسار أحد الفقهاء من تلامذة السيد ابن منصور يعرف بأبي رمضان عن العلة في ذلك. وقارن بين هاته العادة وعادة أهل الأندلس. كل ذلك بأسلوب جميل، وبرقة في التعبير والاستدلال. قال : أخبرني الفقيه السيد بو رمضان المذكور لما سألته عن لباس أهل البلد - أعني توزر - السواد لا سيما النساء لا يلبسن إلا السواد، فقال تلك عادتهم. النساء يلبسن السواد حالة السرور، والرجال يلبسون البياض حالة السرور، فإذا تغيرت الحال بالحزن والعياذ بالله لبس النساء البياض ولبس الرجال السواد. تذكرت ما أنشده بعضهم في أهل الأندلس إذ كانوا يلبسون السواد في سائر أحوالهم فإذا أحدهم حزن لبس الثياب البيض :

ألا يا أهل أندلس فطنتم
بلطفكم إلى شيء عجيب

لبستم في مأتمكم بياضا
فجئتم منه في زي غريب

صدقتم فالبياض لباس حزن
ولا حزن أشد من المشيب

وفي هذه المدينة زار المؤلف قبور ثلاثة أعلام من أعلامها المشهورين في التاريخ العلمي والأدبي وهم الإمام الشقراطيسي صاحب اللامية المشهورة المتوفى سنة 466 هـ وأبو الفضل ابن النحوي صاحب المنفرجة المتوفى سنة 513 وابن الشباط شارح الشقراطيسية المتوفى سنة 681 هـ.

وإن زيارته لهؤلاء، وذكره لهم في رحلته ليدل دلالة قوية على ما كان يشعر به هذا الرجل إزاءهم. فهم كانوا ذوي شهرة في البلاد المغربية، تتلى قصائدهم، وتقرأ كتبهم، ويفتخر بالانتماء إلى أخلاقهم وسلوكهم.

ولعل من المفيد أن نقدم ترجمة موجزة لكل واحد منهم.

فالشقراطيسي هو أبو محمد عبد الله بن أبي زكرياء التوزري المشهور بالدراسات اللغوية والفقهية والحديثية. ولقد كان سكان بلده يعتمدون عليه في الأحكام الفقهية ويستندون إلى فتاواه واجتهاداته. وقد ألف كتابا سماه الأعلام في معجزات خير الأنام ختمه بقصيدة لامية شهيرة أصبحت تعرف فيما بعد بالشقراطيسية يقول في مطلعها :

الحمد لله منا باعث الرسل
هدى بأحمد منا أحمد السبل

خير البرية من بدو ومن حضر
وأكرم الخلق من حاف ومنتعل

توراة موسى أتت عنه فصدقها
إنجيل عيسى بحق غير مفتعل

أخبار أحبار أهل الكتب قد وردت
عما رأوا أو رووا في الأعصر الأول

ولقد خمسها الشيخ محمد بن علي بن الشباط أحد هؤلاء الثلاثة المذكورين وشرحها بشروح ثلاثة كبير ومتوسط وصغير.[13]

وأما أبو المحاسن يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي التوزري فهو أحد الطلبة الذين تلقوا العلم عن الشقراطيسي السابق وكان له اهتمام بالفقه ويكفيه فخرا أنه سافر إلى صفاقس ليروي عن أبي الحسن اللخمي كتاب البخاري ولينسخ منه تبصرته ثم سافر إلى قلعة بني حماد.

ولقد اشتهر بالقصيدة المعروفة بالمنفرجة المبنية على وزن الخبب يقول فيها :

اشتدي أزمة تنفرجي
قد آذن ليلك بالبلج
وظلام الليل له سرج
حتى يغشاه أبو السرج
وسحاب الخير له مطر
فإذا جاء الابان تجى

وهو القائل :[14]

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد
وقلت يا سيدي يا منتهى أملي
يا من عليه بكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أمورا أنت تعلمها
مالي على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي بالضر مشتكيا
إليك يا خير من مدت إليه يد

وأما محمد بن علي بن محمد بن شباط التوزري فقد برع في العلوم البلاغية والأدبية ونظم الشعر وهو الذي خمس الشقراطيسية السابقة الذكر وجعل لها شرحا مفيدا كان الإسحاقي ينقل عنه من حين لآخر يقول في مطلع هذا التخميس :[15]

أبدا بحمد الذي أعطى ولم تسل
وذذ به ريب رين الإين والكسل
فالحمد أحلى جنى من طيب العسل
الحمد لله منا باعث الرسل
هدى بأحمد منا أحمد السبل

إن زيارة الإسحاقي لقبور هؤلاء العلماء وتدوين أسمائهم في رحلته، تعبير عن إجلاله لأهل العلم وتقديره لذويه، ولذلك لا تخلو رحلته من هذه الزيارات، يتحدث عنها معجبا، ويضيفها دائما إلى زياراته للأحياء فيجمع بين الأخذ المباشر، وبين الإشارة إلى من يستحقون الذكر المستمر وإن ماتوا قديما، لأنهم أحياء بعلومهم وسلوكهم، وهذه ميزة تدل على حسن أخلاق الإسحاقي وعلى مدى اعتزازه بالعلم وذويه. فهو مثلا كان يكتفي أحيانا بالإشارة العابرة إلى فقيه أو أديب حفظا للتاريخ، كإشارته في طرابلس إلى فقيه تونسي اسمه محمد. وإلى فقيهين مغربيين هما محمد بوقلال وأخوه أحمد، وإلى الأديب محمد بن سعيد الطرابلسي، وإلى السيد محمد الفرخاني الذي كانت له مشاركة تامة في فنون من العلم. ولكنه في الأكثر كان يعلق ويعقب ويلاحظ مثل ما رأينا في كثير من الملاحظات السابقة ومن ذلك مثلا أنه حينما وصل إلى مصر، وبعد وصفه لكثير من حلقات الدروس بالجامع الأزهر ذكر أنه اتصل هناك بالفقيه السيد علي الحنفي الذي كان له ولوع بتدريس ألفية ابن مالك. فوجده في مستوى غير جيد. ذلك أن السيد الحنفي كان ضيق العطن، بين اللكن، يعاني في التقرير شدة، وكل من ألح عليه في البحث رده أو صده.

وهنا نلاحظ عمق الملاحظة التربوية التي أبداها الإسحاقي والتي تؤكد مذهبه التربوي الذي أشرنا إليه من حين لآخر. فهو يرى أن البحث لا ينمو إلا بالحوار والحرية وإلا كانت الدروس عقيمة ومملة مثل الحال الذي

13) توجد ترجمته بالجزء الأول من عنوان الأريب للشيخ محمد النيفر صفحة 42.

14) نفس المصدر الجزء الأول صفحة 51.

15) نفس المصدر الجزء الأول صفحة 65.

يتصف به السيد الحنفي هذا. فإن ضيق صدره جعل المؤلف يبتعد عنه رغم تشوقه إلى الاستفادة منه. فقد كان يرغب في أن يستمع إلى بعض تقريراته، وإلى بعض ما عنده من علوم، ولكنه لم يمنحه شيئا من ذلك. قال الإسحاقي في وصف هذا الفقيه :

رغبت الشيخ علي الحنفي المذكور أن أقرأ عليه شرح السعد على العقائد النسفية لما سمعت أنه قرأها عام أول قبل وصولنا فمنع من ذلك كل المنع، وأخذ يذم علم الكلام، ويزهد في الاشتغال به فنبذته كما نبذت بروايتها الصناع، وجعلته من جهة تساقط القناع، وكان ذلك آخر العهد به، وكان قبل ذلك، أضافني وقال لي تتعشى عندي ولكن عشائي ما فيه لحم، فقلت له إني رضيت بما حضر فقال كأن هذا شطر بيت شعر فقلت هو من كلام محمود الزمخشري وأنشدته الأبيات بجملتها فقال لي لا حمد الله له عاقبة، فقلت يا سيدي سمعنا بعض أشياخنا إذا ذكروه يقولون سامحه الله فلج في الدعاء عليه. وقال الكلب معتزلي.

إن المتأمل في هذه الفقرة التي اقتبسناها من الرحلة يستشف منها الروح العلمية التي امتاز بها الإسحاقي والطريقة المثلى التي يراها صالحة في التلقين، فهو رغم كبر سنه واطلاعه يرغب في المزيد من المعرفة، ويرجو أن يقرأ كتابا في العقائد بتعليقات شيخ مصري سبق له أن درس هذا الكتاب. ثم إننا نراه يشمئز من روح التعصب المؤدي إلى شتم بعض العلماء واستنقاصهم استنقاصا هجينا. فمن الآداب العلمية إبراز أخطائهم، وإظهار الجوانب العقائدية التي لاتتفق مع الاتجاه الآخر بلين قولي، ومنطق عقلي وحجة نقلية تساعد على الوصول إلى الأهداف. زيادة على الالتماس من الله أن يهدي الضالين ويرجعهم إلى طريق الصواب.

ولقد افتخر في هذه الخطة بشيوخه الذين كانوا إذا ذكروا الزمخشري ترحموا عليه وطلبوا من الله أن يسامحه.

ولعل خطة شيوخه كانت أسلم، فقد جعلتهم يطلعون على مختلف الأفكار ويختارون منها الملائم مع عقيدتهم السنية وينصرفون عن غيرها.

وهذا هو السبب الذي جعلهم لا يهملون دراسة كثير من الكتب التي لا تتلاءم مع معتقداتهم. فقد درسوا كتب الجاحظ كما درسوا كتب الزمخشري دون أن يجدوا في ذلك حرجا.

والدليل على ذلك ما أشار إليه الإسحاقي فهو لم يكتف بذكر ما ألفه الزمخشري بل كان يحفظ بعض شعره ويشير إليه في اقتباساته ولهذا ذكر أنه أملى الأبيات على السيد الحنفي والمراد بذلك الأبيات التالية :[16]

ألا قل لسعدي ما لنا فيك من وطر
وما تطلبن النجل من أعين البقر
فإنا اقتصرنا بالذين تضايقت
عيونهم والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة
ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر
ولم أنس إذ غازلته قرب روضة
إلى قرب حوض فيه للماء منحدر
فقلت له جئني بورد وإنما
أردت به ورد الخدود وما شعر
فقال انتظرني رجع طرف أجيء به
فقلت له هيهات مالي منتظر
فقال ولا ورد سوى الخد حاضر
فقلت له إني قنعت بما حضر

ولما غادر مصر أصبح متشوقا إلى مكة تشوق الولهان، وارتفعت في نفسه التطلعات إلى تلك الأراضي المقدسة، وحن إلى أهلها وعلمائها، ولم يكتف حين الوصول إليها بأداء المناسك الدينية فقط، بل حاول أن يستفيد من علمائها، وأن يتبرك من صلحائها.[17]

16) الجزء الثاني من الكشاف صفحة 572.

17) المخطوطة صفحة 214.

ففي مكة اتصل بسيدي عمر البار الحسيني، وبالعلامة الحافظ ابن عبد الله محمد بن أحمد عقيلة المكي وهو رجل عالم فاضل له من التآليف العلمية عدد كبير أشار إليها وذكر أنه نال منه الإجازة في رواية حديث مسلسل يتعلق بقول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل يا معاذ أنا أحبك فقل اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وفي رواية أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

قبل مغادرته كتب إليه الوثيقة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد عقيلة إني قد أجزت الرجل الصالح الفاضل العالم الكامل الشيخ محمد الشرقي الإسحاقي بالحديث المسلسل إني أحبك فقل اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

وتمتع أيضا بالتسلسل فيما يتعلق بحديث المصافحة وبالإجازة في كل ما رواه الشيخ العقيلي.

ومن الذين اتصل بهم، وأظهر فضلهم، وتحدث عن قيمتهم العلمية، الأستاذ الفاضل السيد محمد الطبري شيخ المقام الحنبلي فقد قال عنه، إنه رجل متصوف، وعلى مكارم الأخلاق متطوف، عاكف بالحرم على العبادة والتصنيف، ملازم له في الشتاء والصيف والخريف، لا يخرج فيما حدثنا عنه إلا ليلة السابع والعشرين من رمضان، يخرج لمقام إبراهيم عليه السلام، ويحيي ليلته تلك حتى يختم الختمة القرآنية ثم لا يراه أحد بعد إلا من قصده لداره وخلوته. تفرغ للعبادة واحتفل للتصنيف أي احتفال، وهو أشعري غدا يحمد رأي الناس في الاعتزال، دخلنا عليه في داره بعد الاستئذان، فأذن لنا وتبركنا برؤيته، وتعرضنا لوابل أدعيته، وإن لم يصبنا منه وابل فطل.

وبعد وصفه له ذكر أنه قد أجازه مثل الفقيه السابق، وأنه قد سمح له بأن يروي عنه كل مروياته قال... وكانت الإجازة المذكورة منه لنا بعد أن قرأت عليه شيئا يسيرا من أوائل بعض كتب الحديث كالبخاري والشفا وغيرهما بقصد التبرك، وزودنا دعاء صالحا، وانفصلنا عنه ممتلئي الحقائب، نائلي الرغائب إن شاء الله.[18]

واتصل أيضا بالفقيه أبي الفضل تاج الدين الحنفي مفتي الحنفية بالحرم المكي فأجازه الحديث المسلسل الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من الأرض يرحمكم من في السماء وغيره وكتب له سنده المتصل عن شيوخه وشيوخ شيوخه إلى أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

واتصل بأعلام آخرين جلهم كانوا من أهل الفقه والأدب ولقد انسجمت أرواحهم وتآلفت، ويستطيع كل من يطلع على الرحلة أن يعرف قيمة علم الحديث في نفس الإسحاقي. فهو كان يكثر من ذكر الإجازات المتعلقة به، ويتبرك غالبا بذكر كتبه وكتب السيرة عامة، خصوصا ما اشتهر منها في المغرب كالبخاري والشفا ويبدو ذلك حتى فيما لم يشر إليه فنحن لو خرجنا من مكة معه في رحلته وأشرفنا على المدينة المنورة لوجدناه يقول : وصلنا إلى معهد الفضائل المشهورة، ومعقد ألوية الدين المنشورة، المظهر الأعلى، والبرزخ الأسنى، مشرق الأنوار، ومعدن الأسرار، من له الفتح والختام، والحائز للمقامات العلية بإتمام، رسول رب العالمين، وسيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد ﷺ تسليما كثيرا، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعندما قربنا من الحضرة النبوية، وشارفنا أبواب المدينة السنية، أنشدنا متمثلين قول القائل.

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا
فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

---

18) المخطوطة صفحة 225.

نـزلنـــا على الأكـــوار نمشي كرامـــة
لمن بـــان عنـــه أن نلم بـــه ركبـــا

وقول الآخر :

وإذا المطي بنـــا بلغن محمـــدا
فظهـــورهن على الأنـــام حرام
قربننـــا من خير من وطئ الثرى
فلهـــا علينـــا حرمـــة وذمـــام

فلم يكن بـد ولا شغل سوى تيمم المسجد الحرام، بقصد السلام، على سيد الأنام، وضجيعيه المولى سيدنا أبي بكر الصديق، والمولى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وأرضاهما.[19]

فنحن نرى أن ما تمثل من الشعر ولم ينسبه لقائله إنما هو أبيات وردت في كتاب الشفا للقاضي عياض، استمدها كثير من الزوار للمدينة فأنشدوها، واستمتعوا بمعانيها، وحفظوها، ليجعلوها منطقهم عند الدخول إليها، شاعرين بالخشوع، معترين بالخضوع، عالمين بأنهم مقدمون على أرض آوت الرسول ونصرته، وعاشت أيام كفاحه وجهاده، واستمدت منه روحه الطاهرة فظلت إلى الأبد مأوى للزيارة، ومنبعا فياضا للفضائل، ورمزا قيما لنصرة المبادئ الصالحة، فإذا زارها المسلم تقمصت روحه أحداث التاريخ، وتذكر سيرة الرسول الله ﷺ الذي جعله الله أسوة للعالمين.

ولا بأس أن نأخذ من الشفا طريقة عرض هذه الأبيات لنستمع إليها من جديد مقرونة بمصدرها الأصلي. فقد قال القاضي عياض :[20] وحدثت أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا :

ولمـــا رأينـــا رسم من لم يـــدع لنـــا
فـــؤاد العرفـــان الرســـوم ولا لبـــا
نـــزلنـــا عن الأكـــوار نمشي كرامـــة
لمن بـــان عنـــه أن نلم بـــه ركبـــا

وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول ﷺ أنشأ يقول :

رفـــع الحجـــاب لنـــا فـــلاح لنـــاظر
قمر تطلـــع دونـــه الأوهـــام
وإذا المطي بنـــا بلغن محمـــدا
فظهـــورهن على الرحـــال حرام
قربننـــا من خير من وطئ الثرى
فلهـــا علينـــا حرمـــة وذمـــام

إن هذه النقول إذا دلت على شيء فإنما تدل على أن الثقافة التي كانت سائدة في المغرب كانت جامعة بين الروح الأدبية والروح الدينية، وأن المغاربة كانوا يجدون لذة كبرى في التوجه إلى البقاع المقدسة ليستفيدوا علما، ولينالوا أجرا، وليعيشوا من جديد حياة عاشها المسلمون الأولون، فتنتعش بذلك أرواحهم، وتزكو نفوسهم، ويسجلون للتاريخ مرة أخرى صورة البطولة الإسلامية، وقصة الحضارة العربية التي لم تنتعش إلا بهذا التآزر الفكري والروحي الذي نتمنى أن يحيا من جديد وأن يبعث بعثا آخر يربط حاضرنا بالماضي ويمهد لنا طريق الخير للمستقبل والسلام.



19) المخطوطة صفحة 264.
20) الشفا للقاضي عياض الجزء الثاني صفحة 45.

واحسناه..!

للأستاذ علي الصقلي

المشهد الحادي عشر*

تنار الأضواء من جديد على السيدتين (سبتة ومليلية) وهما مسترسلتان في حديثهما، كأن لا أمر يعنيهما سواه.

سبتـــــة　　غـــدا تطلُـع الشمس من حـــولنـــــا
مليليـــــة　　وتمحـــو ديـــــاجرينـــــا أجمعـــــا
سبتـــــة　　وتهـــدي الســلام لكـــل فـــؤاد
مليليـــــة　　فليس لـــــه بعـــد أن يجـــزعـــا
سبتـــــة　　وبـــــالنـــور تمـــلأُ أعيننـــــا
مليليـــــة　　وكم ملئت قبـــــل ذا أدمُعـــــا
سبتـــــة　　وتُحيي مـــوات المنى في النفـــوس
مليليـــــة　　فتـــزهـــو، وتستنبت البلقعـــــا
سبتـــــة　　فنفتـــح لـــلأهـــل أذرعنـــــا
مليليـــــة　　ومـــــا إن فتحنـــــا لهم أذرعـــــا
سبتـــــة　　ويرجـــــــــع طيري إلى وكره
مليليـــــة　　وكم ذاب شـــوقـــاً لكي يرجعـــــا
سبتـــــة　　ويسعى فتـــــاي لمـــوضعـــه
　　ومن فرح يلثم المـــــوضعـــــا

---

*)عنوان إحدى مسرحيتين شعريتين جديدتين يتألف منهما كتاب باسم «مع الأسيرتين، في مسرحيتين» سيظهر قريبا.

مليليـــــة وبـــــاسمـــــك أهتفُ مـــلء فمي
مبشرةً وطني المُــــوجَعـــــا !
«هـــذه سبتـــة فتـــاتـــك جـاءت
نحـو نـاديـك في شبـاب قشيب»[1]
هي من شـوقهــــا إليـــــك لهيب
يتلظّى، مُـــــزرٍ بكــــــل لهيب
أوكطير أعشـــاشُــــه أو حشتْــــــه
فـــأتـــاهـــا من الجـوى في لغـوب
يـــا بعيـــداً عنهـــا قريبـــا إليهـــا
أنت، رغم البعـــــاد، جـــــد قريب
لم تــزد عنـــك بـــالنـوى غير قرب
كم نـــوىً تستـــزيـــد حبَّ الحبيب
كلمـــــا هبت الصَّبـــــا عبر وادي
ـــــكَ إليهـــا تراقصتْ للهبـــوب
واستفـــاقت كـــأنمـــا هي نجـوى
منـك تـدعـو وليـدهـا للـوُثـوب !
هـــذه سبتـــة فتـــاتـــك، كم ســـا
ل استيــاقــاً لهـــا ســواد القلـوب
هي ذي في حمـــاك عـــانقت البشـ
ـــر، ولا دَرَّ درُّ أمسٍ كئيبِ
وازدهـــا هـــا أن عـــاد طيفـك بســـا
مـــاً لهـــا في شروقـــه والغروب

1) هذا البيت الموضوع بين مزدوجتين، هو لأبي عبد الله محمد بن علي الفشتالي، وهو واحد من بيتين، نظمهما مخاطبا بهما المنصور الذهبي، على إثر غارة قام بها أبو العباس أحمـد النقسيس التطواني على بعض المحتلين لسبتة، وهم يوجدون خارجها، فأوقع بهم، وكاد يفتحها، الأمر الذي قوى الأمل في قرب فتحها، وهو ما جعل الشاعر الفشتالي يتصور المتوقع كالواقع، حين خاطب ببيتيه أحمد المنصور.

سبتــــــة　　وبـــــاسمـــــك أهتفُ، مـــلء فمي

مبشرةً وطني المــــــوجعــــــا

إليـــــك أوت مليليــــــة

متـــــوجـــــةٌ بحريــــــة

تقــــول : أبي إليـــــك رجعـ

ـــت ثـــانيــــة، كـــأختيـــة

مكحلـــــةً بنـــــورك، يـــــا

أبي المحبـــــوبَ، عينيّــــــة

وشـــــاكرةً لمن لم يَـــــأُ

تَلــــوا بـــــذْلا وتضحيّـــــة

لكيمــــــا أكسرَ القيــــــدَ الـ

ــــــذي قـــد هـــدَّ رجلَيّـــة

وأسبـــــحَ حرةً، مــــــالي

ســــــوى حريتي شِيّـــــة

أنـــــا، وكمثـــــل أمس الأ

ول المـــأثـــور عَنيــــة

ســــأبني صرحَ أمجـــــادي

وأُعلي رأسَ أهليّـــــــــة

ويسري اسمي بكـــــــل فم

ليُنشـــــدَ خيرَ أُغنيّـــــة

وتبقى قصتي في كــــــــــل

قلبٍ نـــــابضٍ حَيّـــــة

مليليـــــة　　حُلم نحن في مـــــداه نجـــولُ

سبتـــــة　　ســوف يغـــدو حقيقــــةً ويحـــولُ

لكـــأنّ النهـــارَ يصحـــو، وبـــالنّعـ

ـمـــة موفــورةً تموجُ الحقـــولُ

سبتـــــة وتُغني للحب كـــلُّ العصـــــافيـ
ـــرِ، ولا أنـــــةٌ لهــــا أو عـــويـــلُ

مليليـــــة ويمـــوت الأسى، وتحيـــــا المسرا
ت، ودون المروّعـــــات سُـــــدولُ

سبتـــــة و مليليـــــة فـــإذا سبتـــــةٌ غـــداً ومليليـ
ـــــةُ نـــور لا يعتريــــه أفـــولُ

مليليـــــة سـؤلنـــا مـــا أنـــا لَنَـــا الحسن الثـــا
ني المفـــــدّى، ومثلُـــه من يُنيـــلُ

سبتـــــة وكـــذا صحّ عـزمـــه، فـــإذا العـز
م قضـــاء محقـــق مـــا يقـــولُ

مليليـــــة وإذا العيـدُ عيـدنـــا، بعـــد أن تـ
ـمّ إلى غـــايـــةِ المَرام الـوصـولُ

سبتـــــة وطني والحيـــاة ليست سـوى العـ
ــزّ ولا يعرف الحيـــاةَ ذليـــلُ

لستَ مِن دونـنــــــا بحي، ولا نحـ
ـنُ لنا في الحيـــاةِ، دونَـك، سولُ

مليليـــــة فلْيَنَـــوِّرْ بِنَـــا حِمَـــاكَ، ومـــا إن
لحمــــــاك الكريم أنتَ مثيــــلُ

سبتـــــة ومليليـــــة يـــامعنّى بِـــدائنـــا، خطــوةٌ وا
حـــدة منـــكَ والعنـــاءُ يـــزولُ

بصـــوت واحـــد فـــاخطُهـــا تَمْـحُ، أنتَ، داءَينِ لا دا
ءً، ويُشفَى مـــدى الـزمـــانِ العليـلُ



للاستاذ
الحاج احمد ابن شقرون
رئيس المجلس العلمي الاقليمي بفاس
وعضو اكاديمية
المملكة المغربية

من سيدي الحسن الإمام تألقا ... بدر التمام على الأنام فأغدقا
في العيد فضيا، مباهج أُمة ... أهدى لها في كل حين رونقا
فترنحت من حلمه أعطافها ... شكرا، وفازت بالسلام محققا
الخير من أوصافه، والعلم من ... أعماله، حيث السنا قد أشرقا
ساءلت ربي أن يصون متوجا ... لمكارم الأخلاق عاش موفقا
من ربع قرن وهو يبني سيدا ... ملك القلوب بما أدر وأشفقا
لو جاز لي لجمعت أفلاك السما ... ونظمتها شعرا، يحاكي فيلقا
ووقفت أنظرها تقبل راحة ... لمليكنا، مزهوة عند اللقا
في العيد فضيا تهيم رعية ... وتظل تهتف بالعظيم المرتقى
من جنده نجم بموطىء عاهل ... شمل الأنام بعطفه متدفقا
إن العظائم لم تزل موصولة ... من سيد جمع الهدى متألقا
شعب بدا في واحد متفرد ... إن يدن من شجر يسارع مورقا

هـذي مسـاجـده، وتلـك سـدوده ... وحـــدوده مخفـــورة لن تخرقـــا

أملي تعـانقـــه عظـــائم عرشـــه ... في عيـــده الفضي يـزهـو مـونقـــا

مــاست بـــه نشـوى كـوامن قلبنـــا ... في أرض مغربنــا المشع تــألقـــا

مــا زال شعب بــالــدعــاء مبــاركــا ... خطـواتـــه ومـؤيـــدا ومصفقـــا

اللـــــه أكبر كلمــــا ذكر الحجى ... كـــان الحري بـــه الحـديث الشيقـا

فــإذا تحـدث فــاقتبس من نـوره ... مـــا شئت من غرر تجيء بمنتقى

هــذي المحــاسن والمعــارف لم تـزل ... من سيـــد تعلي وترفـع جـو سقـــا

أكرم بـــه من عــاهــل صــان الحمى ... فصفــا بـــه نبع الهنـــا وترقرقـــا

عرش تــألــق في الــورى وبـــه غــدا ... المغرب الأقصى يبـــاهي المشرقـــا

والقـــدس عبء المسلمين ومـــالــــه ... إلا هـــزبر في المعـــارك يتقى

فــــاللـــــه يكلـــؤه لكـــل مبرة ... ويصـونـــه حصنـــا حصينـا غيـدقـا

وكـــذا ولي العهـــد عنـوان العلى ... والصنــو من يبني المكـــارم ريقـــا

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

• عليكم أن تعلموا أنه فيما يخص الحسن الثاني، الذي سن سنن الحرية والديمقراطية في هذه البلاد، أن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن قد فقد حريته منذ أن أصبح أسير قسمه.

يا مليكا على القلوب تربّع

للأستاذ مولاي الطيب المريني دنيا

طاف بي طائف الوفاء فغنيـ ـت، لشعبي في فرحة تجدد
أنا صداحه، وكل كياني نغم، يطرب الوجود ويسعد
مثل شعبي إيقاعه ليس يفنى أو يفنى مع الخلود المخلد
همت فيه مع الحياة وليدا مذ وعيت الحرف الكبير المشدد
وأنا الآن، لم أزل من هواه في محاريب قدسه أتعبد
كل يوم، له الصلاة ليحيا فوق هام الزمان أسعد أرغد
لا تلوموا قلبي الوفي إذا ما بهواه انتشى، فغنى وعربد
فهو سر الإله أودعه الكو ن جمالا فما مثيله يشهد

□ ● □

أيها الشعب يا رفيق المعالي ياهتاف الرجا. إذا الليل أربد
يارصيد الأحرار، يا مرتجاهم بإباء الإباء دمت الممجد
قد سبتني لك الرجولة خلقا لجراح الإسلام تأسو وتضمد
وترد التيار عكس مناه بنضال، وعزمة لا تردد
حفك اليمن إذ رعاك ملوك بذلوا كل ما يديمك أسعد
همهم سؤلهم رؤاك مهابا ولك الخصم راكعا يتودد
دينهم أن تعيش حرا كريما وعزيزا، وشامخا، ومسدد

صنعوا من مفاخر لك تاجا   هو أبقى على الحياة وأخلد
وإلى الآن ما يزال كما كا   ن نشيدا، ونغمة تتردد
زاده من بهائه حسن الفعـ   ـل رواء، وروعة، ثم سؤدد
من بنى للأطان مجدا حديثا   فاق كل البناة إذ هو أمجد
من رعته عناية الله حصنا   وحبتنا به المليك المؤيد
من عرفناه في الجهاد شجاعا   وخبرناه في الدياجير فرقد
جاء يهدي من السناء ضياء   هزم الظلم والظلام، وأنجد
ليس يرتاح راصدا كل جهد   لارتقاء، وللدعائم وطد
عبقري له السياسة تعنو   باقتدار، لكل خطب ترصد
ليس يرتاح أو يحقق نصرا   تلو نصر بالرأي، قبل المهند
فسلوا إن أردتمو حدث القر   ن، ففيه من البطولة مشهد
مشهد الحق في اليمين كتاب   رتلته جموع شعب توحد
رغم كيد العدا، وسخف أذاهم   وصل الزحف غاية ليس تجحد
لم يعقه في سيره أي شيء   وضح الحق، واستبان المؤكد
فرنا المجد للقلوب تلاقت   وهفا الشعب للقاء المجدد
إن مجدا بناه ملك كريم   حسن الرأي في الخطوب توقد
هو لاريب شامخ وأصيل   وهو عنوان للصمود المؤيد
أي يوم هذا الذي نحن نحيا   (ربع قرن) على المدى ليس ينفد
هو يوم له من اسمك فأل   لم نزل من نعمائه نتزود
بارك الله صبحه ومساه   للحاق الركب المجد وأزيد

□●□

يا مليكا على القلوب تربعـ   ـت، هنيئا لك الولاء المجسد
إن شعبا على يديك خطاه   هو والله راشد ومرشد
كم تصدى بفعل دفعك للثأ   ر، بعيدا كعهده يوم سدد
لنحور الصليب سهم جهاد   لفكاك (القدس الشريف) المصفد
من له غيرك اليوم يفديـ   ـه، فنغشى رحابه ثم نسجد
فلتدم عاملا ليوم خلاص   وليدم عرشكم بكم يتجدد

عرش التحدي

للأستاذ المدني الحمراوي

بورك العيد يا مليك التحدي ... بزغت شمسه بيمن وسعد
ربع قرن مضى مجيدا مضيئا ... قد كسبت الرهان فيه بجد
قد تجشمتها سنين كفاح ... وبناء في كل نهج وقصد
ما علينا إذا منحناك حبا ... هو أغلى من كل عطف وود
وجعلناك للعروبة قطبا ... قد حباها بكل جهد ورفد
وأميرا للمومنين شريفا ... علويا نماه أشرف جد
شرف باسق يؤازره علـ ... ـم كثير، وفطنة ذات وقد
وبيان كأنه الغيث يهمي ... وطباع كأنها نفح ورد
أنت تفدى بكل غال نفيس ... وتحلى من القريض بعقد
بايعتك العلى؛ فأنت مطاع ... رغم أنف المعاند المستبد

==÷==

لك جند من القلوب عتيد ... وجنود القلوب أنفس جند
إنه الشعب لا يرى فيك إلا ... أملا خصه بأوكد عهد
عرشك اليوم في حناياه كنز ... حاط أقداسه بأمنع سد
أنت تدعوه للعلى كل حين ... فيلبيك في وفاق، وحشد
قد رأينا مسيرة الفتح لما ... صحت هيا إلى مسير التحدي
فارتمينا على الطريق سيولا ... ما لها عن مرامها أي رد

حـــدث لم تــزل معـــانيـــه تحيـــا — وستحيـــا غـــدا إلى غير حـــد
فـــأعـــدنـــا بحسن رأيـــك حقـــا — ضـــاع من قبـــل في غمـــار التعـــدي
وربطنــــا شمالنــــا بجنـــوب — كـــاد يمضي إلى جحـــود وفقـــد

==÷==

قـــد مسحت التراب عن مجـــد شعب — طـــالمـــا نـــام في صروح ولحـــد
حين واصلت بين مـــاض تليـــد — وطريف كســـوتـــه خير برد
فتسنمت ذروة لم يطقهـــــا — مـــدع يكتـــوي بغيـــظ وحقـــد
فليمت حـــاســـد الهمـــام بغيـــظ — ليس يشفيـــه مـــا يسر ويبـــدي
وليـــواصـــل عنـــاده في سعـــار — وليجرب مـــا شـــاء من كـــل كيـــد
عرشنــــا صخرة تحطم قرنيـــ — ـــه بمستـــوعر من الصخر صلـــد
مـــا ظلمنـــاه، بـــل تجـــاهـــل حقـــا — خـــالصـــا، ليس فيـــه شبهـــة جحـــد
قـــد أخـــذنـــاه بـــاليمين جهـــارا — وبعـــزم لم يثنـــه أي صـــد

==÷==

يـــالصحرائنـــا الحبيبـــة مـــاذا — لقيت قبـــل من هـــوان ونكـــد
عـــادت اليـــوم: فـــاستنـــارت سماهـــا — واستكـــانت إلى رخـــاء ورغـــد
وحبتهـــا يـــد من الحسن الثـــا — ني بفيض يسيـــل في كـــل وهـــد
وبنـــاهـــا كمـــا يشـــاء: فصـــارت — تسحر العين بين بحر وطـــــود
منشـــآت شـــوامـــخ، ومبـــان — ومروج في كـــل سهـــل ونجـــد
جيشنـــا رابض هنـــاك عتيـــد — مضرم العـــزم في إبـــاء وحرد
في جمـــوع العـــدى لـــه فتكـــات — بين قتـــل وبين أسر وطرد
طبـــق الخـــافقين عنـــه حـــديث — خطـــه الـــدهر في صحـــائف خلـــد
إنهـــا شيمـــة لنـــا، ومـــزايـــا — في نضـــال عن الـــذمـــار وذود
صـــانهـــا عرشنـــا، وشعب أصيـــل — لا يبـــالي بـــأي لص ووغـــد
فليجرب حظـــوظـــه من أتـــانـــا — يطلب المـــوت عن سفـــاه وعمـــد
أرضنـــا للغـــزاة قبر قـــديم — ولأهـــل الـــوئـــام أطيب مهـــد
كيف نخـــزى وعرشنـــا نبـــوي — وعـــلانـــا من يعرب ومعـــد
قـــد ورثنـــا حراســـة الـــدين لمـــا — رده المـــــارقـــون شر مرد

لم نكن قــط للطغــاة ذيــولا وضبــاعــا تصيدنــا كــل صيــد
نحن أقحــاح عــزة ليس فينــا عرق ذل، ولا خســاســة قرد
لا كمن ينكر الجميــل، ويسقي علقمــا من سقــاه صفــوة شهــد
بئس طبــع جــزاك شرا بخير ومن الخلف قــد رمــاك بعرد
إنــه اللــؤم مــالــه من عــلاج غير كيــل الجــزاء مــدا بمــد

==÷==

لــك يــاسيــد البـلاد أيــاد تتــوالى من غير حصر وعــد
كم تجشمت من صروف صعــاب وتحملت من عنــاء وكــد
عرفت قــدسنــا بــلاءك فيهــا فــاستعــدت لكسر غــل وقيــد
وفلسطين كم مسحت أســاهــا بين جــزر من الخطــوب ومــد
وبــذلت الجهــود في لم شمــل عربي بكــل صبر ووكــد
كم تــوخيت من ســداد ورفــق وتلقيت بــالرضى كــل وفــد
وبــذرت الــوئــام بين قلــوب فتـلاقت من بعــد صــد وبعــد
وأبى اللــه أن ينــال أنــاس مــا تحريت من صــلاح ورشــد
أهملــوا دعــوة الــوئــام: فبــاتــوا يتقلــون بين هم وسهــد
كيف يــدعى إلى صــلاح شقيــق ثم يــأبى إبــاء خصم وضــد
إنهــا محنــة العروبــة كــانت من بنيهــا - ولم تــزل - في تردي
وكفى أن سعيــك اليــوم أبــدى كــل نصــح، وســد كــل مســد
علم النــاس حسن قصــدك فيمــا أنت تــوليــه من جميــل وتســدي

==÷==

حسبــك اليــوم عقــد وجــدة نصرا مخمــلا كــل شر خصم ونــد
فتمتــع بنشــوة النصر يــامن هــو أهــل لكــل عــز ومجــد
بــارك اللــه مــا صنعت، وأبقى شخصــك الفــذ للعلى والتصــدي
واللطيف الحفيــظ يكــلأ شبليــك بجنــد من السمــاء، وأســد
ويجــازيــك بــالرضى، ويــؤالي لــك نصرا في كــل حــل وعقــد
نحمــد اللــه إذا أجــار وأبقى صــاحب العهــد ســالمــا - خير حمــد
إنهــا نعمــة من اللــه جلى سربلتنــا بثــوب فضــل وسعــد
فهنيئــا لعرشنــا بــالأمــاني والتهــاني، وعــاش عرش التحــدي

تلكم فضائل عاهل..

لشاعر الوحدة محمد الكبير العلوي

سعدت بعرشك أمة السعداء ... وتشرفت بك سائر الأنحاء
وبدت مظاهر عزها وجمالها ... فرحا بيوم البشر والسراء
وبعيدك الميمون أشرقت المنى ... لتعم شعب محبة وفداء
وبدت أمارات البشارة أنجما ... توحي السرور بنعمة وهناء
وبدت سعود النصر وهي طوالع ... واليمن يغمر سائر الأرجاء
وبدت تباشير السعادة والرخا ... وضاءة بصباحها الوضاء
عرش أعدته البلاد فخارها ... وضمان وحدتها مدى الآناء
عرش أحبته البلاد فأعربت ... من قلبها عن بيعة وولاء
عرش أحبته النفوس وأشربت ... من حبه وولائه بسخاء
فلعيده في كل بيت حفلة ... كبرى وفي الأمصار والأحياء
ولكل نفس حفلة تختصها ... فتقيمها في القلب والأحشاء
مولاي ياحسن البلاد لك الهنا ... بفضائل جلت عن الإحصاء
شرفت صفاتك أن أحيط بكنهها ... وعظمت فوق مدائحي وثنائي
فلقد وصفت بكل مجد خالد ... ولقد سموت لكل فخر ناء
مهلا فقد حزت المكارم كلها ... وسموت منها فوق كل سماء
وشرفت مرتقيا لكل فضيلة ... أعيت مجاهلها على الخبراء
وسبقت من سبقوا فكنت مقدما ... في نيل كل سيادة قعساء

فاربع على السباق ان تك تبتغي   رفقاء في شرف وفي علياء
واترك لغيرك في العلى جزءا فقد   أحرزت منها سائر الأجزاء
بصفاتك الحسنى عظمت تكرما   وقد انفردت بأشرف الأسماء
جود وافضال وعدل شامل   وسماحة تقضي على اللأواء
مولاي دم للعرب معجزة ودم   للشعب كهفا كاشف البرحاء
مولاي دم شمسا لعصرك يهتدي   بضيائها في غيهب الظلماء
فلأنت هادي العمي من غي الضلال   ومسمع الصم الدعا بنداء
وحدت صف المسلمين وحزبهم   وبنيت صرح الأمة العرباء
وجعلت مغربنا لذلك كعبة   وغدا بفضلك ملتقى العظماء
أنت المليك العاهل الشهم الذي   يسمو عن الأشباه والنظراء
وتسير الجبل الأشم بهمة   علوية وعزيمة شماء
ملك أعدته العروبة فخرها   وكبيرها في عالم الكبراء
وأعده الإسلام قدوة شعبه   وإمامه الأسمى بدون مراء
أحيا البلاد فأشرقت وتحررت   من قبضة الدخلاء والأعداء
أردى النفوذ الأجنبي وداسه   وقضى عليه بذلة وجلاء
ملك رأى جهل البلاد وفقرها   فسما بها للعلم والاثراء
وأحلها ما لا نهاية فوقه   شرفا وشيد صرحها ببناء
يعلي ويرفع شأنها متساميا   ويقودها لتقدم ونماء
فسمت لتخترق السماء سيادة   تسمو بها علياء عن علياء
وغدت تطول على البلاد بعرشه   تختال في تيه وفي استعلاء
فترى المدارس بالشباب مليئة   وترى المساجد آية للرائي
وترى السدود هنا وثم مشيدة   فياضة بالخير والنعماء
في كل يوم نهضة ومسيرة   غراء تلهم معشر الشعراء
تلكم فضائل عاهل تشدو بها   الشعراء والخطباء في الأنداء
شمل البلاد بمصرها وببدوها   يمنا وأغنى شعبها بثراء
وأظلها بظلال عرش شامخ   وعدالة ممتدة الأفياء
فتفيأت تلك الظلال سعيدة   تسمو وتنعم في هنا ورخاء
ملك يفيض على العديم وذي الثرا   سيان ذو فقر وذو استغناء

غمرت مواهبه المواطن كلها ... وتدفقت بالجود والإعطاء
فله هبات في المدائن جمة ... وله الأيادي البيض في الصحراء
وسعت أقاليم الشمال فأمطرت ... فيها بكل سحابة بيضاء
وتهاطلت نحو الجنوب كريمة ... فياضة في أفقه المترائي
كالوبل فاض على المحيط سماحة ... ومضى يعم مجاهل البيداء
ساس الأمور بحكمة وبخطة ... بيضاء وفق محجة بيضاء
فتداعت العظماء تسلك نهجه ... في ملة حسنية سمحاء
فيها هدى للعالمين وعصمة ... للكل من زيغ ومن أخطاء
ذاكم أمير المؤمنين المرتضى ... جلت مواهبه عن استقصاء
ملك الورى الحسن المثنى واحد ... في وصفه ونعوته الغراء
للمغرب الأقصى به وبعرشه ... شرف على الأقطار والأنحاء
هاذي الجماهير الغفيرة أقبلت ... تدلي إليه ببيعة وولاء
شبوا على شغف به ومحبة ... وسقوا بإخلاص له ووفاء
شغفت به الأوطان فهو حبيبها ... تفديه بالأموال والأبناء
لم لا وقد سعدت به وبعهده ... عهدا فأضحت أمة السعداء
فأدامه المولى لعزة شعبه ... بين الورى ولسائر الأرجاء
وأعزه بولي عهده وارث ... سر الملوك وعزة الأمراء
وبسائر الأمراء سادات الورى ... زين المحافل قادة العظماء



على قمة المجد

للأستاذ عبد الواحد أخريف

بأي بيان أستعيد القوافيا — وأي بديع أستميح المعانيا
وعرشك في ذكراه يلهم خاطري — صنوفا من الإبداع دمن غواديا
ترى مهجتي غر الأماني تلألأت — لشعبك حتى اخضل منها فؤاديا
وتلمح أخلاقا سما بك شأنها — أتتك وظل الغير في البعض ساعيا
وكيف سبيل الشعر للذروة التي — أنافت، وفاقت في علاها المعاليا ؟
سمت كالسها حقا ولكنها ترى — كبدر على أن السها مثل ماهيا
بها الخافقان النائيان تقاربا — فأصبح شرق الأرض كالغرب شاديا
فذكرك في الدنيا نشيد ترنمت — به ألسن التمجيد والحمد ساريا
وما لك ند في الوجود جميعه — يضاهيك حزما أو يروم التدانيا
مواهب من فيض الإله تدفقت — بها لك طرا قد عرفنا الأياديا
رويت بها حتى غدوت نموذجا — لكل كمال كاد يبدو خياليا !
وأكسبت أرضا من مفاخرك التي — خلعت عليها ما أفاد المراقيا
سلوا «المغرب الأقصى» الذي بات قبلة — قد استعذب الأبطال فيها التلاقيا
لقد جربوا في غيره حل خلفهم — فظل كذيل الضب أعقد شاكيا
وما ببني العرب الكرام مصيبة — سوى من خلاف الرأي يزجي الدواهيا !
بك اتحدوا يا ابن النبي وهللوا — وفي حضنك الغالي استطابوا التصافيا
دعوتهم لما استطار خلافهم — فلبوا وجاؤوا شاكرين المساعيا
وضعت على الجرح العميق شفاءه — كأنك «عيسى» قام فيهم مداويا

فلم يرجعوا إلا بقلب موحد … وقد وأدوا أحقادهم والتجافيا
وغنى على دنيا العروبة منشد … يزف من البشرى اللحون الغواليا
لك المعجزات الكثر تبدع دونما … مثال، وذاك السر يلمع ضاحيا
وما ينشئ الأمجاد إلا موفق … تجلى له وجه الحقيقة باديا
إذا كنت للعرب الموحد دائما … فإنك بالإسلام تلهج داعيا
فوحدته الكبرى خلاص شعوبه … وقوته العظمى ترد الأعاديا
وما لبني الإسلام غير توحد، … إذا رغبوا أن يسترقوا الأعاديا
إذا مزقتهم في الحياة مذاهب … فهم آثروا تمزيقهم والمناعيا !
ومذهبهم دين يعيد حياتهم … جنانا ويحيى الكل دهرا مواتيا
فأيقظهم للحق يا ابن «محمد» … فأنت لهم نور تلألأ هاديا
كما كان ماضي المجد يأتي جديده … وإن صح عزم نيل ما كان نائيا

☆ ☆ ☆

أمولاي هذا العيد حل وإنه … على الخمس والعشرين يلقى التهانيا
على ربع قرن في الجهاد وعشقه … يباكر صبحا أو يزين أماسيا
مضافا إلى بذل مع «الوالد» الذي … ملاحمه في الكون أضحت سواريا
بها يقتدي الأحرار في فك أسرهم … وفيها شعوب الأرض تلقى المراميا
وما حيلتي والمنجزات كثيرة ؟ … إذا قلت : بحرا لم يكن ذاك كافيا !
يراها فؤادي في سنا خفقانه … وتبصرها عيني نجوما دراريا
على أسس التعليم شيدت أنفسا … لها العلم نبراس ينير الدياجيا
يكاد بنو الشعب الوفي جميعهم … ينالونه أو يقصدون التناهيا
وأمية الشعب استحالت معارفا … بعزمك حتى انقاد ما كان عاصيا
وعما قريب نحتفي بفراقها … ونكسب بالعرفان خطا مثاليا
وفوق الأديم الخصب قامت سدوده … شواهق في أحشائها الخير ناميا
تروي بقاع الأرض كي ينبت الغنى … ويخضر عيش لم يعد بعد صاديا
وأنت الذي أسستها ورفعتها … شواهد حال لم يعدن خوافيا
بنيت على أرض الجدود مصانعا … يسيل بها الإنتاج أغزر وافيا
سواعد من فيها جهادك تحتذي … فتنتج أضعافا وتأبى التوانيا

وأمنت للعمال حقهم الذي ... يطمئنهم ما دام عدلك حاميا
هنيئا لعهد انت فيه إمامه ... فقد حاز أقساط السعادة راقيا
ونال على يمناه شعبك رفعة ... ترجعها الدنيا لحونا مثانيا
بهرت بها الدنيا وقادتها الألى ... يسوسونها إذ لم يروا لك ثانيا
وما يمنح التاريخ مثلك دائما ... لشعب، وإن وافى بدا السعد رانيا
غمرت به الأبناء في كل بقعة ... من «المغرب الأقصى» ففاق الرواسيا
ضممت له «الصحراء» وهي على المدى ... تمازج منه أهله والمغانيا
دهاها من الأعداء شر أصابها ... وذاقت من الفعل اللئيم مخازيا
وعاث دخيل الدار في عرصاتها ... فسادا فنادت تستغيث المواليا
فلبيت إذ أنقذتها «بمسيرة» ... ستحيا فخارا خالدا متواليا
دعوت فلبى الشعب طوعا كأنه ... يلبي نداء للصلاة سماويا
ولا غرو فالتحرير من طبع قائد ... وشعب ألانا في الحياة العواصيا
وعادت ـ كما كانت ـ بحضنك تحتمي ... يرفرف فيها البند أحمر قانيا
فيابطل التحرير عشت لها أبا ... يرد عن الأبناء فيها العواديا
ستبقى لنا قلبا على نبضاته ... يدق هدى التوحيد أخضر صافيا
وإن كان خصم الدار ما زال حالما ... فإن دواعي اليأس تردى النواصيا
ولا ليل إلا منته بصباحه ... فتنسحب الأحلام ظمأى بواكيا
لنا الحق في «الصحراء» بدءا وعودة ... وقد خسيء التمويه أخرس داجيا
على رملها الأعلام تخفق حرة ... ونجمتها الخضراء ترعى النواحيا
و«بالحسن الثاني» تهيم صبابة ... وتحفظ عهدا كالعقيدة زاكيا

☆ ☆ ☆

أيا ملك التوحيد عشت موفقا ... ترصع بالآثار فينا اللياليا
على كل يوم يعرف النور وجهه ... جديد نلاقي في سناه الأمانيا
وما حسن إلا بفعل وقد غدت ... فعالك بالخيرات تجرى هواميا
فدمت لهذا الشعب مصدر عزة ... تبوئه مجدا مدى الدهر باقيا
وعاش ولي العهد «شبلك للهدى» ... يسير على النهج الذي شدت راضيا
ودام «رشيد البيت» في كنف التقى ... يرى من حلاها برده واللآليا
وآلك في عز طريف وتالد ... وشعبك يرقى في حماك المعاليا

مرحى بنصر الله

للأستاذ الهاشمي الهواري

خليق بنا أن نخلص الحب والودا — لمن حقق الآمال والسؤل والخلدا
إذا حل عيد العرش فاضت مشاعر — تعبر عن حب تماسك واشتدا
ولا غرو فالأيام أصدق شاهد — على أنه الشعب الذي يحفظ العهدا
وما هذه الأفراح إلا عواطف — وهل يستطيع الصب أن يكتم الوجدا
وما هو إلا العرش والشعب حوله — يمجد ما أولى المليك وما أسدى
هو الحسن الثاني على كل ساحة — تعود أن يحظى وأن يبلغ الوردا
إلا أنها خمس وعشرون حجة — كعقد لآل طافحات بما أجدى
ففي كل ميدان مآثر جمة — ستبقى على مر الزمان له عقدا
وما زال يولي العزم والحظ باسم — يشق طريقا يضمن الفوز والرفدا
إذا ذكر التاريخ شبل ابن يوسف — أشاد به شهما وكرمه جعدا

☆ ● ☆

أبا النهضة الغراء يسطع نورها — على الأرض وضاء تكامل وامتدا
قمت عماد الفكر والعلم والنهى — لأمة أمجاد ستصدقك الوعدا
معاهد في كل الربوع تكاملت — تهييء للأجيال من أمرهم وكد

وأوليت للتعليم كـل عنـايـة ... تنـاصره قبـلا وتـدعمـه بعـدا
وشيـدت تلـك الجـامعـات منـائرا ... لتنشر في عمـق دراستهـا شهـدا
تشجـع سبـاقـا وترفـع مخلصـا ... وتبـذل مـا يـذكي الحمـاسـة والـوقـدا
فـأجمـع أهـل العـزم في كـل وجهـة ... على الجد في المسعى وقد قـدحوا زنـدا
وأعطيت للتصنيـع كـل عنـايـة ... فحـافـظ عن مـاض وأتقن مـاجـدا
وشيـدت في دنيـا الفلاحـة مـا غـدا ... مثـارا لإعجـاب الألى عرفـوا البعـدا
وحققت آمـالا تراود أنفسـا ... لنشر تراث سجـل الـذكر والحمـدا
فعم ازدهـار كنت غـارس عـوده ... تعهـدتـه غصنـا وقـدمتـه وردا

☆ ● ☆

أيـا بطـل التحرير يـا ملـك العـلا ... لقـد كنت للشعب المـؤمـل والرشـدا
مسيرتـك الخضراء آيـة أعصر ... ومـا اعتمـدت سيفـا ولا جردت غمـدا
وقـد سجلت فتحـا ونصرا مـؤزرا ... وحطمت الأغـلال والـزيف والقيـدا
ومـا زالت الـدنيـا تردد كلهـا ... صـدى حـدث قـد تـوج السعي والجهـدا
مفـاخر قـد جلت تكرم من بنى ... ركـائـز للمجـد الـذي يضمن الخلـدا
لقـد أقسم الشعب الأبي معـاهـدا ... مليكـا تحـدى الكـائـدين لـه اللـدا !
شجـاعـة أبطـال وخطـة قـائـد ... تفرد لا يرضى نكـوصـا ولا صـدا
يسـالم في عـز ومـا خشي الـوغى ... على انـه الشهم الـذي يقهر الجنـدا
عليـه جـلال اللـه والشعب طـوعـه ... وقـد ألف الإقـدام مقتـدرا صلـدا

☆ ● ☆

أيـا رائـدا أرسى قـواعـد وحـدة ... تضم إلى عرب أفـارقـة أسـدا
فـأنت الـذي ترجى لرتـق تصـدع ... وجمـع شتـات قـد تمـزق واقتـدا
لينعم أحرار بـوارف وحـدة ... تقيم بنـاء يضمن اليمن والسعـدا
كفى فرقـة قـد ضيعت كـل فرصـة ... لكي نصل الأرحـام أو نجمع الحشـدا
أنرضى وبيت القـدس في يـد غـاصب ... ونسكت عن ظلم تكـاثر واحتـدا
ونحن على علم وأوفر قـوة ... تحطم من رام الإسـاءة والكيـدا

☆ ● ☆

أيـا حسن الأمجـاد طـوبى فـإنهـا
مكـــارم لا تحصى ولا تعرف الحــدا

مـــلاحم قـــــد ذاعت بشرق ومغرب
تشيـد بصرح قـد تكـامـل واشتـدا

وها فرحـة الصحراء بـالوصل واللقـا
وقـد جاوزت أصداؤها القـول والعـدا

تـلاقي مليكـــا حرر الأرض وانبرى
يحقـق إصلاحـــا يعم ومـــا أعـــدى

فكـــان لقــــاء لا يعـــد لـواصف
على أنـه صـدق العـواطف قـد أدى

فلم يبـق إلا أن تبـــارك خطـــوه
شعـوب سـلام ترفض المين والجحــدا

لقـد أصبحت من بعـد جـدب أجنـة
ومن زارهـــا يلـق البشـائر والمــدا

مشـاريـع في العمران والعلم تـزدهي
وتشهـــد أن الجـــد يستتبـع الجــدا

☆ ● ☆

أمـولاي هــــا مراكش اليــوم تحتفي
وتشـدو بحب فـاق في عطره الرنــدا

لقـد زارهـــا بعـد اشتيـــاق حبيبهـــا
فطـارت بها الأشواق تستقبل الـوفـدا

تعلقهـــا بـــالعرش عهــد وشرعـــة
ومـــا عرفت إلا الـولاء لهـــا نـــدا

قلـوب بنيهـا بـاقـة فـاح عطرهـا
وإن قلـوب الـود أجمـل مـا يهـدى

فــدمت مـع الأفراح والشعب رافـــه
يبـــادلـــك الحب المقــدس والـودا

ومرحى بنصر اللــــه في كـل خطـوة
يقـود إليهـــا رائـــد أخلص القصــدا

ومـــا زال حفـظ اللـه يرعـــاك رافـلا
تضيف إلى مجـــد تـؤثلـــه مجـــدا

وعــــاش ولي العهــــد بين طـوالـع
يـلازمـه التوفيق في كـل مـا أبـدى

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

• إذا كان تعزيز جهازنا الدفاعي من الحتميات التي لاجدال فيها وإذا كانت صيانة حوزة التراب الوطني أمرا اجتمعت عليه أمتنا وأحلته مكان الأولوية فإن من أوجب واجباتنا أن نوفر الإمكانات البشرية والمادية للدفاع المقدس عن وحدتنا وسيادتنا •

وعيدك عيد للورى وبشائر

للأستاذ عبد الكريم التواتي

مــواسم أعيــــاد المثنى بشـــــائر / بهـا تخفـق الأحنـا وتهفـو الضمـائر
مــواسم في جيــد الـزمــان قـلادة / وفي معصم الأيـــام هن أســـاور
تملى سناها الدهر واشتاق حسنها الـ / ـوجـود، ونـاجت مـا تروم المقـادر
مــواسم مـا الـدنيـا بهـا غير بسمـة / تراودهـا الـدنيـا هـوى، وتبـادر
وألحـــان حب، وقعتهـــا قلـوبنـــا / فـأحنـاؤنـا عيـدانهـا والمـزاهر

=-○-=

مــواسم أزهـــار الربيـع بشيرهـــا / وآذار ميعـــاد لهــــا ومظـــاهر
بهـــا بشر اللـــه الحيـــاة فـــأزهرت / فمـــا هي إلا غيـــدق وأزاهر
ورود، وأنســـام، وشـدو بـلابـل / ودنيـا، جنـاهـا وارف الظـل سـاحر
لقـد حفلت بـالمغريـات جنـانهـا / مبـاهجهـا تسبي النفـوس وتـاسر
...تحـاور شعبـا مـا يني بـولائـه / لعرش المثنى، يـزدهي ويفـــاخر
ومـا الحسن الثـاني وأعيـاد عرشـه / لمغربنــــــا إلا العرى والأواصر
عرى وثقتهـــا ذمـــة ومـودة / وأيمـان صـدق، والهـوى والمشـاعر
وبيعــة رضـوان منحنـــا، عقيـــدة / وأقـــدارنـــا والمرتجى والمصـــائر
ومنبتنــا، والضـاد، والـدين، إنهـــا / وربـــك، أعـلام لنـــا وشعـــائر
وعرش المثنى رمـزنـا وشعـارنـــا / وعرش المثنى وحـــدة وتـــآزر
ومـا الحسن الثـاني سـوى تم بـدره / ومـا عيـده إلا السنـــا والمـــآثر
فــإن هتفت أحنــاؤنـا وقلـوبنـــا / بحبـك، أو نـاجتنـا فيـك السرائر

فما أنت - يا ابن الأكرمين منابتا - لشعبك إلا هديه والمنائر
شمائل، ما التعداد يحصي جمالها ولكنها ذكر من النبل ذاخر
وإنك محض الخير، محض محبة وفضلك جم، والأيادي زواخر
مفاخر لا تحصى سنى، ومحامد تسامى بناها والذرى والوثائر

=-O-=

وربك قد أولاك ما أنت أهله يقين، وقلب مخلص القصد، طاهر
وآباء صدق أثلوا المجد فاستوى دعائم شما، روقتها المفاخر
وآل المثنى آل طه صليبة وطه، وحماه صيب السحب ماطر
أقاموا على خير الهدى خير أمة مواكبها، أعلى السناء، تنافر
مواكب أقمار الأنام هداتها وآل المثنى هديهم متواتر
سلوا المجد : هل سامي ذراه سواهم فقد أثلوا مجدا، به المجد ظافر
وكان أبوك الشهم أعظم قدوة وأنت على هدي الأبوة سائر
قفوت الخطى، تحدوك رغبة عترة لهم قدم في الصالحات أكابر
توارثتم أعلى الفضائل مهيعا وأنتم لدنيا المأثرات مآثر
إذا ما ادلهمت بالبرايا شؤونهم وروعهم جبس الحيا، والهواجر
تفجر غيثا ربعكم، وتهللت أناملكم جودا، وهن غزائر

=-O-=

دعوتم، فلبى الله، ياسعد طالع وهبتم، وتلك البينات الظواهر
وناجيتم أسماءه وصفاته وتلك - ورب العالمين - بصائر
فأنجدكم رب السماوات غيدقا ورب السماوات للمخبتين مناصر

=-O-=

مثناي : واليمن السعيد مبارك خطاك، حباك الله فيما تباشر
رفعت لأهل العلم شأوا، فبوركت يداك، وحق الله ما أنت حازر
وأسست ما قد قام للعلم شاهدا فربك يجزيك الذي أنت ناظر
مجالس قد أحيت عكاظا ويثربا ودور لعشاق العلوم، منابر
وقدما مثناي الأشم - تشربت حنايك حب العلم، والعلم آسر
وعشت له حصنا، ومرفأ عزة وأنت له - آماد عمرك - ناشر

فإن أنت - يابـاني المعاهد والقرى ... تعهدتـه، رعيـا، فـأجرك وافر
ودين أبيـك المصطفى قـام أسـه ... على العلم، إذ بـالعلم تبنى الدسـاكر
ومـا غيره يبني الشعوب، وإنمـا ... بـه ترتقي الـدنيـا وتحمى العشـائر
مثنـاي، والصحراء يـدعوك شعبهـا ... وأنت لهـا الـدرع المتين المـؤازر
تنـاديـك للجلى، وأنت ربيبهـا ... ومثلـك من لبى، ونعم المبـادر
وهبت لهـا دنيـاك، إذ أنت للحمى ... خلقت، تفـدي أهلهـا وتنـاصر
تصـون حمـاهـا، والبغـاة تغـولهم ... وعنهـا تـذود المعتـدي وتنـاصر
ومـا زلت تحبـوها العنـايـة صـادقـا ... ووحـدتهـا تحمي، ومـا أنت خـائر
ودأبـك تقفـو المعتـدين تبيـدهم ... وجيشـك قهـار، وسيفـك بـاتر

=-○-=

وأحييتم فيهـا مـواكب بيعـة ... حـذت بيعـة الرضوان، والكفر صـاغر
مـواكب فيهـا للخـلافـة حجـة ... تـواصت بهـا سـاحـاتهـا والمنـابر
وعم صـداهـا العـالمين، فكبروا اعـ ... ـترافـا، وكـل بـالخلافـة جـاهر
وقلت - ومـا قـد قلت حق وحكمـة - ... بـأن لا يرى في منتـداهـا مكـابر

=-○-=

حلفت - وشـد اللـه أزرك للتي ... حلفت - على الأعدا تـدور الـدوائر
فمـا هـالهم إلا الصقـور تنـوشهم ... تبـدد مـا قـد جمعـوا وتحـاصر
وصبحهم أجنـاد شعبـك، إنهم ... على البغي إلب، للحروب مسـاعر
ومـا هي إلا هجمـة إثر هجمـة ... وأخرى، لهـا انهـد العـدو المكـابر
على سهب البيـداء مـزق شملهم ... فهم مـزق تقتـات منهـا الكـواسر
تخطفهم، تفري شغـاف قلـوبهم ... وقـد سلبت أرواحهم والمنـاحر

=-○-=

جنحت لسلم، أن رأيت صـوابهـا ... وأنت زعيم في الحروب مغـاور
ولكن - وأنت المسلم الحق - لم تـزل ... إلى السلم تـدعـو، تستجيب، تبـادر

=-○-=

أجيراننـا : هـلا إلى الحق عـدتم ... وللعـدل أبتم، فـالعنـاد مخـاطر
دعـونـاكم للصلـح - والله شـاهـد ... بحسن نـوايـانـا - فقـوا أن تغـامروا
فـإن تجنحـوا للسلم، فـالسلم ديننـا ... ونحن بنـوهـا، والحمـاة العسـاكر

وإن تركنوا للحرب، تصلوا جحيمها
ونحن لها المستلئمون المساعر

فلا تركبوا متن الضلال، فإنه
إلى المحق يفضي، فاحذروا أن تناوروا

مثناي : أدرك قدسنا، إن أهله
يعانون ماترمض منه المرائر

يعانون بغيا من عدو مشاكس
وشعب (يهوذا) خاتل متآمر

حمى (فلسطين) داهمته ثعالب
ومسجدها الأقصى دهته جرائر

وعاني بنوها من تكالب أذؤب
ومكر شعوب ما لهن ضمائر

ينادون : واغوثاه : أمة أحمد
وواحسناه، عاث بالقدس واغر

فأدرك جزاك الله جل جلاله ـ
بنيها، وقد ساروعته غوادر

وشعبك جيش لا يضام جنابه
ولكنه أسد غضاب هواصر

=-O-=

مثناي : ما شعري ـ وإن طال ـ مدركا
مداك، وأنت البحر بالفضل زاخر

ولكنه جهد المقل، وإنما
رضاك ترجى، والرضى منك وافر

(هنيئا لك العيد الذي أنت عيده)
وعيدك عيد للورى وبشائر

وعشت لشبليك الكريمين جنة
وللشعب يحبوك الولا، ويناصر

وعاش ولي العهد عهدا يحفه
رضاك، ويمن سابغ الرغد وافر

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

• أملي أن يكون العشرون مليونا من المغاربة اليوم وغدا ودائما عبيدا لبلدهم، أسارى لوطنهم، خداما لشعبهم، فاقدين، وبطواعية واختيار، حريتهم في سبيل عملهم وقسمهم، أن يموتوا روحيا وجسميا في خدمة بلدهم وفي الدفاع عن حوزتها •

تجديد بيعة الصحراء

للأستاذ ماء العينين شيبة

يا من أعاد إلى الأوطان ما سلبا ووحد الشمل مقداما وما رهبا
وقاد يعرب والإسلام يرشدهم لما يعزز هذا الدين والعربا
ومن له بقلوب الشعب منزلة تسمو الخيال وصان السهل والحدبا
كنا نبث زرابي الود من قدم واليوم نفرش مع أُحداقنا الهدبا
مولاي ياحسن الأوطان معذرة فالشعر يعجز عن تقديم ما وجبا
من الولاء وعن تعداد شيمكم فلن يحيط بما يبغي وما رغبا
فذي المفاخر جلت أن يحيط بها راق من الشعر أنى صيغ أو كتبا
مناقب (الحسن الباني) لأُمته صرحا من المجد يعلو السحب والشهبا
من يوم ذر على الأوطان شارقه لم يأل جهدا ينيل الشعب ما طلبا
قاسى المنافي ولم يأبه بقسوتها ذبا عن العرش والأوطان منتصبا
وصارع الظلم في شتى مظاهره لا يقبل الضيم ساء الضيم منقلبا
ووحد الرأي والأحزاب أجمعها وأشرك الشعب في التسيير منتخبا

تلاحم الشعب خلف العرش صاغ هنا ... من الملاحم ما ينشي الورى طربا
فصاغ شعبي بذي الأوطان مذ زمن ... شلال مجد على الأيام منسكبا
ولم تعقه صروف الدهر مشرعة ... عن العطاء عطاء ليس مقتضبا
حتى تنور فكر الغرب من كتب ... لم يعرف الغرب أضرابا لها كتبا
وعم ذي (القارة السمراء) نور هدى ... من الدعاة يزيل الجهل والحجبا
ونور الهدي ساح المشركين بها ... من يعبد (الشمس) و(الأحجار) و(الحطبا)
حتى أظلت قباب الدين نائيها ... وأنجلت زمر الأعلام والنجبا
واليوم نحن بهذا العصر عاهلنا ... يشد أزر حسام الدين حيث نبا
بالأمس آزر إخواننا بمشرقنا ... بالجند والرأي إسعافا لمن نكبا
علما بأن جراح العرب واحدة ... سيان شط مكان الجرح أو قربا
ويوم مدت أيادي الظلم مضرمة ... نار الضغينة بالأقصاء والتهبا
وأظلم الأفق والدخان يغمره ... وعم يأس يشل الفكر والعصبا
وحارت الأمة الشماء وأسفا ... عديمة الحول، في وجه العدى إربا
دعا الهمام جميع المسلمين إلى ... عقد اجتماع يعد النهج والسببا
لفك قدس يعاني الظلم مكتئبا ... وما مع القدس من أوطاننا نهبا
فبدد الحيرة السفعاء موقفه ... وواصل السعي جريئا إذا خطبا
يغني المحافل أنى كان موقعها ... بما يدعم نور الحق حيث خبا
فهو الموحد يهوى الشمل ملتحما ... - من العروبة - لا هشا ولا لقبا
بيان (وجدة) قد أرسى بخطته ... قواعد الوحدة الكبرى لمن رغبا
من قارة السُّمر والإخوان من عرب ... نعده الشكل والمنوال والسببا
لجمع شمل عزيز طالما عصفت ... به المكائد حتى انثال وانسربا
مولاي ياتاج من قادوا البلاد إلى ... ذرى المعالي ورمز العلم والأدبا
حققت بالسلم مالو رامه بطل ... سواك بالحرب لم ينجزه إن غلبا
وطاوعتك من الإلهام سابرة ... غور الحوادث تجلو الشك والريبا
سلكت كل دروب السلم في زمن ... تناهبته نوايا الحرب فاضطربا
وما انثنيت عن الإمعان في خطط ... ترسي السلام سلاما ليس مستلبا
حتى طلعت على الدنيا بخارقة ... لم يشهد الدهر - كلا - مثلها عجبا

مسيرة من جموع الشعب حاملة ... آي المنزل لم تأبه بما نصبا
من المدافع والألغام كامنة ... وآليات العدى ملء السهول ربى
فحطم الزحف بالتنزيل متشحا ... من هد بالأمس صرح الدين واغتصبا
وعانق الأهل بالصحراء إخوتهم ... وأدبر الخصم عنا ممعنا هربا
ولم يعكر صفاء النصر ما صنعت ... أيدي الجزائر مهما صاح أو نحبا
لو كان يعلم من قالوا «بحجتهم» ... حقيقة الوضع لاستاؤوا لما ارتكبا
ولم يوالوا مدى الأيام خادعهم ... بدولة الوهم مهما قال أو وهبا
فذا الحزام حزام الأمن شيده ... جيش يدك حصون الغدر إن وثبا
جيش تقلد شارات الوغى بطلا ... تخشاه كل جيوش الأرض إن غضبا
والأمن يشمل كل القاطنين هنا ... لايختشوا رهبا، لايختشوا نصبا
واعتاضت البيد عن إمحالها خضلا ... من الرواء وتفليحا لما جدبا

● ○ ●

يا رائب الصدع والأعياد باسمة ... ومن أناخ لدى العلياء مذركبا
هذا الجنوب شغاف القلب يفرشه ... لموكب العرش معتزا كما دأبا
والشعب ينثر وردا زانه عبق ... طول الطريق وألحانا وما عذبا
في كل بيت لهذا العيد زغردة ... وصوت دف ومزمار ومن طربا
فأينما أشرقت أعلام موكبكم ... حل النماء مع الأعلام مصطحبا

● ○ ●

عيون شعبك بالصحراء في لهف ... ترنو وترقب نجما ساطعا ثقبا
مولاي شعبك حلى البيد لافتة ... وقوس نصر وأعلاما وقد كتبا
من الشعارات : عاش الملك نحن هنا ... في بيعة العرش، كيد الخصم صار هبا
عيد التحدي بهذا الجزء من وطني ... له معان تفوق الرصد والرتبا
أثبت للجار والأعداء قاطبة ... أن لا وجود لما يبغونه سببا
فالأم تهتف والأطفال يغمرهم ... من الحبور حبور فاق ماحسبا
لما رأى الكون هذا العيد قال هنا ... نبع الولاء لهذا العرش مانضبا

● ○ ●

فذي (العيون) تباهي اليوم طلعتها ... بما تحقق إذ عمرانها وثبا
في كل ناحية ورش ومدرسة ... خلال تسع من الأعوام لاحقبا
(ووادي الذهب) المحظي بطلعتكم ... قبل (العيون) أعد اليوم ما وجبا
من الحفاوة والتكريم شيمته ... حب المليك عن الإخلاص ما نكبا
وذي (السمارة) ما تنفك لابسة ... ثوب الوفاء قديما مردفا قشبا
يزينها اليوم ما يلفى بساحتها ... من النماء نماء مبلغا أربا
يهزها الآن إحساس يجذره ... عمق الولاء ولاء ليس مكتسبا
تقلد العهد أبناء لها سلفوا ... وأورثوه رعيلا قبلنا حدبا
واليوم نحن على درب الألى عرفوا ... بحفظ عهد يزين الجيد واللببا
نجدد البيعة الغراء يا ملكي ... ونبذل الجهد لا رخوا ولا تعبا
من أجل صون حدود الأرض في وطني ... من «البغاز» إلى (تشلا) وما سلبا
في الشرق بات لدى الجيران مجتزءا ... أو في الشمال لدى الإسبان مغتصبا
من أجل صون ذمار الربع أجمعه ... في ظل دوحتكم لا يختشي رهبا

● ○ ●

يازينة العيد والأمجاد في وطني ... أعطاك ربك - دهرا - خير ما وهبا
وصان نجل أمير المؤمنين محمـ ... ـدا وصنو ولي العهد والقربا
بجاه جدك خير الخلق أجمعهم ... ومن به شرفت في الخافقين (قبا)
صلى عليه الذي أعطاك موهبة ... تحمي التراب من الأعداء والغربا



عرش الملاحم

للأستاذ محمد بن محمد العلمي

نحن أهل الهدى، وأهل السلام،   قد سعينا لعزة ووئام
وصنعنا التاريخ روحا وشكلا،   باجتهاد، وحكمة، ونظام.
دورنا في التشييد أحسن دور،   فاسألوا عن تشييدنا في الأنام !
وجهنا المشرق الإمام المفدى،   حسن البخت من جدود كرام
فهو من تلكم الوجوه اللواتي   قد أزاحت عنا سجوف الظلام
جمعت فيه روح دين ودنيا :   تلكمو وحدة بغير انقسام !
فتراب البلاد ضوعف في ظل حـ   ـماه، وذاك فعل العظام
وهو في قمة الزمان سيبقى   خالدا في إشادة واحترام
نعمة الله قد زهت بأمير الـ   ـمؤمنين الرضا، رفيع المقام !
عشقه حل في الصميم، فأحيا   كل ذاتي بدفئه، وعظامي :
طالع السعد فيه قد حقق اللـ   ـه لكل الأحرار نيل المرام !
قد بسطنا له الخدود، وقبلـ   ـنا بعشق مواطئ الأقدام،
فالرعايا من كل صقع هتاف،   واشتياق إلى الإمام الهمام !

☆ ☆ ☆

وحدة في تنوع، وسماح   ظاهر في تساكن الأقوام.
نحن قدنا بلادنا بثبات   وصمود إلى الغد البسام

ودعونا بكل صدق إلى أن
يصبح الكون رافلا في السلام
عروة، بيننا من الحب وثقى،
لم تصب روحها بأي انفصام
فبفضل المليك نلنا منانا،
وحللنا في المجد أعلى سنام
عجبا للضرام يزداد بالنو
ـد، فمن يا ترى سيطفي أوامي ؟!

☆ ☆ ☆

وخطاب المليك من فوق أعلى
منبر، كان ماضيا كالحسام
إذ يرينا العملاق صولته الكبـ
ـرى، فيزري بجولة الأقزام !
قطع الترهات من كل جنس،
فسعى الركب صامدا للأمام
إننا في الصحراء سادة أرض
ذات أصل، موصولة الأرحام
وسنبقى بها أباة كراما،
في لقاءالأخوال والأعمام
تتسامى الأنساب نحو عروق
طاهرات من كل حر سامي
تلك أوطاننا العزيزة دوما
نفتديها بالتضحيات الجسام
لا علينا فيمن طغوا وتمادوا
في عقوق وفتنة وقتام
هم يبيعون نفسهم لضلال،
حيث سيقوا للحرب كالأغنام
من يرم وحدة البلاد بسوء،
نحن نسقيه من كؤوس الحمام !
إن رهط ارتزاقهم حصدوا البؤ
ـس، وعاشوا في الذل كالأيتام
والمعاني من جيشنا البطل ارتحـ
ـنا إليها في عزمه المقدام
إنما تلكم الملاحم منه
قام فيها للمجد خير قيام
وبرزنا بذلك القسم الأعـ
ـلى، فما في الكيان أي اقتسام
ودخلنا (العيون) حيث بعثنا
روعة الفتح عند بيت حرام
فهناك التوحيد ساد، فبادت
فتنة للأوثان والأصنام !
نحن أهل الحقوق في الأرض نبقى
رغم أهل الخنا، ورهط الخصام
لا ينال الحقوق إلا ذووها،
فهمو من سعوا لصون الذمام !
ثمن المجد باهظ لا يؤدى
بسوى همة، وموت زؤام
ومنال الرغاب صعب، به يفـ
ـرح أهل السباق يوم الزحام
إننا في استفتائنا نحن دوما
أهل صدق، وحكمة، والتزام
حقنا واضح، صريح، فما ضـ
ـر جحود للمرجف المتعامي !

☆ ☆ ☆

أمتي أمة العروبة أحرى   من تفانت في غيرة وسلام :

وحدة في المصير صفا وزحفا،   في صراع الآمال والآلام !

نتحدى كل الصعاب، فنبني   صرح سلم، ونهضة، والتحام

ومضيا إلى الكفاح بقلب   يقظ، صامد، بلا استسلام

وفلسطين شعبها شعب صدق،   ونضال، ونخوة، والتئام

إننا أُمة تريد انطلاقا   ذا معان لبعثنا الإسلامي !

ذكريات الأمجاد تزداد عمقا   وائتلاقا بشعبنا كل عام

فلكم حركت ملاحم قومي   خلجات للشاعر الرسام !

فكأني قد صرت (حسان) شعبي،   وكأني فيه (أبو تمّام) !

ولإفريقيا أعز اتحاد   عربي غدا قوي الزمام،

قد أقمناه عبرة لسوانا،   ونبذنا الفضول في اللوام

وفتحنا المجال للهمم العل   يا، فمرحى لشملنا في انضمام !

وجهاد المليك منفتح الأف   ق، حكيم الخطى، بعيد المرامي !

إنه في الطليعة اليوم تبدو   منه حقا شجاعة الضرغام

فنراه يدعو إلى المثل الأع   لى، بعيدا عن كل شر عقام

صدقت تلكم الفراسة ممن   طبعته براعة الإلمام

كل لفظ منه ضياء جديد   وربيع مفتح الأكمام

قد كفانا عزا وقدرا وفخرا،   فاسمه عندنا أجل الأسامي

فسلوا عنه في المحافل طرا،   واقرأوا في وسائل الإعلام،

تجدوا أروع المواقف تنبي   أنه صار قمة الأعلام !

فهو يوحي بدائع الشعر، يروي   من سناه روائع الأقلام

حفظ الله بيننا (ولي العه   د)، وأبقاه للمزايا العظام،

و (الرشيد) البدر المنير الذي قد   بعث الدفء في الحشا المستهام.

فهما الفرقدان حقا أضاءا   وطنا ماجدا بأبهى ابتسام !

ونجوم البيت الكريم المفدى،   إذهموا نخبة الأباة الكرام !

وأدام التحام عرش وشعب :   فانسجام الجهود خير قوام !

ربيع الفرح

للأستاذ حسن بن محمد هزميري

محياك أم ثغر الربيع تبسما … أم البهجة الفيحاء تقطر أنجما
أم العيد عيد العرش أضحى مزاره … لهذي الربا تاج النضارة معلما
أم الحسن الثاني أهل هلاله … على مربع الحمراء أسنى وأسلما
هنيئاً لنا. هذا بهاء جبينه … تقلده صدر الطبيعة ميسما
وهذا ربيع الخير من بركاته … أصاب من الحمراء جيدا ومعصما
فإن زان وجه الأرض مقدم عيده … فطالعه وشي الزمان ووسما
وإن صارت الحمراء في يوم عرسها … ففي عيده يحلو لها أن تكرما
أمولاي كرم أخت بغداد إنها … حبيبة شعب لم يزل بك مغرما
فلم أر شعباً كالذي لك حبه … ولا ملكا بالشعب مثلك أرحما
عفو ولو أن الذنوب عظيمة … صبور ولو أن الفؤاد تألما
فذي نفحات الوحي منك تضوعت … وذا خلق المختار فيك تجسما
فعش للمعالي وهي فيك شواخص … ودم لجدار السلم كيلا يهدما
جمعت فأوعيت الذي كان واعيا … وآخيت بالحسنى ثقيفا وجرهما
فلله ما أغناك علماً وحكمة … ولله ما أسماك روحاً ومنتمى

ففي كل يوم تشهد الحظ باسما … وفي كل يوم تبصر النصر أعظما
فهاجر إلى الصحراء هجرة ظافر … فقد وطأت أكنافها لك مرتمى
وبارك لها فيما أقامت بناءه … يداك من العمران كالشمس في السما
ليغتدي فيها معتد طلب المنى … فسيفك يسقيه الأماني علقما
ألست بأجناد السماء مؤيدا … ألست لدين الله تطلب مغنما
عساكرك الأسد الضراغم أشهرت … صوارمها ألا تداس وتهضما
فهن المنايا إن ترد نفس غادر … وهن الصوادي للشهادة والدما
وهن الدياجي لا يرام اقتحامها … وهن الضواري حين يصرن مفحما
تطارده في كل واد وهضبة … كأن بها مسا من الجن أضرما
هنيئا لها بالمنتقى من رضاكم … وبالزاد من غالي النصيحة أسهما
أمولاي جاوزت السحاب مفاخرا … ولا زلت ترقى للنوافل سلما
أقلب طرفي في البلاد فلا أرى … من البذل إلا ما أرى لك معلما
فهذي سدود قد أقمت صروحها … فأضحى بها الفلاح أغنى وأغنما
ووحدة هذا الشعب أنت ضمانها … وأنت لهذي الأرض حصن ومحتمى
بررت بدين الله إذ عز ناصر … ولا زلت توليه العناية أنعما
فأحييت ما فات ابن يوسف حاليا … وجددت ما أبلى الزمان وهدما
هدمت على الجهل اللعين جداره … ونضرت كرسي الأصالة ملهما
فلو كان يسعى أو يطيق تكلما … لسار إلى مولاي بالشكر منجما
فأكرم بما تخفي وتبدي من الهوى … لدين الهدى ذخرا وأجرا معظما
فيارب صن أبناءه وبناته … وحقق له فيهم الرجاء المؤمما

عيد العرش

عيد البيعة والوحدة

للأستاذ محمد العربي الشاوش

بعيـــد العرش تبتهـــج النفـــوس كمـــا بـــالعرس تبتهـــج العروس
وتفتخر البــلاد بـــه افتخـــارا وتسطـــع في مـــواكبـــه الشمـــوس
وتـــزدهر الحـــواضر والبـــوادي وتنتعش الخـــواطر والنفـــوس
وتحلـــو في مـــدائحـــه القوافي وتثمـــل من مبـــاهجـــه الرؤوس !
وتنظم في محـــاسنـــه الأغـــاني وتـــزخر من منـــاقبـــه الطروس

○ = ○

هـــو العرش الـــذي قـــد حـــاز مجـدا ببعث المغرب الأقصى المفـــــدى
فهب مغـــــاضبـــــا شعب أصيـــل يروم تحررا ويروم مجـــــــــــدا
ووحـــد أمـــة كـــانت تعـــاني من التشتيت اتراحـــــا وجهـــدا
وحرر دولـــــة وأعـــز شعبـــــا فصـــار الشعب لـــلأحرار نـــدا
واضحى المغرب الأقصى عظيمـــــا كريمـــا راسـخ الأمجـــاد طـودا

○ = ○

بـــلاد المغرب الحر الأبيـــــة من البـــوغـــاز للصحرا الـــوفيـــة
تقـــدس عرشهـــا رمـــزا أصيـــلا لنهضتهـــا المبـــاركـــة السنيـــة
وبـــالحسن العظيم تتيـــه فخرا على الـــدنيـــا واقيـــال البريـــة
وتـــذكر بـــالفخـــار نضـــال شعب وعـــاهلـــه وأسرتـــه الـــزكيـــة
فطـــوبى لـــلإمـــام ومن تغنى ببيعتـــه وذكراهـــا السريـــة

على مر الأهلـــــة والسنينـــــا — نقــدس عهـــد رب العـــالمينـــا
ببيعتنــــا لعـــاهلنـــا المفـــدى — وراثـــدنـــا أمير المـــؤمنينـــا
وعهـــــد اللـــــه شرع والتـــزام — وتـــوحيــــد لشمـــل المسلمينـــا
فمن أوفى بعهــــد نـــــال أجرا — ونعم الأجر أجر المخلصينـــــــا
ومن نكث العهـــود وزاغ طيشـــا — فسحقـــا للجنــــاة الخـــائنينـــا

O = O

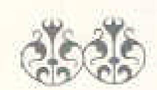
بني قــومي هنيئـــا بـــالمعـــالي — وفـــوزكمـــو على درب النضــــال
فمن عيـــــد إلى عيـــــد مجيــــد — ومن فـــوز إلى أوج الكمــــال
ومن نصر إلى فتـــــــــح مبين — ومن مجــــد إلى قمم العــــوالي
ومن فخر بجيش مستعــــــــــد — إلى فخر بـــأبطـــال النـــزال
وتهنئـــــة إلى الملــــك المفـــدى — ودام مـــؤيـــدا في كــل حـــال

O = O

يطيب النظم في عيـــــد الإمــــام — وقطب العـــــاملين على الســـلام
مــــآثره تجلت كـــــل عــــــام — كنــور الشمس أو بـــدر التمـــام
ويعجـــز مرقمي عن وصف عيــــد — لــه الـــدنيــا تطــأطئ في احترام
ومـــــا المنظـــوم والمنثــور يــوفي — بحــق العيـــد أو فضــل الإمـــام
فبـــارك ربنـــا عيـــدا سعيـــدا — بـــه الأيـــام تفخر كـــل عـــام

O = O

بني قـــومي افخروا ان المعـــــاني — تقرب مـــا يجــل عن البيـــان
فتحرير، وتـــــوحيــــــد، ونصر — ومجـــد في شمــوخ كـــالرعــــان
وعمران يفيض بكـــــــــل خير — وآمــــال بتحقيـــق الأمـــــاني
وعيـــد العرش في المعنى نضـــال — حــوى غر المقـــاصـــد والمعـــاني
أدام اللــــه هـــذا العيـــد فخرا — وتتــويجـــا لأعيـــاد الـــزمـــان



عيد العرش أفراح ومسرات

للأستاذ عبد السلام جبران
رئيس المجلس العلمي الاقليمي بمراكش

إن ذكرى عيد العرش من أعز الذكريات، يوم عيد العرش من غرر الأيام، يلمع في جبين تاريخه تاج المزايا العظام، يحتفل به الشعب المغربي النبيل من أقصاه إلى أقصاه احتفالا يحمل في مغزاه أكثر من معنى ويوحي بأكثر من مغزى يوحي بوضع شديد الحساسية في الشؤون - نستلهم فيه مواقف البطولة والعز والسيادة - تلك المواقف التي نأخذ منها ما يقوّي عزائمنا ويوحد صفوفنا وما نواجه به معركة الحياة شاعرين أن العسر يتلوه اليسر فتكون له في النفوس قيمة ومكانة (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا).

ونرى حين نعتز بالإحتفال بالعرش والجالس عليه، رائد نهضتنا الملهم ورمز وحدتنا الملك المعظم قلب المغرب الناهض بحياته صانع المسيرة الخضراء ومحرر الصحراء التي آتت أكلها على أحسن ما يرام جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

نرى ذلك الإعتزاز مبنيا أولا وقبل كل شيء على كون الوطن المغربي العزيز السعيد مدينا للعرش العلوي المجيد بالحفاظ على كيانه المعنوي دينا ولغة وحضارة وثقافة وأصالة وخلقا وسلوكا، فكان تعلق أبنائه الأوفياء به تعلقا دينيا ووطنيا في آن واحد ومظهرا جليا للطاعة الكاملة والولاء الصادق، والحب المتبادل بين الملك والشعب، وقد قال ﷺ (خير أئمتكم الذين تصلون عليهم ويصلون عليكم. أي تدعون لهم ويدعون لكم) وقال أيضا ﷺ (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني).

ومن هذا التعلق الديني الوطني الكامل نشأ النضال المتواصل والجهاد المشترك الملحمي الصامد الذي لا تزيده الشدائد إلا قوة وصمودا فلا نزال نواجه به في سائر الحالات أسوأ الهجمات بصبر وثبات وإخلاص وتضحيات، صيانة لشخصيتنا الإسلامية ولوحدتنا الترابية مما جعلنا نسير بحول الله بخطى حثيثة وثابة نحو إبراز المقومات الوطنية الإيجابية ونقضي على المناورات العدائية ونسمع للذين تملكتهم الأطماع الفاشلة عند حدوث كل اعتداء أن في العرين بأرضنا أسودا ضارية وفي الجيش المغربي أبطالا وجنودا حامية يخوضون غمار المنايا في سبيل العزة والكرامة غير هيابين ولا وجلين.

نريد بذلك كله أن نضع لحياتنا منهجا قويا حكيما وأن نخلق تاريخا مليئا بالأحداث الكبار تشرئب لها الأعناق وتمتد إليها الأنظار وتبتهج لها النفوس في نطاق نظام دستوري ديمقراطي محكم مرعي حق الرعاية من جانب صاحب الجلالة أبد الله ملكه، وخلد في الصالحات ذكره.

فيوم ثالث مارس يوم له من الإكبار والإعجاب ما يعد به مسرة من مسرات الزمان يقبل بالفرحة والبهجة على كل إنسان، وهو من أعياد الوطن الذي يأتينا دائما على ميعاد من هذا الزمن. فيومه عندنا ملحوظ في السنة، متداول بالثناء على الألسنة، يتخذه الشعب المغربي يوما مفعما بالأفراح تتأجج فيه العواطف الودية الصادقة وتتناجى فيه القلوب بلغة الإخلاص والوفاء للعاهل المفدى الناقد البصير بمصاير الأمور عقد الدولة العلوية وسليل الدوحة النبوية جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

حلف الـــزمـــــان ليـــأتين بمثلـــــه
حنثت يمينـــك يـــا زمـــان فكفر

وقد أنجز حفظه الله في عهده الزاهر فيما حققه لشعبه من جلائل الأعمال في جميع المجالات. وعلى كافة المستويات إنجازات باهرة مما قطع به المغرب أشواطا شاسعة. وبوئ به مقاما عاليا. وسط الأمم النامية والشعوب المتحضرة. فوثب المغرب وثبة تقدمية في بناء السدود وصيانة الحدود. وإنشاء المصانع. وتأسيس المعامل وغير ذالك في سائر الميادين المختلفة في مرافق الحياة وبالأخص في ميدان العلم والمعرفة إذ لا يخفى على الأذهان ما يوليه له من عناية كبرى في جميع مراحله المتنوعة. من ذالك إصدار أمره المطاع لإحياء الكراسي العلمية في جامع ابن يوسف بعاصمة الجنوب : مراكش وجامع القرويين بفاس والجامع الكبير بتطوان. علاوة على تأسيس الجامعات في سائر أنحاء المملكة. وقد أبدى نصره الله كبير الإهتمام باللغة العربية (إذ لا حياة لأمة ماتت لغتها) وهي الأصالة في المحافظة على العقيدة السليمة. وعلى الشخصية المغربية. ومن فضله سبحانه وتعالى أن جمع لملكنا المفدى بين الحسنيين ـ وبين الشرفين ـ شرف العلم وشرف الملك زاده الله بسطة في العلم والملك ومنحه عمقا في الرأي. ودقة الفهم ـ ولما له نصره الله من الأيادي البيضاء على شعبه يحق له أن يملأ الدنيا سرورا وفرحا بهذا العيد المجيد السعيد ويعتز به كامل الإعتزاز. وتلك الأفراح كلها تعبير صادق من الشعب عن إحساسه وشعوره بعظمة الجالس على العرش إذ الأعياد منارات الأيام الغر في الأمم. وصفحات مشرقة في تاريخ مجدها وعنوان صادق على رقيها وحضارتها.

ومما سجله التاريخ بمداد الفخر على صفحات الخلود تلك الرحلات الملكية الميمونة التي حالفها ولله الحمد. النجاح أمام سائر المؤامرات وجميع المغامرات، وكانت خطواتها تخط في أجزاء الأرض، ومعانيها تخط في سماء التاريخ فأثمرت الجهود بإرشاداته المولوية. وتوجيهاته السامية، وأعطت الخير الكثير والعيش الرغيد وزالت بها الحواجز المصطنعة، والحدود المفتعلة بين أجزاء ترابنا الوطني الذي لا يقبل التجزئة أبدا إلى غير ذلك مما يعجز عن استقصائه لسان البيان. ومما تفتخر به أرضنا العزيزة إقامة المؤتمرات الإيجابية التي يشرفها صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله. برياسته السامية وتوجيهاته النيرة نحو الصلاح والرشاد في شتى المناسبات. نسأ الله العلي القدير أن يكلأه بعينه ويمده بعونه، ويحقق على يديه المزيد من الإنتصارات بتحرير القدس الشريف والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله وكل شبر ما زال يرزح تحت نير الإستعمار ويحفظه بما حفظ به الذكر الحكيم ويقر عينه بولي عهده الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه مولاي رشيد وسائر أفراد أسرته الصغرى وأسرته الكبرى إنه سميع قدير وبالإجابة جدير.





الحسن الثاني ومنهج الله في الحياة

للأستاذ الحسين وجاج

عميد كلية الشريعة بأكادير

ورئيس المجلس العلمي الإقليمي لتزنيت

عبد الله لعبده المتواضع أمير المومنين الحسن الثاني طريق الالتزام لمنهج الله في الحياة، وطبعه بالخلق الإسلامي الرفيع لأنه متخرج من مدرسة محمد الخامس المهتمة اهتماما بالغا بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ تلك المدرسة العظيمة التي حدد مؤسسها منهاجها للسيد كامل الشريف نائب الأمين العام للمؤتمر الإسلامي في القدس الشريف، إذ قال رحمه الله :

«لقد كان الإسلام هو غذاءنا الروحي في سنوات الكفاح الطويلة، ولولاه ما صمدنا في وجه الاستعمار، وهذا الدرس قد تلقيناه عملا لا قولا، فلا حياة ولا مستقبل لنا إلا بالإسلام، وان انتصارنا على الاستعمار كان انتصارا للقرآن على خصومه، ولولا هذا الكتاب الذي جمع قلوب مواطينا على اختلاف عناصرهم وقومياتهم لانتهت أمة المغرب والشمال الإفريقي من زمن طويل، ولأصبحت هذه الديار قطعة أوربية حقيقة لامجازا، حقا لقد كان القرآن رائدنا في معركة التحرير، وسيظل كذلك بالنسبة لنا في معركة الوحدة والبناء».

نعم، التزم الحسن الثاني بمنهج الله في الحياة، لأنه مومن كل الإيمان وموقن كل الإيقان بأنه الهادي للتي هي أقوم والموصل إلى رضا الله الأكرم، ويتجلى هذا الإيمان وهذا الإيقان من كلامه الموجه إلى وفود علماء العالم الإسلامي بمناسبة الاحتفال بليلة القدر من رمضان عام 1387 هـ المصادفة ذكرى مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن إذ قال أعزه الله : «اجتهادنا هو العمل اليومي على أن يصير كتاب الله عملة خلقية وإنسانية وقانونية ليتعامل بها جميع بني الإنسان مسلمين كانوا أو عربا... إننا جربنا عدة مسالك، ومنها المسالك السامية، فلم تمكنا إلى يومنا هذا من أي حل، علينا أن نجرب كوسيلة لتوحيد الصفوف واتحاد الجهود وسيلة سماوية مقدسة، ألا وهي حبل الله المتين».

والتزم الحسن الثاني بمنهج الله في الحياة، لأنه يدرك إدراكا تاما أنه القائد إلى الخيرات، والداعي إلى المكرمات، ويترجم بهذا الإدراك التام ما أعلنه أعزه الله في الذكرى الأولى لجلوسه على عرش أسلافه المنعمين إذ قال : «يجب أن تكون شخصيتنا الإسلامية بارزة في جميع مظاهر النهضة وأن تاريخ المغرب نفسه ليشهد بأن أزهى عصورنا هي العصور التي كان التمسك بالإسلام فيها من أبرز المميزات، وأن كل حركة تحريرية إصلاحية، إنما قامت على أسس القيم الروحية، ففي إطار ديننا الإسلامي السمح سنصوغ كل عمل وكل إصلاح، لأن المكاسب الدنيوية ليست غاية في حد ذاتها، لأنها مكاسب محدودة، أما المكاسب الروحية، فليست لها حدود، لأنها هي الوجود، ولأنها هي التي تمكن الفرد من حسن التصرف في مكاسبه الدنيوية وتكيف تصرفه بالخصال الحميدة، حتى لا تكون في المجتمع شحناء ولا بغضاء ولا تفرقة».

هذا كان التزام مولانا أمير المومنين بمنهج الله في الحياة، لأنه المنهاج الموضح في القرآن الكريم والمهدى من قبل ربنا عز وجل إلى عباده المسلمين بواسطة الرسول الأمين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ليكون قائدهم ومرشدهم إلى صراط الله العزيز الحميد الذي له ملك

السموات والأرض، هذا القرآن الذي كان الأمر الإلاهي الأول منه لهذا الإنسان هو قوله تعالى : ﴿**إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم**﴾، آمرا إياه بالقراءة مشيدا بالكتابة والقلم، منوها بالعلم والمعلم، ومرشدا إلى مصدر التربية والمربي الحق.

هذا القرآن الذي جعل الدين كله عبارة عن حلقات علم وعمل، موسوعة* معارف الحياة الدنيا والحياة الآخرة وضح فيها كلا من عالم الغيب وعالم الشهادة، مذكرا الإنسان بالوقوف على أسرارهما وإدراك حقيقتهما، ليستقرئ ما في عالم الشهادة، ويمعن النظر في كل ما وجد فيه، ويفكر في صنعه وتربيته وتدبيره أولا، وليقف من وراء ذلك على أحكام الصنع والتربية والتدبير ثانيا، ولينفذ من خلال ذلك كله إلى عالم الغيب ثالثا، وليلهج رابعا وفي نهاية المطاف بقوله تعالى : ﴿**تبرك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير**﴾، هذا القرآن الذي قدم للإنسان جميع المعارف التي يحتاج إليها في حياته وبعد مماته، وهيأ له جوازا يوصله إلى ربه، ومرشدا يذلل له الصعاب في طريقه وقبره.

هذا القرآن الذي فيه يتلمس الإنسان الطريق التي رسمها الدين وهداه إليها رب العالمين، ليتعرف على الحياة وما فيها، مستهديا، في ذلك بالمعالم التي بثها رب الحياة هنا وهناك، تلك المعالم التي يقول فيها الرسول ﷺ : «إن للإسلام صوى ومنارا كمنار الطريق».

فما أعظم الملتزمين بمنهج الله في الحياة، إنهم الدعاة إلى الله بأقوالهم وأفعالهم، إنهم الموضحون لكل مسلم أنه لا يجمل به أن يدير ظهره لله ويعرض عن هدايته وعطائه، ويبقى مكتوف اليدين، مشغول البال، لا يقبل على ما يفيده، ولا يبالي بما سخر له من هذا الكون الكبير، ولا يهتم بما من شأنه أن يقوي إيمانه على بصيرة وهدى وعن بينة وبرهان.

إنهم الآمرون بالتغيير ومسابقة الأمم نحو تسلم مفاتيح هذا الكون، حتى يكون المسلم قادرا على فتح أبوابه بيده، ونشر أسراره ومكنونات أخباره بين الناس، فيتحرر من التبيعة، ويتلخص من التحكم وشرور الفتنة وينفذ بمسابقته تلك الأمر الإلاهي له بعمارة الأرض وأداء الأمانة وتسلم عهد الخلافة.

وبفضل هؤلاء الملتزمين أدرك المسلمون أنه لابد لهذا الكون الكبير والفسيح من أيد أمينة تتسلم مفاتحه، وتطلع على أسراره، وتستعملها الاستعمال الحسن وتستفيد منها الإفادة المطلوبة في إطار طاعة الله المنعم ورضاه.

وبفضلهم عرفوا أن مفاتيح أسراره لا تسلم ولن تسلم إلا لمن له استعداد صادق للسير على منهج الإسلام الذي لا يعرف فكرة الفصل بين الدين والدنيا وبين التربية والتعليم، لأن كلا منها ركن أساسي، وجزء لا يتجزأ من الآخر، بحيث لا يمكن الاكتفاء بواحد منهما، ولا الاستغناء بأحدهما، فاجتماعهما في مدرسة أو جامعة، يكون خير طريق لبناء الأجيال الفاضلة وإعداد الأمم الصالحة، وانفصالهما فيها يكون ولا شك من أقوى الأسباب في ضياع هوية الأمم وفقدان شخصية أفرادها وذهاب تاريخها.

وباجتماعهما في مدرسة الرسول ﷺ خرجت الرجال الذين أناروا الدنيا والأخرى، وأسعدوا الإنسانية بسلوكهم وأخلاقهم وعلومهم، ونشروا في طريقها الصوى والمنارات التي تعرفهم بمنهج الله الموضح في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾.

ولقد بذل الرسول ﷺ جهده إنجازا لمدلول هذه الآية، فكان المربي والمعلم، بدأ أولا بتزكية النفوس وتطهيرها من الشرك والمعتقدات الفاسدة، ثم ثنى بإعدادها روحيا لتكون على استعداد لتقبل شرع الله سائرا في ظلال القرآن الذي هو بدوره كتاب تربية وتعليم.

ومن خصائص منهج القرآن الكريم الولاء لله عز وجل والرسول ﷺ، وهذا الولاء في حق الله سبحانه الخالق الرازق المحيي والمميت والمتصرف في الكون كله، لا يتم حتى يعرف الإنسان ذاته وحقيقته تمام المعرفة، وأنه المخلوق العجيب الصنع، والعبد الفقير إلى ربه ومالكه ليتصرف عند ذلك على ضوء هذه المعرفة ويسلم الأمر كله لربه منفذا قول الله عز وجل : ﴿**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**﴾.

والولاء للرسول ﷺ لا يتم إلا بالتعرف على حياته وماهية رسالته التي بعث بها إلى الناس أولا، والتعرف على سنته باعتبارها بيان الرسالة ثانيا، وبتنمية حبه ﷺ والاقتداء به باعتباره الأسوة والقدوة لحياة المسلم في جميع جوانبها ثالثا، وباتباعه في كل ما جاء به من قبل الله رابعا، محققا طاعة الله في طاعة رسوله ﷺ لقول الله عز وجل : ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾.

فإذا تم ولاء أي مسلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، على الشكل المذكور فسيتم ولاؤه للكتاب والسنة بكيفية تلقائية، وإذا تم ولاؤه للكتاب والسنة، فسيكون محفوظا من الضلال في حياته، والعذاب في مماته، لأن الرسول ﷺ قال : «تركت بين ظهرانيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله وسنتي».

فالمتمسكون بهما لا يضلون ولا يظلمون ولا يكذبون ولا يلحدون، طبعهم الله بالآداب القرآنية الرفيعة، ودربهم الرسول ﷺ بأخلاقه العظيمة، وعبد أمامهم طريق الحياة السليمة، المؤصلة إلى الله، وضرب لهم الأمثلة التي تحتذى في كل ميدان من ميادين الحياة حتى أصبحوا حماة الشريعة وأعلام الهداية ومصابيح السعادة، ورواد الفضيلة، وبناة الحضارة.

لقد قال فيه الله في القرآن الكريم : ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ ووصفه بالرأفة والرحمة من قوله : ﴿**بالمومنين رءوف رحيم**﴾، لأنه مطبوع على الرحمة والصفح والعفو حتى في أحلك الظروف، وليفكر القارئ الكريم جيدا في الإطار الخلقي الذي وضع فيه غزوة فتح مكة مثلا، تلك الغزوة التي خطط لها تخطيطا رائعا، وحركه لها وفاؤه لخزاعة التي دخلت في عهده بعد صلح الحديبية، فرغم أنه ﷺ اتخذ كل الاحتياطات في إتقان دوره الحربي، وإخفاء أخبار هذه الغزوة عن قريش حتى يبغتها في بلادها تأديبا لها على عدم الوفاء بالعهد الموقع بينه وبينها، فإنه لم ينتقم من حاطب بن أبي بلتعة التي عمل على إفساد خطته، وإفشاء سره، وإخبار قريش بما عزم عليه كما يقتضيه المقام، ولم يلب زيادة على هذا رغبة عمر بن الخطاب في الانتقام منه كرجل خان الله ورسوله، بل قال مجيبا له : انه قد شهد بدرا، وما يدريك ياعمر، لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقال : اعملوا ما شئتم.

وحتى عندما انتصر على أعدائه من قريش لم تلهه الأهواء الجامحة عن سلوك السبيل السوي، واتخاذ ما يركز الألفة بين الناس، فقد ملك ﷺ نفسه ومال إلى العفو عند المقدرة ضاربا بذلك المثل الرائع في الصفح والرحمة، فقد قال لهم عندما اجتمعوا منتظرين مصيرهم : «يامعشر قريش ما ترون اني فاعل بكم، ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، قال : فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : لاتثريب عليكم اذهبوا فأنتم الطلقاء».

لم ينتقم منهم ﷺ كما يفعل الحاقدون حينما ينتصرون على أعدائهم، بل ذهب إلى أكثر من ذلك، ولقن للمسلمين درسا عظيما في الخلق الكريم حينما أزال الراية من سعد بن عبادة حامل راية الأنصار، لأنه نطق بكلمة من شأنها أن تسيء إلى قريش المنهزمة في غزوة الفتح، مؤكدا بذلك قصد الإسلام السامي من الفتوحات ومنبها الجيش الإسلامي إلى المسيرة في درب الانضباط والالتزام بكل ما يفيد في فتح القلوب، ويؤدي في النهاية إلى إعلاء كلمة الله.

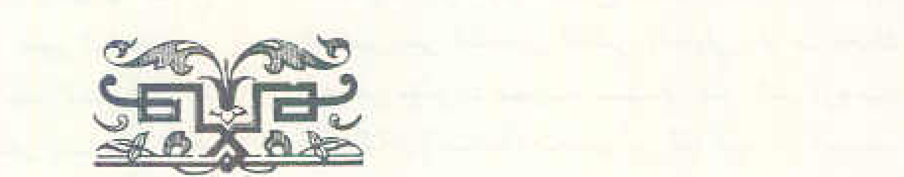
والعالم الإسلامي اليوم في حاجة إلى التمسك بهذا الخلق النبوي العظيم هذا الخلق الذي طبقه محمد الخامس طيب الله ثراه، يوم عودته من منفاه، فركز الله به محبته في نفوس شعبه، هذا الخلق الذي يستعمله اليوم وارث سره أمير المومنين الحسن الثاني نصره الله. فحبب بذلك إلى رعاياه طاعته والاقتداء به، انه العفو عند المقدرة الذي قال فيه الشاعر العربي المتنبي :

«وما قتل الأحرار كالعفو عنهم»

هذا العفو الذي أمر الله به محمدا ﷺ في قوله :

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾.

فقد ضاقت بعض الأقطار بغلاظ القلوب كما ترون، واتسعت الأخرى بأهل العفو والصفح عن الناس، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون.



عيد النضال والوفاء

للأستاذ الشيخ ماء العينين لارابس
رئيس المجلس العلمي الاقليمي للعيون

إن حلول عيد العرش المجيد من أعظم دواعي الغبطة والسرور والبهجة والحبور، إذ يعيش به وطننا المغربي احتفالات منقطعة النظير احتفاء بعيد تربع مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني على عرش أسلافه الغر الميامين.

وكيف للبليغ الحكيم والخطيب المصقع والشاعر المجيد والكاتب الناثر ذي القلم السيال والخيال الصافي والعبارة الحية كيف لهؤلاء جميعا أن يصور الواحد منهم مدى فرحة المواطنين بحلول هذا العيد الذي ألبس به الوطن حلة من الأفراح والزينة، يفتخر بهما على مدى الأحقاب.

عيد عمت بشائره كل طبقات المجتمع من شيوخ وشباب.

ولا غرابة في ذلك، فبجلالة الملك الحسن الثاني استكملنا وحدة الوطن، وبنيت البلاد اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا، وصار بلدنا الأمين كعبة الزوار، ومحط رحل الاخيار فيه اجتمع أول ملتقى إسلامي بعد الرسول ﷺ، وانعقد هذا الجمع التاريخي والفريد من نوعه تحت الرئاسة الفعلية لأمير المؤمنين الحسن الثاني، فجمع الشمل ورأب الصدع وجبر الكسر ورضيته أعزه الله ملوك ورؤساء الدول الإسلامية لرئاستها ورئاسة لجنة القدس، فكان نصره الله يلم شعث الجميع، ويجمع شتاته، ويوجه قادة الشعوب لما فيه مصلحة المجتمع الإسلامي، ويدع المسلمين والعرب لما يضمن لهم تقديرا، ويعطي لتحركهم في جميع المجالات المكانة المرموقة والمقام اللائق..

وقد رفع أعزه الله رأس العالم الإسلامي عاليا وزاده مكانة وعزة في نفوس المجتمع الدولي. وثقل وزن العرب والمسلمين على الصعيدين العالمي والدولي رغم ما يحاك ضدهم من مؤامرات صهيونية تستهدف نفس القيم الروحية والأخلاقية والإنسانية، فتحدى أعز الله أمره كل الصعاب لتذليلها لفائدة المجتمع الإنساني ولنشر السلم والعدالة بين أفراد البشر، لا فرق بين لون ولون ناهجا في ذلك سبيل جده محمد ﷺ ومحييا لمنهجه القويم وصراطه المستقيم ومجددا لدينه الرحيم السليم.

فسيدنا أعزه الله أمير المؤمنين وحامي حمى الوطن والدين،، لما له من عبقرية نادرة وحنكة سياسية، ونظرة بعيدة وروح إنسانية وأخلاق فاضلة وسامية تعلق على جلالته المجتمعات الإسلامية تحقيق آمالها الجسام في توحيد صفها والأخذ بيدها إلى أن يصل بها إلى بحبوحة المجد وساحة العز والكمال.

إن الاحتفاء بهاته الذكرى الغالية فيه إظهار حب لشخص جلالة الملك المحبوب وإبرازووفاء وإخلاص للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه.

وتعبير حي عن مشاعر الحب الفياض والإخلاص العميق والوفاء للبيعة الذي يغمرنا جميعا.

لقد أعطت جماهيرنا المحتفلة بهذا العيد صورة حية للكل على مدى تشبثنا بالبيعة والتصاق حياتنا بها كمسلمين مؤمنين أوفياء لما قال الله تعالى : ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما**﴾ صدق الله العظيم.

ولما قال كذلك رسوله محمد ﷺ في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصيني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني).

وهنا يتبادر إليك أيها المسلم أن الله قارن طاعته بطاعة نبيه، كما قارن طاعة النبي بطاعة الأمير. فامتثالك أيها المؤمن، وانقيادك لمن ولي عليك هو عبادة يجنى من ورائها خير كثير وأجر وفير.

عندما يتحكم هذا في قلب المسلم ويعتقده اعتقادا جازما وهذا ما يجب اعتقاده فسيبقى دائما وأبدا مخلصا مطيعا ومطمئنا بذلك غاية الإطمئنان.

فالرسول يدعو أمته إلى الإمتثال والإنسياق لحياة يسودها النظام وتطبعها العدالة وتتميز بالإستقامة وحسن السلوك لا خداع فيها ولا نفاق بل كلها ود وصفاء وإخلاص ووفاء.

فمنهاج التربية الإسلامية يدعو إلى الانضباط الكامل والعمل المستقيم والتحلي بروح الإيجابية والتسليم.

ففي صحيح مسلم من حديث رواه سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص (من بايع إماما وأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فاليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر... إلى آخر ما جاء في الحديث).

فالرسول يأمرنا عليه الصلاة والسلام بمقتضى هذا الحديث أن نضرب عنق الخارج عن الطاعة والمخالف للجماعة، ونحاربه بكل الوسائل، لكونه فيه ضرر على المجتمع، ويجب تطهير الوطن منه.

هكذا يحافظ نبينا على وحدة صفنا وتماسك جهودنا ويأمرنا أن نحارب من يروم تفريق كلمتنا أو يتطاول لتشتيت شملنا إنها الحكمة والتبصر والسعي الحثيث من وراء الحفاظ على المصلحة العامة.

فلا خروج عن الطاعة في الجماعة المسلمة، ولا مخالفة لولي الأمر، ولا تنطع عليه ولا معارضة له.

فالمواطن المسلم عليه أن يكون مثالا يحتذى به في الطاعة والإنقياد الكاملين.

إخواتي المسلمين :

لقد برهن شعبنا على مدى إخلاصه والتحامه بالعرش العلوي المجيد الذي به حاربنا التخلف بجميع مظاهره وبالعرش نلنا وحدة البلاد واجتمع شمل الأمهات بالأولاد ووصلت الأرحام بعد قطيعة دامت ويا للأسف أعواما فأعواما، وضربنا سهما عاليا في تحرير الشعوب وحملنا راية الحق خفاقة...

وبفضل نضال العرش العلوي المجيد والشعب الوفي جزرنا المد الإستعماري عن الثغور المغربية وجميع جهات وطننا الغالي.

فلم يستطع الغازي أن يسدل نفوده علينا إلا في آخر مطاف له.

وفي الفترة التي جثم الإستعمار بكلكله علينا لم يهدأ له بال ولم يستقر له قرار مما أصابه من المقاومة فتوالت عليه الضربات وتتابعت النكسات وأصابته في جميع أنحاء الوطن أعنف الهزات.

فعجز أن يقوى أمام الإنتفاضة الشعبية التي قادها المجاهد الأكبر والمقاوم الأول جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه.

وخاض معركتها بجنبه ولي عهده آنذاك جلالة الملك الحسن الثاني أمد الله في عمره.

وفي هذه المسيرة النضالية المظفرة كنا آخر من استعمر وأول من تحرر حتى أن بعض جهات المملكة لم يقدر الإستعمار أن يبقى فيها أكثر من أربع وعشرين (24) سنة رغم محاولاته اليائسة ومؤامراته الماكرة في الابقاء على وجوده بكل ما أوتي من وسائل.

وفي هذه الفترة الوجيزة عانى من المقاومة الداخلية الشيء الكثير.

ولا غرابة في ذلك فإن بلدنا الأمين هو الجناح الغربي للعالم الإسلامي الذي ينهض به ولا يرضى أن يكون الإسلام مهيض الجناح.

وقد أعطى هذا الوطن العطاءات الوفيرة وبث روح الإسلام الإنسانية في كثير من أقطار الدنيا وانتشر علماؤه، وانطلقت منه رجال الفكر والقلم إلى اصقاع العالم لنشر العقيدة الإسلامية والدعوة إلى الله بالتي هي أحسن.

فعم نور الإسلام الكثير من الشعوب الإفريقية ولم تبق أوروبا بدون حظ فما تنعم به من حضارة ففضله يرجع للدور الطلائعي الذي قام به المغرب في أول الفتوحات الإسلامية من الدفع بعجلة تعميم العقيدة الإسلامية على حقيقتها الجذابة.

إن المغرب بلد حضارة وقلعة إسلام ومنبع خير وقنطرة هداية من إفريقيا وأروبا وغيرهما.

والمغرب ركن قوي وسد منيع يقف دوما وأبدا أمام دعاة الزيغ والإلحاد.. فهو الصخرة المنيعة التي تتحطم عليها مرآت أحلام العابثين والمستهزئين بالقيم الأخلاقية والإنسانية.

ولموقعه الجغرافي وحضارته الأصيلة وتحديه لمن يريد بالكرامة الإنسانية سوءا.

ومساندته اللا مشروطة للحق ومناهضته التلقائية للباطل ولما حباه الله به من ملوك علويين سلكوا به طريق الخير وأبعدوه عن سبيل الشر.

لهذه الاعتبارات ولغيرها من المميزات والخصائص الممتازة التي من الله بها على وطننا الغالي...

فلا غرابة إذا زرعت الأشواك في طريقه السوي، فكل ذو نعمة محسود كما يقولون :

وإذا الحمى بلغ السماء بفضله
كانت كتعداد النجوم عداه
ورموه عن حسد بكل كريهة
لكنهم لا ينقصون علاه

لقد عجز كل الذين يريدون أن يغيروا وجه الحقيقة أو ينالوا من مسيرتنا النضالية المضفرة.

فأتم الله لنا أمانينا، فها نحن ولله الحمد نعيش حرية كاملة واستكمال وحدة وازدهار بلد وانتصار عمل.

فلقد تحققت الرغبات وبلغنا الغايات بفضل الله جل وعلا وما حبى به سيدنا دام عزه وعلاه من عبقرية نادرة وفكرة صائبة وحكمة بالغة.

أدامه الله لنا، فلقد نلنا به الحرية واجتمع به الشمل وتوحد به الصف.

وكم وضح أعزه الله المنهاج الحقيقي الذي على الإسلام أن يسلكه لإصلاح البشرية.

ولتظهر الصورة جلية وواضحة للمجتمع الإسلامي عن واقع الإسلام الغائب عن الكثير، فقد أبرز غير ما مرة أنه دين يسر ورحمة ومعاملة وأخلاق إنسانية.

وأنه دين وسط، ومن قوله في وسطية الإسلام.

قال أعزه الله (في نطاق المبدإ الإسلامي الوسط).

والحد الفطري (الوسط).

لا كبت ولا إباحية وإنما علاقات شرعية أخلاقية. وفي نطاق المبدإ الإسلامي الوسط : لا محل للإسراف والتبذير كما أنه لا محل للشح والتقتير. ولا محل للغنى الفاحش كما أنه لا محل للفقر المدقع، ولا محل للفوضى كما أنه لا محل للاستبداد، ولا محل للغلو في الدين كما أنه لا محل للتطاول على قداسة الدين).

هكذا يظهر أعزه الله نصاعة الدين وسلامته وطهارته مما ألصق به أعداؤه.

(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي).

فإذا تمسك المسلمون بهذا المنظور السليم الصحيح فسيأخذ الإسلام ولا شك مكانته المحترمة في قلوب الكل.

ولقد بدأت ولله الحمد الدعوة الإسلامية تنتشر والعقيدة الإسلامية تخامر قلوب كثير من الناس كان بعيدا عنها.

وبقدر ما يدخل علينا السرور نحن المسلمين هداية من كان ظالا بقدر ما يقلق ذلك أعداء الإسلام ويجعلهم يكرسون الجهد على مناهضة الإسلام أكثر.

ولكن ﴿**ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾.

فنرجوا من الله مخلصين لجلالة الملك الحسن الثاني أن يزيد به النفوس هداية والإسلام مناعة.

كما نبتهل إليه جلت قدرته أن ينتشر بجلالته السلم في العالم وأن يرسخ الله المحبة في النفوس ويقوي روابط الإخاء بين أبناء البشر حتى يعيش الإنسان مع أخيه الإنسان في تعاون وتجانس كاملين وفي أنصاف وثقة متبادلين.

راجين منه جل وعلا أن يهزم جند الكفرة المشركين وينصر جيش المسلمين المؤمنين إنه مجيب الدعوات وجالب الخيرات ودافع المضرات.

وأن يعيد الله هذا العيد على جلالة الملك الحسن الثاني مرات تلو مرات وهو يرفل في ثوب العز والنصر والتمكين مقرور العين بولي العهد الأمجد الأمير مولاي سيدي محمد وبصنوه الرشيد الأمير مولاي رشيد وبجميع أفراد الأسرة المالكة، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، ومن الله أرجو الإجابة والتوفيق.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• بالتخطيط الإسلامي المحكم، والعمل المتواصل، المنظم للدعوة الإسلامية الموحدة، يتغلب المجتمع الإسلامي على كثير من الأزمات ويتصدى بفعالية ونجاح لمواجهة كثير من التحديات ويمارس مسؤولية تطوره ونمو نفسه ••

معالم الفكر الإسلامي في عهد الحسن الثاني

للدكتور يوسف الكتاني

يلاحظ الدارس لحياة هذا الملك العظيم أن عبقريته تستمد مددها وسندها وقوتها من الوحي : الكتاب والسنة، ولذلك تراه يتجه في كل ما يصدر عنه من أمر أو عمل أو تخطيط، إلى غاية واحدة، ومقصد واحد، هو توحيد القلوب، وتنوير العقول، وتوحيد السبل للبعث الإسلامي المحتوم، إيمانا منه بأن الثقافة العربية، والحضارة الإسلامية التي درجت عليها أمتنا، ما هي إلا تعبير عن أسلوب حياتنا، ونوع اختيارنا، وتنظيم لقوة وحدتنا، وشدة ارتباطنا، على أساس من العلم والعقل والتفكير.

لذلك أحس الحسن الثاني بضرورة استيعاب التراث السامي، وتعميم الفكر الإسلامي، فعمل على تفجير طاقاته، وتحريك دواليبه، وتيسير أساليبه.

من هذا المنطلق، يلاحظ الدارس بأن هذا العهد تميز بمعلمتين فكريتين رائدتين، كان لهما أكبر الأثر في الحياة الفكرية ببلادنا وهما :

- المجالس الحديثية.
- ودار الحديث الحسنية.

أولا المجالس الحديثية :

لقد حافظ الحسن الثاني على سنة المجالس الحديثية التي عرفها المغرب منذ القديم، إلا أنها تميزت في عهده، بكونها تطورت وتجددت في شكلها، وإطارها، وفي مفهومها، ودلالتها، وفي موضوعاتها، وشخصياتها، إذ بث فيها قبسا من روحه وعزيمته وطموحه.

أهميتها ودلالتها :

تعتبر هذه المجالس نبراسا مضيئا في طريق البعث الإسلامي الذي تزعمه الحسن الثاني، ودعا إليه وتبناه، من أجل أن يستعيد المسلم في ظلاله إنسانيته وكرامته، ويسترجع هويته وحقيقته، ويعطى للدين في المجتمع مكانته وسلطته.

ولذلك عملت هذه المجالس على تبصير المسلمين بحقيقة دينهم، ووضعهم أمام المنهج الأمثل، والسبيل الأقوم، للنهوض بهم، والرفع من شأنهم، وتقديم الحلول الصالحة لمشاكلهم وأحداثهم، على هدى الكتاب والسنة[1] وهو

1) مقدمة الدروس الحسنية ص 8 سنة 1395.

مصداق ما قاله جلالته في أحد دروسه في إحدى هذه المجالس : «ومع الأسف إذا حاولنا أن نحلل عناصر الانحلال في شباب الإسلام، نجد أنه غير مسؤول على ما هو عليه، لأنه في الحقيقة يجهل دينه، ويجهل سنة رسوله، ويجهل كتاب الله، وبكل تواضع أريد هنا أن أعترف بأن درس المكي الناصري بالأمس تعلمت منه الشيء الكثير الذي كنت أجهله، وقد فتح لي نافذة جديدة في ذهني... فإذا كانت حالتي هي هذه، كيف تكون حالة الملايين من الشباب الذين لاعلم لهم بالعربية، ولا بالآداب العربية، ولا بالحديث، ولا بالقرآن...»[2].

مظاهر تجديدها وتطويرها :

لقد خرج الحسن الثاني بالمجالس الحديثية من إطارها المحلي الضيق، إلى إطار أوسع وأشمل.

- حيث أخذ يستدعي لها طائفة من علماء المسلمين، من مختلف البلاد الإسلامية من المشرق والمغرب، إلى جانب إخوانهم علماء المغرب.

- لم تعد مقتصرة على شهر رمضان وحده، فقد كانت تقام أحيانا في بقية شهور السنة، حيث أصبح الملك يعقد مجلسا شهريا في مختلف بلاد المملكة، كما وقع بمدينة طنجة، حيث ألقى العلامة عبد الله كنون درسا حديثيا للتعريف بمالك وموطأه، وبمكناس حيث ألقى المرحوم العميد مولاي عبد الواحد العلوي درسا أدبيا، وبمراكش حيث ألقى أستاذنا العميد المرحوم الرحالي الفاروق درسا حديثيا موضوعه «الدين النصيحة».

كما أن أوقات تلك المجالس اختلفت في هذا العهد، فمرة تعقد بعد العصر إلى المغرب، وأخرى بعد صلاة العشاء، وأحيانا بين العشائين كما هو الشأن في المجالس الشهرية خارج العاصمة.

- أصبحت المجالس ندوة إسلامية واسعة، وفرصة لتلاقح الأفكار، وتبادل الآراء، ولتمتين الروابط، وإبراز معالم الوحدة التي تجمع بين القلوب مهما تناءت الديار وبعدت المسافات.

- صارت المجالس تنقل مباشرة بواسطة مختلف وسائل الإعلام، المرئية، والناطقة، والمكتوبة.

وبذلك عمت فائدتها، واتسع مجال الاهتمام بها، وفتحت عيون الناس من جديد، ليتعرفوا على حقيقة دينهم.

شخصياتها :

لقد طفحت هذه المجالس - ومازالت - بنوابغ العلماء والمحدثين من المشرق والمغرب، الذين كانت لهم مشاركة فعالة وإسهام كبير بدروسهم ومحاضراتهم فيها، نذكر من بينهم.

العلامة المرحوم الفاضل بن عاشور مفتي الديار التونسية، الذي ظل من المداومين على المشاركة فيها، إلى أن خلفه الشيخ الدكتور محمد الحبيب بلخوجة، والدكتور محمد عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق، والأستاذ الشيخ محمد متولى شعراوي، والشيخ أحمد عبد الرحيم عبد البر من مصر.

والعلامة أبو الأعلى المودودي من باكستان.

والدكتور صبحي الصالح من لبنان.

والدكتور محمد فاروق النبهان، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة من سوريا.

والدكتور عبد العزيز الخياط من الأردن.

والشيخ إسماعيل صادق من الإمارات العربية وغيرهم.

أما الذين يحضرونها ويشاركون فيها من علماء المغرب وشيوخه فنذكر منهم.

الشيخ العميد الرحالي الفاروق الذي كان يفتتح المجالس أحيانا، ويقوم بختم صحيح البخاري كل سنة تقريبا، عند اختتام المجالس الحديثية في كل عام.

والعلامة المرحوم علال الفاسي الذي أسهم فيها إسهاما عظيما ومفيدا ومستمرا.

2) الدروس الحسنية، الأمانة وجلال قدرها في شريعة الحق - الدرس الحسني ص 12 سنة 1388.

والأستاذ الشيخ المكي الناصري الذي كان يفتتحها أحيانا بدرسه عندما كان وزيرا للأوقاف والشؤون الإسلامية.

والعلامة عبد الله كنون الذي أصبح يفتتحها إلى الآن، بدرسه القيم وغالبا ما يكون حديثيا.

ونذكر من شيوخ هذه المجالس عدا من ذكر، ممن شاركوا فيها مشاركة عظيمة، المرحوم الأستاذ الحسن الزهراوي، والعميد المرحوم الجواد الصقلي، والعميد المرحوم مولاي عبد الواحد العلوي، والأستاذ محمد حماد الصقلي وسواهم.

كما شارك فيها بعض خريجي دار الحديث الحسنية، بدروس قيمة تشجيعا لهم وتكريما للدار.

موضوعاتها :

لم تعد هاته المجالس قاصرة على التفسير والحديث وحدهما، بل ضمت جوانبها الطارف والتليد في عالم الفكر والثقافة، من تفسير كتاب الله، وتجلية معانيه، وشرح لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وبيان مقاصده، وبيان لفقه الحياة والواقع، ووضع كثير من المفاهيم في موضعها الصحيح، ووزنها بميزان الإسلام، ومقارنتها بغيره من الأديان.

وأعظم ما تميزت به تلك المجالس هو ما توفر لها من جو الحرية[3] فيما يعرض من أفكار وآراء ونظريات، وفي اختيار الموضوعات التي نذكر هنا بعضها لأهميتها، وما تناولته من قضايا الساعة، ورأي الإسلام فيها، واستنتاج الحلول والمقاصد منها، وفي مقدمتها :

درس جلالة الملك عن «الأمانة وجلال قدرها في شريعة الإسلام». ومن هذه الموضوعات الهامة «شرح حديث النصيحة» للشيخ الرحالي الفاروق.

وأي الإسلام خير للعلامة المرحوم علال الفاسي، والحلف والأخاء في الإسلام للشيخ المرحوم الفاضل بن عاشور، ومعجزة القرآن للعلامة عبد الله كنون، والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله للدكتور الحبيب بلخوجة، ومفهوم الربا في ظل التطورات الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة للدكتور فاروق النبهان، والحرية ومفهومها الإيجابي في الإسلام للدكتور صبحي الصالح، إلى غير ذلك من الموضوعات المهمة المفيدة، التي كان لها أكبر الأثر في النفوس والعقول.

إسهام الحسن الثاني فيها :

ويعتبر الحسن الثاني أول ملوك الدولة العلوية الذي اختص بدرس مستقل في المجالس الحديثية، يلقيه بنفسه شأنه في ذلك شأن العلماء، يتناول فيه تفسير آية قرآنية، أو حديث نبوي، بأسلوب فريد، وطريقة مبتكرة تعتمد على الاجتهاد والاستنباط، وإظهار مزايا هذا الدين، وصلاحيته لكل زمان ومكان، ومظاهر تجدده الدائم.

ونذكر من بين دروسه :

شرح حديث : «كم من رجل لو أقسم على الله لأبره» بتاريخ 14 رمضان 1387 ـ 16 دجنبر 1967.

«والأمانة وجلال قدرها في شريعة الإسلام» بتاريخ 14 رمضان 1388 ـ 5 دجنبر 1968.

هذا، وقد جمعت بعض الدروس الحسنية في مجلدات، ونشرت بعناية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، حيث صدر منها حتى الآن خمس مجلدات تحمل اسم «الدروس الحسنية».

الأول صدر في رمضان 1388.

والثاني صدر في رمضان 1389.

والثالث صدر في رمضان 1394.

والرابع صدر في رمضان 1395.

والخامس صدر في رمضان 1403 ـ 1404.

3) الدروس الحسنية عام 1395 ـ ص 213 الحرية ومفهومها الإيجابي في الإسلام للدكتور صبحي الصالح.

ثانيا : دار الحديث الحسنية :

إذا كانت المجالس الحسنية هي المعلمة الأولى من معالم الفكر والثقافة في هذا العهد، فإن تأسيس دار الحديث الحسنية يعتبر المعلمة الثانية الرائدة، ومن جميل المصادفات أن إعلان إنشائها وتدشينها كان في أحد هذه المجالس في رمضان 1384 / 1964.

تأسيسها ودلالتها : لقد كان تأسيس دار الحديث الحسنية أحد التطلعات الطموحة للحسن الثاني، ولذلك تضمن الخطاب الملكي بمناسبة تدشينها المرامي والأهداف التي توخاها من تأسيس الدار، والأسباب الرامية إلى قيامها، لما لاحظه جلالته من أن العلوم الإسلامية، أخذت تقل وتنحسر، وأن جيل العلماء والشيوخ أخذ في التضاؤل والزوال، وأن شبابنا يعوزه التوجيه الصالح في الدراسات الإسلامية خاصة.

هذا بالإضافة إلى ضرورة ربط الحاضر بالماضي، وذلك بإحياء وتجديد الدور العلمي، الذي قام به المغرب خلال تاريخه الطويل، حتى يستعيد دوره الحضاري والاشعاعي، لا في إفريقيا فحسب، بل في العالم الإسلامي، ناهيك وأن فتوحاتنا العلمية، لم تكن تقل أهمية وتأثيرا عن فتوحاتنا السياسية، وهذه مسؤولية تاريخية وحضارية، أراد جلالته أن تقوم بها دار الحديث الحسنية وتتحملها.

دورهـــا :

«إن تراثنـا الإسلامي والمغربي منه بصفة أخص، لخليق بأن يحملنا على الاعتزاز به، ولذلك نحن مدعوون للمحافظة عليه، وشمله بمزيد العناية التي تقيه خطر العفاء والاندثار، مع جعله في ذات الوقت مسايرا لمتطلبات القرن العشرين، ومواكبا سير الحضارة العصرية»[4] من هذه الفقرة الملكية ومن بقية فقراته، يمكن تحديد دور الحديث في نشر السنة، وإعطاء الدراسات الإسلامية وخاصة الحديثية، ما تستحقه من عناية واهتمام.

وذلك بجعل هذا المركز العلمي الجديد عاملا من عوامل التقدم العلمي في بلادنا، يهتدي به المسلمون في كافة بلاد العالم الإسلامي، في علوم الدنيا والدين، خاصة وأن علم الحديث من العوامل التي أدت إلى نهضة المسلمين، باعتباره جماع المعارف الإسلامية[5]. وتكوين جيل من العلماء الحقيقيين الذين يعادلون في كفاءتهم وأخلاقهم، جيل الرواد من علمائنا وشيوخنا الذين أسهموا في الحضارة العربية الإسلامية بالنصيب الأوفى، وكانوا دعاة وهداة وأساتذة، لأجيال متلاحقة من المسلمين عبر التاريخ، وذلك حتى يتمكن الجيل الجديد من الاستمرار في تحمل هذه الأمانة، وأدائها حق الأداء، كي تشرق وتنير بإشعاعها الخالد على هذه الديار، وفي جميع بلاد الإسلام، امتدادا للدور الخالد العظيم الذي قامت به جامعة القرويين، والذي يعتبر مفخرة لأمتنا وتاريخنا.

وأن عملا تجديديا في هذا المجال، كان لابد من إبرازه في هذا الوقت بالذات، ليصاحب ذلك التراث، وليتطور وينمو على مر الزمان، أمام مختلف التيارات الفكرية، والاكتشافات العلمية، وكان هذا العمل، هو دار الحديث الحسنية، التي حملها هذه المسؤولية العظمى.

رسائلها وخريجوها :

لم يكد يعلن عن تأسيس دار الحديث الحسنية، وتفتح أبوابها، حتى أقبل على الدراسة بها جيل من شباب العلماء، يريدون تحقيق التطلعات الحسنية، والاستجابة لدعوته الكريمة، وكتب الله لي التخرج في أول أفواجها، ولم تكد تمضي بضع سنوات حتى بدأت طلائع خريجها في تحقيق رسالتها، وأداء الدول الذي أنيط بها، وقد تخرج منها إلى الآن حوالي ثلاثمائة عالم، ناقش منهم سبعون رسائلهم العلمية، وفازوا بدبلوم الدراسات الإسلامية العليا، في مختلف الموضوعات المتعلقة بالعلوم الإسلامية.

---

4) من خطاب الحسن الثاني بمناسبة تأسيس دار الحسنية ـ النشرة الدورية لدار الحديث الحسنية ـ ع 1 س 1 1396 ـ 1976 ص 2.

5) خطاب الأمين العام لرابطة علماء المغرب الأستاذ عبد الله كنون ـ المرجع السابق ص 12 ـ 13.

كما أنه في هذه السنة 1399 ـ 1979 أخذت قوافل المتخرجين من حملة الدكتوراه تتقدم الصفوف، بخطى واثقة، وتأخذ أماكنها في مواقع المسؤولية، سواء داخل الجامعات، أو في المؤسسات التعليمية، والإعلامية، والتوجيهية[6].

ونظرا لأهمية الموضوعات المناقشة والمجازة بدار الحديث الحسنية، سواء كانت أطروحات دكتوراة دولة في العلوم الإسلامية، أو رسائل ديبلوم، فسنوردها حسب ترتيبها للفائدة :

دكتوراة الدولة :

الإمام أبو عبد الرحمان بقي بن مخلد القرطبي شيخ الحفاظ بالأندلس.

عمل اليوم والليلة للإمام النسائي ـ دراسة وتحقيق.
حكم الأسرى في الإسلام ومقارنته بالقانون الدولي العام.
الناسخ والمنسوخ لأبي بكر بن العربي المعافري ـ دراسة وتحقيق.

قواعد الفقه للإمام المقري ـ دراسة وتحقيق. مدرسة الإمام البخاري في المغرب.

رسالة القضاء لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ دارسة وتحقيق. العرف في المذهب المالكي ومفهومه لدى علماء المغرب. منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي[7] فتح المجيد بكفاية المريد ـ دراسة وتحقيق، منهج الاستثمار في ضوء الفقه الإسلامي، أما رسائل الديبلوم فكانت موضوعاتها كما يلي :

البينات أو وسائل الاثبات في الشريعة الإسلامية
الأسس الإسلامية لبناء الأسرة.

الصحابي الجليل، أبو ذر الغفاري، ونوع اشتراكيته
الحسبة في الإسلام.

سيدي محمد بن عبد الله، وآثاره العلمية والإصلاحية.
ألواح جزولة والتشريع الإسلامي.
أصول المسيحية في القرآن الكريم.
حياة البخاري وانتماؤه إلى الاجتهاد.
المدرسة القرآنية بالمغرب من الفتح إلى ابن عطية.
رباعيات الإمام البخاري.
النقود والمصارف التجارية.
الفقيه أبو علي الحسن اليوسي.
الحق الشخصي بين الشريعة والقانون.
الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، نشأته وتطوره.
تحقيق كتاب نيل النجاح على غرة الصباح.
النظام الحربي في الإسلام.
الزندقة والزنادقة.
الجرح والتعديل في المدرسة المغربية للحديث.
دور الحديث في الإسلام.
المرأة المسلمة بين التكريم الإسلامي والامتهان الحضاري.
دراسة مقارنة للمسطرة بين التشريعين الإسلامي والوضعي.
أسباب الخلاف بين الأئمة الأربعة.
كعب الأحبار حياته، آثاره، تجريحه وتعديله.
تحرير المقالة في شرح نظائر الرسالة، للحطاب، تحقيق ودراسة.
منهج علماء المسلمين في الجرح والتعديل.
الصحابة الشعراء.
الاستشراق بين العلم والتبشير.
الإسلام وإيديولوجية الفكر المعاصر.
المرسل من الحديث، وآراء الأئمة فيه.
الإجماع وأثره في التشريع الإسلامي.

---

6) افتتاحية مجلة دار الحديث الحسنية ـ ع 1 ـ س 1399 ـ 1979 ص 11.

7) راجع النشرة الإعلامية الدار الحديث الحسنية جمادى الثانية 1404 مارس 1984.

محمد بن وضاح القرطبي، مؤسس مدرسة الحديث في الأندلس.

الرواية المغربية للسيرة النبوية، طرقها وأسانيدها ورواتها.

الحديث الصحيح وأثره في التشريع الإسلامي.

معاذ بن جبل رضي الله عنه واجتهاده القضائي.

ابن عرضون الكبير، حياته وآثاره.

قانون التأويل لابن العربي، دراسة وتحقيق.

تحقيق المذهب من أن النبي ﷺ كتب، لأبي الوليد الباجي، دراسة وتحقيق.

نظام الحكم في الإسلام ومدى اعتماده على مبدأ الشورى.

تقييد وقف القرآن الكريم، للإمام الهبطي، دراسة وتحقيق.

موقف اليهود من الإسلام.

النبوة والدين.

دراسة عن القاضي عياض.

موسى عليه السلام بين القرآن والبهتان.

الوضع الجديد لفن المخارج والصفات مع ما والاه من فني الفواصل والتجويد، دراسة وتحقيق.

يحيى بن يحيى الليثي وروايته (الموطأ).

منهجية الدعوة إلى الله.

تحقيق مسائل ابن رشد الجد.

فقه عبد الله بن عمر في المعاملات.

إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، للونشريسي دراسة وتحقيق.

الإمام أبو عبد الله محمد المساوي، علمه والقول في اجتهاده، آثاره.

الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة للحسن الشوشاوي، تحقيق ودراسة.

التفسير المنسوب إلى ابن عربي.

الإمام الشافعي ومذهبه في التفسير في كتابيه، الأم والأحكام.

كتاب النبي عليه الصلاة والسلام إلى أهل المدينة.

مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي.

الحلال والحرام، لأبي الفضل ابن راشد الوليدي تحقيق ودراسة.

الأمثال في القرآن.

الصورية في الشريعة والقانون.

الحركة العلمية بشفشاون وأحوازها.

دراسات عن ابن عبد البر (في فقه السنة).

اختلاف القراءات وأثره في التفسير واستنباط الأحكام.

أبو الحسن الحرالي المراكشي.

الإيضاح لما ينبهم عن الورى في قراءة عالم أم القرى.

نظرية الأخذ بما جرى به العمل في المغرب في إطار المذهب المالكي.

العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا.

إعجاز القرآن في منهج القاضي عبد الجبار. الحديث الصحيح ومنهج علماء الحديث في التصحيح. دراسة عن إقطاع الأراضي في الفقه الإسلامي وتطبيقاته في الدولة المغربية.

مستقبلها :

إذا كان الأمل معقودا على دار الحديث الحسنية وخريجيها، في إحياء العلوم الإسلامية، وتأصيل الدراسات الإسلامية وتكوين جيل من العلماء الاكفاء، يربطون الحاضر بالماضي، ويعملون على نهضة الإسلام ورفع شأن المسلمين، وإذا كانت طلائع الخريجين أخذت تتقدم الصفوف وتستقطب الاهتمام بما تبدع وتحقق، وما تقوم به من نشاط في مجال الدعوة، ونشر وتحقيق في مجال الثقافة والفكر، حيث ألقى خريجوها في سنة واحدة حوالي خمسمائة درس، ومحاضرة، وندوة، في مختلف جهات المملكة تطوعا وبدون مقابل أو جزاء، سوى خدمة هذا الدين وإعلاء شأنه، وتبصير المسلمين بدور الإسلام في

الحضارة الإنسانية، وبصلاحيته لإخراج البشرية من ارتباكها، وإنقاذها من سقوطها.

إلا أن هذا الجهد وحده لا يكفي ولا يشفي، فإن دور بلادنا أكبر، ومسؤوليتها تجاه الإسلام والمسلمين أعظم وأخطر، إذا قورن ذلك بالجهد العظيم والبلاء الكبير، الذي قامت به الأجيال المتلاحقة من الآباء والأجداد، في ربوع العالم الإسلامي، بما علموا وأرشدوا، وبما أناروا وفتحوا، وهو مصداق ما قاله جلالة الملك «بأن فتوحاتنا العلمية لم تكن تقل أهمية وتأثيرا عن فتوحاتنا السياسية»[8].

ذلك أن عالمنا الإسلامي اليوم، متعطش إلى من يهدي شعوبه، ويبصر شبابه، ويفقه أجياله، بحقيقة دينه، وينير في النفوس شعلة الإيمان التي كانت متأججة مشتعلة، في قلوب الأجيال الأولى من المسلمين.

كما أن تراثنا العظيم الضخم، ينتظر العقول المتفتحة المتبصرة، والجهود المتضافرة، للعلماء الأكفاء، لنفض الغبار عنه، وتحقيقه ونشره.

أما على مستوى المجتمع المغربي، فقد ظهر أثر هذا العمل جليا، حيث أخذت نتائجه تظهر للعيان، فقد أصبح الشباب والصغار يقبلون على قراءة الحديث وحفظه، حتى استطاع أحد الشباب في إحدى مباراة حفظ الحديث، أن يسرد ألفا وخمسمائة حديث بأسانيدها، واستطاع شابان من زعير، أن يسردا ألفي حديث بالرواية عن الصحابي.

وذلك ما دفع جلالة الملك إلى إصدار الأمر، بإجراء مباراة سنوية لحفاظ الحديث، وتخصيص جائزة مالية لمن يحفظ كمية وافرة من صحيح البخاري أو الموطأ.

وفي هذا العهد الحسني، ازدادت العناية والاهتمام بنشر وطبع كتب التراث، وإحياء كتب السنة خاصة، فقد قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بطبع كتب الحديث، والتفسير، وتحقيقها ونشرها، منها :

كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة إعلام مذهب مالك للقاضي عياض.

وكتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد لعياض. وكتاب الإعلام له أيضا.

وكتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر.

وكتاب الصوارم والأسنة في الذب عن السنة للشيخ المرحوم محمد بن أبي مدين الشنجيطي.

وكتاب أربعين حديثا في اصطناع المعروف لأبي محمد عبد القوي المنذري.

معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله.

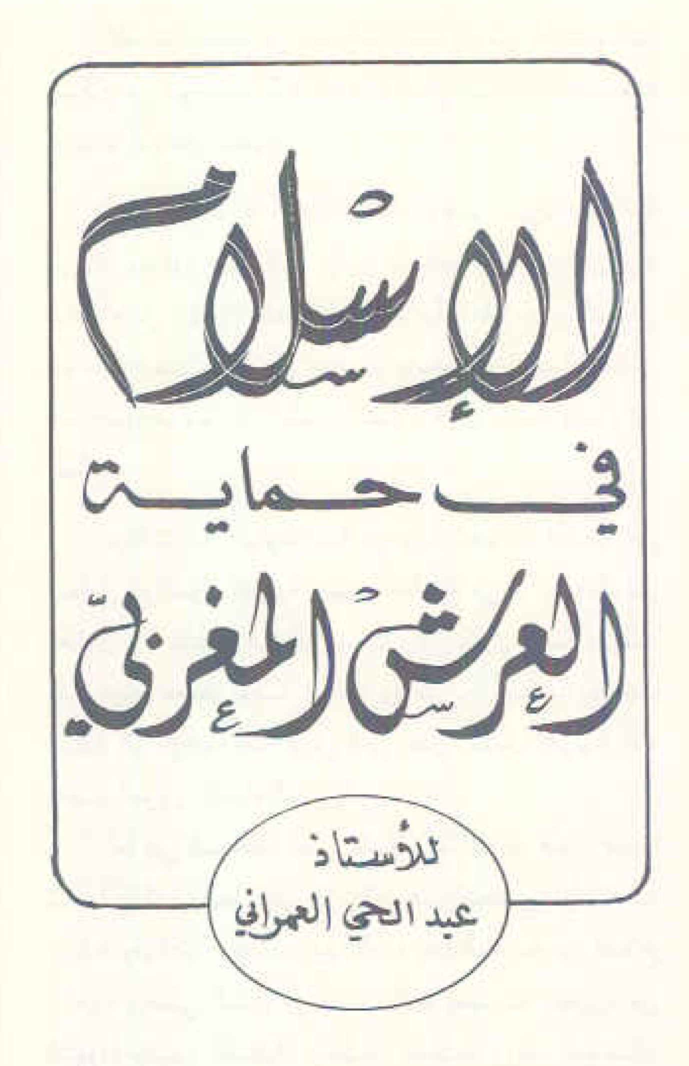
والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي بن عطية الأندلسي. إلى غير ذلك.

كما أنه حفظه الله تشجيعا منه لبعث حركة الفكر، ونشر التراث، ودعوة الأجيال الصاعدة لمعرفة دينها، وتاريخها وعلومها، أمر بفتح الخزانة الملكية في وجه العموم لأول مرة، خاصة وأن هذه الخزانة تضم بين جنباتها ورفوفها، عيون الذخائر، وكنوز الثقافة المغربية الإسلامية، ومن أعظمها أربعون نسخة من الجامع الصحيح، كل نسخة لها قيمتها التاريخية الفريدة.

واني لأرجو الله أن يطيل عمر جلالته، ويفسح له في وقته، ويمده بقوته، حتى يتابع المجالس الحديثية الشهرية، التي سنها في مختلف مدن المملكة، وذلك لما فيها من الخير العميم، والفائدة الموجودة للأجيال الصاعدة المتعطشة إلى معرفة دينها، وتراثها، وأصالتها، إنه سميع مجيب.

---

8) من الخطاب الملكي بمناسبة التدشين - المصدر السابق ص 6.



من يتتبع تاريخ المغرب منذ استقر الإسلام في أرضه واعتنقه أهله يجده قلعة حصينة من حصون الإسلام الأمامية في خريطة العالم الإسلامي فهو خط دفاعي هام عن أرض الإسلام إذ لم يفتأ يتحمل ثقل الجهاد والذود عن الإسلام برجاله الأوفياء وسكانه الأبطال الذين صمدوا في وجه البربرية الصليبية وتهجماتها وفي وجه أصحاب الأهواء والنحل وتنطعاتها والإديولوجيات وهمجيتها، وبذلك احتفظ بمنهجيته وتوحد في مذهبه وعقيدته ومثله العليا مما جعله يسود ويتبوأ مكانة في تاريخ الإسلام قل نظيرها.

ومنذ تأسس العرش المغربي على يد إدريس الأول حينما بايعه المغاربة عن رضى واختيار وحب في جانب بيت النبوة، وقد شغف المغاربة بحب آل البيت، والمغرب يأخذ مكانته المتميزة في الاستقلال والجهاد والحفاظ على تعاليم الإسلام وتبوئ موضع القيادة في هذا الركن من العالم الإسلامي المجاور للقارة الأروبية.

ومكانة المغرب وحظوته وبروزه كقطر شامخ بإسلامه حمله أثقالا نضالية شاقة وتضحيات بطولية جسيمة جعلته موضع القيادة والريادة وأصبح حاجزا بين النصرانية والإسلام مدافعا صارما بتارا لكل اندفاع صليبي أو سياسة متهورة معادية للإسلام وكذلك بالنسبة للمذهبية المخربة الهدامة.

وإدريس الأول حينما أسس العرش المغربي أقامه على التقوى والصلاح والهداية ليظل عرشا يحمل أماني المسلمين شرقا وغربا وليكون رمزا لقوتهم وصمودهم في وجه المعتدين والقاصدين للشر والإساءة فكان تأسيسه تأسيسا مستقيما وصادقا وأمينا وقائما على الحق والعدل والوفاء ولذلك استمر المغرب طيلة القرون مأوى الإسلام ولغته ومكانا للإشعاع والطهارة والنقاء.

إن جميع الدول التي قامت بالمغرب بنت حكمها على النهج الذي أقامه إدريس وسارت على خطته ولم يجلس على العرش المغربي أي ملك لا يدين بالإسلام ولا يتخذ منه شعارا ومظلة واقية من كل عبث أو خطر من عوادي الزمن وتقلباته.

والشعب المغربي يدرك رسالته الإسلامية وتحملاته التاريخية ولذلك لا يتردد في الجهاد كلما ناداه الواجب المقدس فيستجيب له عن طيب خاطر وإيمان راسخ وصدق ثابت وعزيمة قوية جياشة بالحب والإخلاص.

وروابط المغاربة بإخوانهم المسلمين وإخلاصهم لهاته الروابط المتمكنة منهم دليل على وفاء هذا الشعب الأبي لإيمانه المتعمق في دواخله الساري في دمائه مسرى الحياة.

وكل مغربي يحق له أن يتيه فخرا كلما استعرض تاريخه ودوله التي حكمت وطنه لما حققته من أمجاد مضيئة في هذا الركن القصي من العالم الإسلامي منذ عهد الأدارسة إلى عهود المرابطين والموحدين والمرينيين

والسعديين إلى قيام الدولة العلوية التي أخذت المشعل لتضيء به وتزيده قوة وصفاء ولتهدي من ضلوا السبيل وحادوا عن جادة الطريق السوي.

وهكذا تأسس العرش العلوي على يد أول ملك بويع بيعة عامة وهو المولى الرشيد الضالع في بيت النبوة الكريم والمعظم عند المغاربة منذ أخرجهم الله به من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام.

وكان المولى الرشيد يدرك عبء الرسالة الإسلامية التي تحملها ويدرك ما تفرض عليه من المسؤوليات الجسيمة وهو يشهد تآمر أعداء الإسلام على المغرب وجرأتهم على احتلال أطراف منه، فأخذ يهيء الوسائل الناجعة لرد هجماتهم وتخليص المغرب من مكايدهم واحتلالهم وتطهير أرضه الإسلامية من رجسهم ومكرهم لكن أجله لم يمهله ليردهم على أعقابهم خاسرين وليحرر المغرب من تآمرهم فخلفه أخوه المولى اسماعيل ليرسخ بناء الدولة العلوية وليجعلها من أقوى الدول الإسلامية الهادفة إلى إعطاء المغرب مكانته وإعادته إلى مواجهة أعداء الإسلام من مكان القوة والتنظيم الحربي الممتاز.

وتمكن المولى إسماعيل من القضاء على جميع المناوئين في الداخل والخارج، وأسكت شغب المشاغبين في داخل البلاد، وطرد الأجانب الدخلاء خارجها، ووطد الأمن والاستقرار، وكون جيشا عرمرما يحمي به الحمى ويلجم به الأعداء ويخيفهم ويقطع عليهم السبل ويقهر مطامعهم في احتلال المغرب والاستحواذ عليه. وجاء عصر الملك محمد بن عبد الله بعد أحداث جسام عاشها المغرب وسط خلافات ومنازعات، فاسترد للعرش المغربي هيبته، واعتنى بالثغور المغربية المهددة، واسترد مدينة الجديدة من يد البرتغاليين، وافتك الكثير من الاسرى المغاربة من يد الإسبان، ووقف من العبيد المتلاعبين بالدولة موقفا حازما وصارما وبذلك توقف نهبهم واستمرارهم في استبدال كل من لم ينفذ رغائبهم الطائشة.

لقد أنقذ محمد بن عبد الله المغرب من هلاك محقق وتمكن من توحيده مرة أخرى وحصن شواطئه بعدما تلاعبت الأيادي بمصيره.

وبايعه المغاربة لكفاءته وعلمه وحسن سيرته وسلامة سريرته وعرفوه منذ كان واليا على مراكش من قبل أبيه عبد الله بن اسماعيل فتحققت فيه فراسة المغاربة حيث سار بهم سير البطل المغوار فخلصهم وأسعفهم وأوقف العابثين عند حدودهم مما زاد الشعب التفافا حول عرشه ومباركة أعماله.

وكانت له ديبلوماسية موهوبة الجانب مكنته من التعامل مع الدول الغربية وغيرها معاملة من لا يجامل في الحقوق ولا يتأخر في الواجبات ولا يداري فيما يفرضه عليه دينه، فحفظ لوطنه كرامته ووحد له كيانه. ووصلت هيبته إلى أوجها لما فرض على بعض الدول الغربية أداء واجب المرور بالمياه المغربية.

أما في المحافظة على الإسلام ومناصرته، فكان فارسا شجاعا وقائدا ملهما فوفى للإسلام وفاء المخلصين وأعاد له بريقه وقيادته وصفاءه ومكانته بما قام به من إصلاح وإحياء وأعطى المثال من نفسه بعلمه ومقدرته وتحرره من الشعوذة والبدع الضالة، وخطط الخطط ووضع المؤلفات المتحررة من الجمود فعاد بالإسلام إلى طهارته وصفائه ومرونته وقدرته.

وفي سنة 1290 هـ بويع لملك بارز من ملوك العلويين وهو المولى الحسن الأول في ظروف محفوفة بالمخاطر مما جعله يقضي معظم أوقاته على فرسه لمقاتلة الثائرين والخارجين.

وكان المغرب في هذه الفترة يصطدم نفسيا بمدنية أروبا وأطماعها التوسعية وأحقادها الصليبية الموروثة وقد اختلفت آراء المغاربة وتشعبت وتضاربت وكفة الجمود متغلبة لكثرة أنصارها التقليديين المنكمشين على أنفسهم داخل إطار ضيق ومحدود فاستطاع هذا الملك المسلم الشهم التغلب على الثائرين والجامدين والمتقوقعين والمبطلين، وجمع وحدة المغرب بعد تفككها وأخضع القبائل المهرجة

الضائعة في جفائها لبعضها وموقفها من الدولة وأعادها إلى الطاعة والامتثال.

ولما كان هذا الملك المجاهد يدرك ما تحتاج إليه بلاده من التقدم العلمي لمواجهة حياة العصر الجديدة بعث فوجا من المغاربة إلى أروبا للدراسة والتخصص ليعودوا إلى وطنهم بما ينفعه ويرفع من قدره.

وقد وجدت سياسته التفتحية معارضة من الجامدين التقليديين الذين لا يعرفون أن الإسلام دين العلم منذ جاء وأنه لا انتصار لهذا الدين إلا بالعلم والعقل وبناء القوة الموهوبة الجانب القادرة على مواجهة الأخطار الاستعمارية والصليبية والحضارة العصرية واحتوائها والاستفادة منها إلى أبعد ما يمكن أن يستفاد منها.

وسارت الأيام وتوفي الملك الحسن الأول وأصيب المغرب بعده بنكسات وتدهورت حالته السياسية والعسكرية والمالية وتعتمت قيادته الإسلامية وحلت نكبة الحماية بمآسيها وأحزانها وخبائثها وجند الاستعمار جميع قواته وحيله وما ينطوي عليه من جبروت وتسلط وقهر ليحول الشعب المغربي عن وجهته الإسلامية وليجعله شعبا مستعبدا ذليلا فاقدا لشخصيته متنكرا لتاريخه واعتقد أن بإمكانه وقد احتل التراب المغربي أن يوسع به إمبراطوريته وأن يسخر شعبه ويستنزف خيراته لصالحه ولكنه أخطأ الحساب وأساء في التقدير ونسي أصالة الشعب المغربي الإسلامية وروحه التحررية الوثابة وتمسكه باستقلاله ولذلك لم يلبث الشعب المغربي أن هب لمقاومة المحتلين والانتصار عليهم في معارك الشرف والتضحية والفداء والجهاد.

وتشاء إرادة الله سبحانه أن يتولى عرش المغرب في أوائل فترة الحماية ملك شاب عريق في عروبته وإسلامه سليل في شرفه وانتسابه هو محمد بن يوسف الذي اتخذ مع شعبه بتآزر والتحام كل الوسائل النضالية المتنوعة التي من شأنها أن تؤدي إلى طرد الاستعمار واسترجاع الحرية والكرامة المفقودة وبناء صروح الحرية تحت ظلال العروبة والإسلام.

وبحكمة الملك وإيمانه ويقظة الشعب المغربي ووطنيته أمكن تحقيق الأماني بفضل الصمود والإيمان والالتحام بين الشعب والعرش التحاما نضاليا بقيادة مسلمة قررت أنه لا قدرة على طرد الاستعمار إلا بإحياء الروح الإسلامية المتوثبة القادرة على المقاومة المسلحة وغير المسلحة.

واستمر محمد الخامس يعلن في كل مناسبة تشبثه بعروبة المغرب وإسلامه وينشر فضائل الإسلام ويشيد بها ويدفع شعبه للسير على النهج الإسلامي وإحياء معالم الإسلام فوجد الاستجابة الكاملة من شعبه الذي وضع مصيره بين يديه وأسلس له القيادة للتخلص من عنت الاستعمار وأضراره وتمكنت سياسة محمد الخامس الإسلامية من أن تمتد إلى الأحزاب السياسية الموجودة على اختلاف مشاربها لتجعل من الإسلام مبدأ من مبادئها الأساسية، وهكذا سار التلاحم بين العرش والشعب تحت راية الإسلام.

إن الشعب المغربي ما كان ليقدم تضحياته الجسيمة ويقبل أن يسقط أبناؤه في ساحة النضال لولا الإسلام، فبه ناضل الشعب المغربي ومن أجله قدم النفوس والأموال وما سوى ذلك إلا هراء وافتراء على الشعب المغربي وجهاده وتضحيته.

وليس في مستطاع أحد أن يحمل الشعب المغربي على التضحية خارج دائرة الإسلام، وما كان هذا الشعب ليكافح ويقدم أرواح أبنائه فداء للوطن بغير الإسلام، فهو الدافع والمهيمن والداعي والمحرض على النضال وما كان للإديولوجيات أن توحد الشعب المغربي ليقاوم سلطة قاهرة إلا أن المتخبطين في دياجير التمذهب الخارجي ظنوا أنهم قادرون على قيادة هذا الشعب بتمذهبهم فضلوا السبيل رغم ما بذلوا ويبذلون من مجهودات ضائعة وبأحلام عذبة تسول لهم أنهم سوف ينجحون باعتماد ما اعتمدوا وهي في الواقع سراب لا ينجذب إليه شعب عريق في إسلامه.

وانتقل محمد الخامس إلى جوار ربه بعدما أدى الأمانة وأوصل الرسالة وقاد الأمة بالإسلام وأحكامه،

والعروبة وأصالتها، وتحمل من أجل ذلك الشدائد والصعاب وذاق النفي والاغتراب.

وخلفه على العرش المغربي ولي عهده جلالة الحسن الثاني الذي بايعه الشعب المغربي كما اعتاد مبايعة أجداده ليتابع مسيرة الإسلام المظفرة وليقود شعبه إلى العزة والنصر والوحدة فكان خير خلف لخير سلف متسلحا بالعلم والدراية والإدراك العميق لقوة الإسلام وحضارته وما يحمله هذا الدين من تصور واضح وحكم بليغة وأنظمة رائدة وتشريع خلاق وحرية وصمود، فلم يتردد جلالته من اليوم الأول الذي بويع فيه ملكا على المغرب من أن يعلن بصراحة ووضوح أن المغرب بلاد إسلامية عربية وأكد أنه سيتابع الخط الإسلامي مهما أحاطت به من مشاكل وأخطار.

وحمل جلالته مشعل الإسلام كما حمله أجداده وانطلق يبشر بالإسلام وينشر محاسنه بين قومه وفي خارج وطنه ويجمع المؤتمرات الإسلامية ليتذكر المسلمون واجبهم وليتحدوا على هدى من الإسلام لبناء نهضتهم وفق تعاليم الإسلام، وقد نجح نجاحا باهرا ولمع شخصه في العالم الإسلامي وخارجه حتى بايعه قادة المسلمين جميعا ليكون رئيسا للجنة القدس وهي لجنة مطوقة بالعمل على تحرير القدس الشريف وإنقاذه من التلوث الصهيوني الأثيم.

ويمكن لجلالته أن يتكلم باسم الإسلام وهو سليل الأمجاد الإسلامية والأصالة العربية فينصت إليه السامعون.

إن جلالة الحسن الثاني يقوذ المغرب ليبوئه مكانته الإسلامية وزعامته التاريخية ومكانته الوطنية بعزيمة ثابتة وصبر ويقين بالنصر. ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• لعل أجمع وأنفع وصية يوصي بها كل مسلم أخاه في بداية القرن الجديد هي أن نطبع فكرنا وحياتنا وسلوكنا الخاص والعام بالطابع المميز لحضارتنا الإسلامية الذي ارتضاه الله لنا ألا وهو طابع الاعتدال والوسط ••



للأستاذ المهدي القاسمي
رئيس المجلس العلمي الاقليمي للرشيدية

بعظيم الاجلال والولاء وخالص المحبة والوفاء، يعيش الشعب المغربي قاطبة فرحة كبرى بمناسبة عيد العرش المجيد فتتواصل الاحتفالات في انسيابها الإبداعي معبرة بألف لسان عن المنجزات الهائلة التي تحققت في العهد الحسني الزاهر مخلدة بكل فخر واعتزاز أعظم ملحمة للمجد الأصيل والشهامة النادرة عز نظيرها في تاريخ الأمم والشعوب ملحمة القائد الرائد، والسلك المجاهد أمير المؤمنين مولانا الحسن الثاني نصره الله، هذا البطل الذي قاد شعبه الوفي من نصر إلى نصر ومن مسيرة إلى أخرى تحدوه همة لا تلين وعزم قوي لا يستكين ونضال موصول الأسباب متعدد الجهات صقله الالتحام الدائم بين عرش مخلص وشعب وفي، التحام يسجل أروع ميثاق بين الراعي والرعية تجسيدا لروح المحبة بين القمة والقاعدة ضمانا لمواصلة مسيرات التشييد والبناء كعربون صادق لتلك الآصرة الواصلة التي لا تزيدها الأيام إلا رسوخا.

خمس وعشرون سنة من العهد الحسني الزاهر أدام الله بقاءه كانت كلها طافحة بالخير والبركات زاهرة بالأحداث الإصلاحية وجلائل الأعمال حافلة بالمواقف البطولية الشجاعة يقف الفكر مشدودا إلى تلك الخطوات المتواصلة والسياسة الرشيدة التي تفتقت عنها عبقرية الحسن الثاني معتزا بهذه الحضارة الباذخة والرصيد الهائل الذي يعيش عليه المغرب أرضا ونظاما وتاريخا.

إن معالم هذا العهد الفاخر عديدة ومتنوعة فهي أعظم من أن يستوعبها مقال، وأجل من أن يحتويها كتاب، منظومة كلها صمود على الحق وتطلعات نحو المستقبل واعتزاز بالعروبة والإسلام في توافق تام و وتطابق محكم بالعقيدة الإسلامية والتمسك بالكتاب والسنة، والالتزام بالجماعة ووحدة الصف وتلك هي العوامل البارزة التي شكلت المدرسة الحقيقية للمغرب.

فمنذ أن رفرفت راية الإسلام على هذه الربوع وتوالت إشراقاته فياضة على أهله، والمغرب في مأمن من التيارات الجارفة والأفكار الدخيلة الملحدة، والانقسامات الطائفية، ذلك لأن المغاربة قد وجدوا في الدين الإسلامي ضالتهم المنشودة فاستكانوا إلى ظله الظليل، منافحين عن بيضته رافعين راية لا إله إلا الله، فكان المغرب ولايزال حصنا لهذا الدين ومعقلا لشريعته، وكان أبناؤه جنودا له وحماة. تولى العرش أمانة الحفاظ على هذه الوحدة فاكتمل البناء وتهيأت أسباب الاستمرار وأصبح المغرب بفضل هذه الرابطة الوشيجة بين العرش والشعب مركزا للإشعاع الإسلامي وحصنا للجهاد الديني، وظل ملوكنا على توالي الحقب متمسكين بشعائره مسترشدين بهديه معتصمين بحبله ولنا في ملوكنا العلويين الأشراف البرهان الساطع على مصداقية هذه الرؤية الإسلامية على امتداد تاريخهم الحافل منذ أن قيض الله لهذا البلد الأمين شرف مجيئ هذه الأسرة العلوية سليلة العترة النبوية الكريمة إلى هذا الوطن على تقوى من الله، وهكذا انطلقت إشعاعات تلك الرابطة الوجدانية التي جمعت قلوب المغاربة بملوكهم لأنها من نور الله، فقد أعلن محمد الخامس رضي الله عنه وصيته إلى الشعب المغربي مخاطبا ولي عهده آنذاك قائلا :

«إياك يابني أن تحيد عن صراط الإسلام القويم، أو تتبع غير سبيل المؤمنين فإنه لا عدة في الشدائد كالإيمان ولا حيلة في المحافل كالتقوى، واعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة وتقرب منه بالأعمال الصالحة ذراعا يتقرب منك توفيقه باعا واجعل القرآن المصباح الذي تستضيء به إذا ادلهمت الدياجي واشتبكت عليك السبل، وليكن لك في رسول الله وصالحي الخلفاء إسوة حسنة، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده».

وها هو أمير المؤمنين مولانا الحسن حفظه الله يسير على الدرب الذي رسمه له والده إيمانا من جلالته أن التمسك بالمقدسات الإسلامية كان وما يزال سببا في المحافظة على ذاتية هذا الوطن، وقوة دافعة للنهضة والنماء وحافزا نحو العطاء والازدهار.

إن المغرب من طنجة إلى الكويرة وهو يحتفل بعيد تربع جلالة الحسن الثاني نصره الله على عرش أسلافه المنعمين، فإنما يحتفل في الحقيقة بنفسه وبأصالته العريقة، وبشرعية العقد الذي يربط المغرب بملوكه ممثلا في البيعة الشرعية التي ظلت وديعة في الأعناق جيلا بعد جيل مواكبة للمخططات التنموية التي تشهدها البلاد مجددة العزم الأكيد لاستمرارية الزحف المبارك نحو تطلعات طموحة فلقد كانت سياسة رائد البعث الإسلامي سياسة حصيفة أهلت المغرب عن جدارة ليتصدر الزعامة في مختلف المحافل ويكون سباقا لكل المكرمات للدعوة الحسنة والقدوة الصالحة. وهكذا فقد رسم جلالته للمغرب النهج الديمقراطي الذي أقره الإسلام فوضعت القوانين لهذا الاختيار بتنظيم القضاء ورجاله، وتأتي المسيرة السلمية كنموذج دائم للجهاد الشريف استكمالا للوحدة الترابية والتحاما بإخوان لنا ربطتنا وإياهم أواصر القربى ووشائج النسب في الدين واللغة والوطن والتاريخ أروع ملحمة عطت أحداثها القرن الهجري الذي ودعناه فكانت بحق مسيرة الفتح ومسيرة القرآن، وبالاجماع انعقدت لجلالته رئاسة لجنة القدس لما يوليه حفظه الله من عناية للدعم الإسلامي وتوحيد الصفوف على كلمة سواء، وهكذا فالحسن الثاني حفظه الله سليل الدوحة النبوية الشريفة أبرز مجدد لمعالم الإسلام في هذا القرن، يدعو إلى الله تعالى على بصيرة ويحيي ما اندرس من معالم هذا الدين على بينة من الله ورضوان كما أن إنجازات المسيرة الحسنية في ميدان المعرفة قد أعطت يانع ثمارها بما أنشئ من جامعات ومعاهد، وما شيد من مراكز ودور للشباب لينهل الجيل الصاعد من معين المعرفة استعدادا لتحمل المسؤوليات، وبناء صرح الوطن على أساس متين كما أحيا جلالته المجالس العلمية وعززها وأصبحت دعما للكيان الروحي ومنبرا للتوعية والإرشاد، وهكذا فقد دأب أيده الله على إذكاء شعلة الفكر وإغناء رصيده بما وفر له من روافد لإثرائه وهيأ له من منشآت.

وما الاحتفال بذكرى مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن إلا دعوة صريحة إلى ضرورة ربط الحاضر بالماضي تمكينا للعقيدة الإسلامية من نفوس المسلمين وعودة إلى الأصول الصحيحة.

فهنيئا لمولانا بهذا العيد الذي أشرقت شمسه على أرض الطموح أرض البطولة والفداء، وتحية ملؤها الإجلال والإكبار للركب الحضاري الهائل الذي خطط وصمم له رائد المسيرة ومبدعها، وإنا على الدرب لسائرون وبأهداب العرش العلوي المجيد متشبثون.

أدام الله عز أمير المؤمنين على توالي الأيام، وحفظه بما حفظ به الذكر الحكيم، وأقر عينه بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد وصنوه المولى الرشيد وسائر أفراد الأسرة الملكية الشريفة.

وفاء ملوك المغرب بعهد البيعة تجاه رعاياهم

للأستاذ مقدم بوزيان
رئيس المجلس العلمي الإقليمي بالناظور

تحل هذه السنة الذكرى الخامسة والعشرون لتربع مولانا أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على عرش أسلافه المنعمين.

وبلادنا إذ تحتفل بهذه المناسبة الكريمة التي هي في الحقيقة فرصة لاستعراض حصيلة ربع قرن من المكاسب والمفاخر والمعارك والانتصارات بقيادة رائد المسيرات القرآنية والإنمائية والتقدمية المستمدة أساسا من المبادئ الإسلامية. يطيب لي والأمة قاطبة من البوغاز إلى الكويرة تخلد هذه الذكرى العزيزة الغالية أن أساهم في هذا العدد الممتاز من مجلة دعوة الحق، بكلمة حق. إزاء وفاء ملوك المغرب بعهد البيعة تجاه رعاياهم.

أجل إذا كان الإسلام يعرف البيعة بالتولية والعهد والعقد والميثاق للخليفة الذي هو أمير المومنين ويقرر وجوب الطاعة والمحبة والولاء لأولي الأمر ويحث الأمة على الوفاء بعهد البيعة لملك البلاد. فإن الإسلام يضع أيضا في عنق أمير المومنين مسؤولية هذه البيعة وينيط به واجبات جاما عليه أن يضطلع بها لرعاية مصالح الأمة التي بايعته وعاهدته بالطاعة والوفاء والصدق والتضحية والإخلاص.

وخصوصا أن علماء الإسلام يعرفون الخلافة باعتبارها رئاسة وضعت لخلافة الرسول ﷺ لحراسة الدين وسياسة الدنيا والقيام بالواجبات المتعلق برعاية أمن الأمة والسهر على سلامتها والدفاع عن كرامتها والذود عن مجدها وعزها وتاريخها ووحدة ترابها وكل ما يداهمها...

وملوك المغرب كانوا ولا زالوا خير مثال يجب أن يحتذى بخصوص اضطلاعهم وسهرهم وتفانيهم من أجل أداء أمانة البيعة التي كانوا يتلقونها باستمرار من رعاياهم الأوفياء...

وتتلخص أهم واجبات ملوك المغرب في حماية العقيدة الإسلامية من كل تدجيل أو هرطقة أو بدع أو تيار انحرافي أو الحادي أو ما شابه ذلك من الإديولوجيات المغرضة الهدامة كما تتلخص واجبات ملوك المغرب في الدفاع عن حوزة الوطن مهما أدى بهم ذلك إلى شرف التضحية والابتلاء كما تتجلى واجبات ملوك المغرب في السهر على نشر العدل وتحقيق العدالة الاجتماعية ونشر الطمأنينة والرخاء والرفاهية وتعميم الود والمودة والأخاء والتلاحم بين العرش والشعب وبين القمة والقاعدة بشكل

تلقائي وبإيحاء شعبي يتجلى في كل المناسبات والأعياد والذكريات الدينية والوطنية...

هـذا ويظهر تفـاني ملـوك المغرب في أداء واجبهم كذلك في الأمور المتعلقة باهتمامهم الخاص بمعالجة مشاكل التنمية الاقتصادية في القطاع الفلاحي والزراعي والتجاري والصناعي مع التشجيع على نشر الحركة العلمية والفكرية وتعميم مبادئ الديمقراطية ووضع القوانين الدستورية العامة للأمة مع أخذ رأيها والاستشارات معها كلما دعت الضرورة إلى ذلك انطلاقا من مبدأ الشورى الذي أقره الإسلام.

فهـذا المولى إدريس الأزهر أول ملـك بـويـع في المغرب بعد أن اختاره المغاربة وتسابقوا لبيعته باعتباره أحد سبطي الرسول ﷺ يعاهد المغاربة ويبايعهم بدوره على أن يواصل نشر الإسلام ويوسع رقعته شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وخاصة في الاصقاع الصحراوية، فكان كما قال رضي الله عنه بالإضافة إلى نشر العدالة والطمأنينة ورعاية المصالح العامة للأمة حتى أصبح المغرب مهابا منذ عهده إلى الآن وحتى خاف من المغاربة كل الملوك والسلاطين في المشرق كما نعلم في مأساة إدريس الأول على يد خليفة المشرق.

وقد ذكر أن إدريس الثاني رحمه الله كثيرا ما كان ينشد :

أليس أبـونــا هــاشم شــد أزره
وأوصى بنيـه بـالطعـان وبـالضرب
ولسنــا نمـل الحرب حتى تملنـا

ولا نشتكي ممــا يــؤول إلى النصب

وعلى هذا النسق العهدي البيعي الصادق بين المولى إدريس الأزهر والمغاربة حذا كل ملوك المغرب وخاصة في عهد السعديين الشرفاء الذين أعادوا للمغرب الاعتبار الشامخ الذي كان يتمتع به، وذلك بعد انتصارهم في معركة «وادي المخازن» العظيمة.

وهذا أيضا المولى إسماعيل الذي كان يلقب «بالملك القوي» حين خاطب وده ملوك الغرب والشرق بعد أن حرر أجزاء الوطن مقتفيا عمل أسلافه الأدارسة والسعديين.

وهذا فقيد العروبة والإسلام الذي ضرب أروع مثال للتضحية في تاريخ البشرية جمعاء، في سبيل الدفاع عن الوطن والعروبة والإسلام وهو ـ محمد الخامس ـ طيب الله ثراه... محمد الخامس الذي لقي البلاء الحسن إبان محنة الملك والشعب حين فضل أن يكون أول مثال يحتذي في قيادة الحركة الوطنية بجانب زعماء الوطن المخلصين من رعاياه الأوفياء محافظا على عهد البيعة حتى قدم نفسه للبلاء الحسن وفضل أن يكون قدوة للشعب حين قال :

(النفي والتشريـد والمـوت والاشتهـاد، خير ممـا تدعونني إليه أيها الأوغاد)...

فكان ما كان، ولكن الله سلم حيث عاد من منفاه الذي قاسى فيه الأهوال والغربة ومعه فلذات كبده وعلى رأسهم ملكنا الشهم الآن جلالة الملك الحسن الثاني الذي كان يومه عزاءه الوحيد في محنتهما الكبرى إلى أن جاء الفرج وانتهى الجهاد الأصغر ليبدأ الجهاد الأكبر كما قال وطيب الله ثراه، حين أعلن لشعبه الوفي عن استقلال البلاد وبزوغ شمس الحرية والانعتاق.

وما زال ـ رحمه الله ـ يواصل نضاله وجهاده وكفاحه في مضمار البناء والتشييد إلى أن لبى نداء الرفيق الأعلى بعد أن أوصى ولي عهده ووارث سره وسيرته جلالة الحسن الثاني أعزه الله.

وها هو أمير المومنين وقد أصبح خير خلف لخير سلف يعاهد الله ويعاهد شعبه والجرح لا يزال طريا إثر وفاة أبيه، لقد قال حفظه الله في أول خطاب وجهه لشعبه يوم 3 مارس 1961 يوم اعتلائه على العرش / وإني أعاهد الله وأعاهدكم على أن أضطلع بالمسؤوليات وأؤدي واجبي طبق مبادئ الإسلام وقيمه السامية وتقاليدنا القومية العريقة ومقتضيات مصلحة الوطن العليا كما أعاهد الله وأعاهدكم

على أن أدافع عن حوزة الوطن وسيادته وأحرس على وحدته وإعلاء شأنه بين الدول.

فمن ذلك الحين وهو يضطلع بواجب البيعة التي أناطها الله بعنقه في تولية الاهتمام بشؤون رعيته وأمور شعبه ومصالح أمته المغربية في الداخل والخارج...

فقد آلى على نفسه تنفيذا لذلك الالتحام الروحي الشعبي القائم بين العرش والشعب بين القمة والقاعدة... آلى على نفسه ـ حفظه الله ـ أن يدافع عن العقيدة والعروبة والوحدة العربية والإسلامية بجانب اهتمامه المتواصل لاستكمال وحدة التراب، وازدهار الاقتصاد وإنعاش التنمية الداخلية ونشر العدالة والرخاء والرفاهية والازدهار مع إقرار أسس الديمقراطية الملكية الدستورية في البلاد.

إلى أن توج عمله هذا بذلك الحدث التاريخي العظيم الذي يعتبر معجزة القرن ومعجزة الزمن في هذا العصر وهي حدث «المسيرة الخضراء» لاسترجاع الصحراء... صحرائنا الغربية من براثين الاستعمار الإسباني...

مع التذكير بأنه ـ حفظه الله ـ كان وما يزال يتولى عبء تحمل مسؤولية العمل المتواصل من أجل جمع شمل الأمة العربية وتوحيد صفوفها للدفاع عن حق الشعوب المغلوبة على أمرها وعلى رأسها حق الشعب الفلسطيني وتحرير القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين، كما أخذ فعلا رعاه الله يضع أول لبنة لتوحيد الصف العربي في الاتحاد القائم حاليا بين المغرب وليبيا والذي ما هو إلا بداية لتعميم الاتحاد العربي الإسلامي الإفريقي إنساني عالمي عام بحول الله...

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل أساسا على أن ملوك المغرب وفي طليعتهم رائد البلاد وموحد التراب جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله.

قد أوفوا بعهد البيعة وتبعاتها بخصوص أداء واجباتهم في الدفاع عن الدين وحراسة أمور الدنيا إنطلاقا من بيعة الرضوان واحتراما لعهد الله الذي قال :

﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾.

وكل هذا يجعلنا نطمئن ونشكر الله الذي قيض لهذه الأمة من يصلح لها أمر دينها ودنياها في شخص ملكها الهمام مولانا أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله الذي ما فتئ يواصل كل مجهوداته المظفرة وفاء بعهد البيعة والأمانة التي قلدها الله أياه لإصلاح أمور رعيته هذه.

الرعية التي تقف اليوم في هذه الذكرى العزيزة الخالدة شامخة الرأس معززة النفس لتقول لقائدها العظيم : لقد أديت الأمانة أحسن تأدية، ووفيت بالبيعة أحسن توفية، ونصحت الأمة، وكشفت الغمة، وجاهدت في الله حق جهاده، فجزاك الله من ملك كريم، ومن قائد خبير، فسر من نصر إلى نصر، فنحن وراءك، والله معك، ولن يترك عملك، فهنيأ لك يا سبط رسول الله ﷺ بعيد تتويجك وهنيأ للأمة بعيد المفاخر والأمجاد وكل عام وجلالتكم وأمتكم بخير.

مواهب فريدة و مواقف رائدة

للأستاذ محمد العربي الزكاري

من البديهيات أن المؤهلات الرفيعة لا تتوفر إلا في العباقرة القلائل الذين يستطيعون بعمق تفكيرهم وبعد نظرهم وحسن تدبيرهم الارتقاء بشعوبهم حضاريا وأخلاقيا إلى أوج الرقي الإجتماعي، فبفضل مزاياهم الخاصة وتقديرهم للظروف الداخلية والملابسات الخارجية يتجنبون المزالق ويعالجون المشاكل بالحكمة التي تقود في نهاية المطاف إلى الصلاح والفلاح.

وباستقراء مراحل التاريخ نجد هذه الصفوة الممتازة تضفي على الأحداث طابعا خاصا فتحولها إلى نتائج تؤثر في مجراها تأثيرا عميقا يدفع بالباحث الإجتماعي أن يكوّن منها نظريات وحقائق تنير الطريق أمام الأجيال لتتخذ منها القدوة وتستمد النبراس الذي يضيء الطريق ويذلل الصعاب ويختصر المسافات.

وما دمنا في معرض الإحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لاعتلاء جلالة الحسن الثاني عرش المغرب لا بد لنا من تحليل منطقي لشخصية عاهلنا الذي يقود سفينة المغرب وسط هذا العالم المضطرب سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، فالحسن الثاني يتوفر على جوانب عديدة ومؤهلات فريدة تتطلب دراسة مستفيضة ووقفة متأنية للغوص في عمقها وبعدها واستخلاص تأثيرها في مجريات الأحداث المتشابكة الطافحة على الساحة الداخلية والخارجية.

ومن هذا المنطلق ندرك أن العبرة ليست في التيجان المرصعة التي تزين عادة هامة الملوك، ولا تكمن في الهالة التي تحيط بذواتهم من كل جانب، وإنما تتمثل في قدرتهم على معالجة الأوضاع المستجدة بالحكمة واللباقة وعمق التفكير وبعد النظر، بالإضافة إلى توفرهم على الشجاعة التي تعتبر السمة الضرورية في العباقرة الذين يضطلعون بمسؤولية القيادة.

وبتعبير آخر ان الحكمة لها دورها ومناخها في تصحيح الأوضاع واستخدام الحجج العقلية والبراهين المنطقية للإقناع وتبديد الغيوم، حتى إذا ما استعصت المشاكل وتعذرت الحلول السلمية لم يبق إلا استخدام اللغة التي لا مفر منها لاسترجاع حق مغصوب وتصحيح أوضاع تتطلب الإقدام والحزم والشجاعة لمواجهة الأخطار ومعاكسة مخططات الأغيار.

ولئن نشدنا الحقائق المجردة، وتعمقنا في إبراز معالم الوقائع التي عشناها ونحياها في عالمنا المعاصر، يأخذنا العجب من المؤهلات الفريدة والسلوك المثالي اللذين يعالج بهما ملكنا الأحداث المتشابكة في عالم مليء بالمفاجآت وطافح بالمتناقضات، ولن يستطيع منصف إنكار ما تتخبط فيه الإنسانية من مشاكل وأهوال مصطنعة - في الغالب - تصطلي بنارها المجتمعات البشرية في مجموعها، ويكتوي بنارها المسلمون والعرب على وجه أخص، وفي خضم هذا الضجيج المفتعل وفي عمق هذه الصراعات المهولة، نجد ملكنا يمسك عصا القيادة من الوسط، لتظل بلادنا أولا في منجاة من الإنحياز إلى الإديولوجيات المتصارعة.

وبفضل هذه المواقف المتزنة استطاع الحفاظ على حياد المغرب من هذه المذاهب المتضاربة في عمقها وأبعادها ومراميها، وبتسامحه الكبير ورغبته الأكيدة تمكن من إصلاح ذات البين بين الأشقاء في كثير من الأحيان وبتعاون وانسجام مع الرفقاء والإخوان، وشاهدنا على هذه الحقائق يتمثل في مؤتمرات القمة العربية والإسلامية التي دعا إليها وأدار جلساتها بحكمة الملوك العصاميين الذين يترفعون عن المهاترات والجدل العقيم، ويتجنبون إثارة المشاكل الجانبية والأحداث العابرة والهامشية، ويحرصون على إبراز مبادىء الأخوة الإسلامية ووشائج القربى التي تدعو إلى تخطي الحساسيات والنعرات والعصبيات والمصالح الشخصية التي يغذيها المغرضون من بعيد، وهكذا كان ملكنا سباقا لتبديد الغيوم التي تكتنف علاقات بلادنا مع أخ حميم أو صديق قديم، حتى إذا ما استعصى التغلب على الجفاء ظل متفائلا بالغد المشرق ومتطلعا لليوم الزاهر ومتمسكا بحبل الرجاء في الله لعودة الإخاء والصفاء والتغلب على أسباب التوتر والجفاء.

فبهذا الأسلوب الرفيع والسلوك الممتاز الذي عالج بهما الأوضاع والأحداث استطاع أن يحتل الصدارة بين الملوك والقادة والزعماء الذين لمسوا فيه الحكمة والنبل والإخلاص والصراحة، وهي المزايا التي يعتبرها المنصفون الصفات البارزة التي يجب توفرها في القادة، وقد اكتشفوها فعلا في شخصية الحسن الثاني الذي أعدته الأقدار الإلهية لمركز المسؤولية العظمى في هذا البلد الأمين.

وتخطى الأحداث الخارجية لنعالج أوضاعنا الداخلية على ضوء الجولات الموفقة لعاهلنا، فنراه يلقي بثقله الفكري وأسلوبه المتميز لمعالجة المشاكل السياسية والإجتماعية والثقافية والإقتصادية والعمرانية، وفي هذه المجالات الواسعة لا مناص من التركيز على نقطة مهمة جدا، فقد واكب تربعه على العرش انعتاقنا من ربقة الإستعمار، وهي مرحلة صعبة وخطيرة وحساسة في حياة الشعوب التواقة إلى ترميم ما صدعه الدخلاء.

وإذا كان دور جلالته في بناء المغرب الجديد فعالا ومؤثرا، فإن مساهمته في معركة التحرير بارزة إلى حد كبير بجانب والده محمد الخامس رحمة الله عليه، حيث لعب أدوارا خطيرة في معركة الانعتاق وهو لا يزال يافعا، مما يوحي بأن هذا الشاب أهله الله لمهمة سامية تخوف منها المستعمرون وأقضت مضاجعهم في تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الكفاح الوطني.

ولا يجادل أحد في أنه اضطلع بالقيادة والمغرب في أمس الحاجة لبناء صروحه الإدارية والإقتصادية والعسكرية للقضاء على مخلفات العهد البائد الذي حاول دهاقنته إبقاءنا في مصاب الدول المتخلفة عن الركب الحضاري، وهنا نستطيع وصف هذه الفترة بالحكمة المأثورة «عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

ونقف مشدوهين من عبقرية ملكنا الذي استطاع في سنوات قلائل أن يجعل من المغرب دولة تساير مستجدات العصر الحديث مع الحفاظ على أصالته الإسلامية وعراقته العربية ودون التنكر لطابعه الخاص ومميزاته التي تعتبر السمة البارزة لشعبنا التي حافظ عليها كرصيد روحي مستمد من إيمان الشعب بالله جل جلاله وبرسالة سيدنا محمد ﷺ.

وأبرز معالم تقدمنا تتجلى في تنظيم الجيش المغربي وإعداده إعدادا هائلا لتحمل مسؤولياته الجسيمة في الدفاع عن حوزة الوطن وصيانة الإستقلال، بالإضافة إلى مساهماته في مجالات عمرانية لا تحتاج إلى شرح وبيان ما دامت عملاقة ينتفع شعبنا بمردودياتها ويشاهدها القريب والبعيد وتغيض خصمنا العنيد، فهي بحق معلمة بارزة من معالم جيشنا الذي يعمل في الواجهتين : العسكرية والعمرانية بشجاعة ونكران الذات قل مثيلهما وعز نظيرهما في كثير من بلاد الله، ومن الإخلال بحق هذا الجيش العتيد إن أغفلنا بسالته وتضحياته بوقوفه سدا منيعا على تخوم صحرائنا لحمايتها في انتظار استكمال وحدتنا الترابية واسترجاع الجيوب التي لا زال الاستعمار يحتفظ بها

كأسلاب لا يقرها قانون ويدينها الرأي العام الدولي وتتعارض مع بنود ميثاق الأمم المتحدة.

وما دمنا نتحدث عن القوات المسلحة الملكية فلا بد من الإشارة إلى جهود ملكنا في هذا الميدان حيث أشرف شخصيا على تطويرها وتأطيرها وتزويدها بما استجد في العالم من أساليب حربية وتكنولوجيا حديثة، بالإضافة إلى ما يتمتع به الجندي المغربي من شجاعة وإقدام اعترف بهما قادة جيوش العالم، ومن أنكر هذه الحقيقة الناصعة فليسأل اسرائيل عن هذه البطولة والشجاعة في الجولان وسيناء «فعند جهينة الخبر اليقين».

وحتى نترك المجال للزملاء في إبراز الميادين المتعددة التي تستحق التنويه نكتفي بالإشارة إلى حدثين انفرد بهما ملكنا العظيم، ويتمثلان في إرساء قواعد الشورى التي أمر بها الله تعالى ومارسها الرسول عليه الصلاة والسلام في حياته مع صحابته الكرام، والحدث الثاني يتجلى في صحوتنا الإسلامية وتدعيمها بتأسيس المجالس العلمية وإحياء كراسيها في كبريات مساجد المملكة المغربية السعيدة.

وعسى أن نكون قد اعطينا في هذا الاستعراض الموجز صورة عن المواهب التي يتوفر عليها ملكنا، والمزايا التي تطبع مسيرة المغرب الجديد وهو يحتفل بالذكرى الخامسة والعشرين لعيد عرشنا العتيد، وما على شعبنا إلا أن يواصل مسيرته قدوة بملكه المفدى، وهنيئا لاهلنا بعيده السعيد.



فلسفة الحكم عند الحسن الثاني

من خلال ربع قرن

للأستاذ عثمان بن خضراء

إن التاريخ الذي يسجل حياة الأمم وأعمال رجالاتها الأفذاذ لفخور طيلة ربع القرن الماضي بما يضمه إليه من صفحات لامعة ووقفات مشرفة لمليكنا الذي تعتز به العروبة وينتظم به الإسلام جلالة الحسن الثاني نصره الله تعالى، ولا بدع... فقد ورث جلالته عن أجداده العبقرية والبطولة والشهامة حيث تجد عهده الزاهر مليئا بالأعمال الجليلة والمنجزات الأصيلة في نطاق بعث إسلامي لا ينحصر في سنة أو جيل... بل يمتد مدى العصور ومدى القرون في تجدد وابتكار وخلق وتجديد.

ففلسفة الحكم عند الحسن الثاني ارتكزت طيلة الخمس وعشرين سنة الماضية على الثورة الاقتصادية والاجتماعية المبنية على أسس النظام الإسلامي والاشتراكية المغربية التي ترمي إلى إيجاد الثروة فتوزعها أحسن توزيع، فهي كما قال حفظه الله : «لا تفقر الغني بل تغني الفقير، وهي بعد ذلك انطلاقة اجتماعية واقتصادية تهدف إلى خلق اشتراكية مغربية محضة تطابق أصولنا وأصالتنا لا اشتراكية مستوردة من الخارج ! ويرى جلالته من خلال خطبه وتوجيهاته أن الثورة لا تنحصر في إنسان ولا في جيل ولا في كتاب... ولكن هي قبل كل شيء عقيدة لأنها عمل مستمر للتجديد،.. للتلقيح... للإنتاج... لأنها عمل كل يوم، كل شهر، كل سنة، كل جيل ! الثورة لا تنقطع لأنها فلسفة، وليست معركة دامية... هي إيمان في القلب وفي التفكير والإبداع والإنتاج - والمغاربة الذين فتحوا الأمصار وطبعوا دولا أخرى بالطابع المغربي لن يقبلوا أن تطبعهم شعوب أخرى بطابعها ولن يستوردوا أنظمتها» فالاشتراكية المغربية هي العمل المستمر الذي يستهدف رعاية المصالح العامة للبلاد والعناية بالمصالح التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالشعب... فكان استصلاح الأراضي وتشجيرها ومد قنوات خلالها يجري فيها الماء الصالح للسقي والري... وشق الطرق وتمهيدها... وبناء السدود بين الشعاب... وإنشاء المعامل القروية لإصلاح الأدوات الفلاحية وغيرها مما تدعو إليه حاجة القرية... وتشييد دور للسكنى لأصحاب الدخل الضعيف... وتأسيس الأندية الثقافية والملاعب الرياضية للشباب والأطفال بجانب المدارس، وأولى هذه المشاريع بالتقدم والاعتبار تلك التي تشع في نفس الطفل أو الشاب الارتياح الكامل لما يأنس في تلك المشاريع من طائلة اقتصادية أو اجتماعية، أو يتوقع من مكسب خلقي أو فائدة تمت إلى العلم والعرفان والخبرة المهنية بصفة خاصة...

وهذه الثورة الفلاحية الحسنية مستمرة... مع عملية الحرث الجماعي بالإضافة إلى استرجاع الأراضي لصغار الفلاحين... وكلها وسائل ناجعة لتعزيز اقتصادنا ودعم إنتاجنا وتعميم الرخاء والازدهار وتحقيق الرفاهية لأكبر عدد من المواطنين... فأرض المغرب ملك للمغاربة بحكم القانون... ويوجه جلالته رعاياه من طبقة الفلاحين بأنه يجب عليهم أن يمتلكوها كذلك بحكم عملهم ودأبهم ومثابرتهم فيتصرفوا فيها ويستغلوها وهم مؤدون لثمن إنتاجها بعرق جبينهم وكد سواعدهم... وقد كان الحسن الثاني قد شق أول خط في تلك العملية المباركة وتبعتها آلاف الجرارات في عزم لا يلين وإرادة فعالة، وفي مفهوم الاشتراكية المغربية التي ستوفر للمواطنين في البوادي وسائل تحسين حالتهم ومعيشتهم... وذلك باستغلالهم المحكم للأراضي التي يملكونها وبالإسهام في استثمار الأراضي التي استرجعتها الدولة.

فهذه المسيرة المباركة... وهذه الحرب بالجرارات تشكل حلقة مباركة في العقد الذهبي الذي سبكته إرادة ملكنا الصالح والتي ترمي في الميدان الفلاحي إلى تحقيق تلك الانطلاقة التي عرفتها قطاعات أخرى والوصول إلى حرث المليون هكتار.

والثورة الصناعية بدورها شقت طريقها على نهج الاشتراكية فرأت النور... فكانت بشائر مشاركة العمال في أرباح وملكية مصانع البلاد تمثلت بادئ ذي بدء في مصنعين للسكر ثم امتدت فيما بعد إلى باقي المصانع.

كما ستمتد قاعدة المشاركة في الأرباح إلى القطاعات الصناعية والتعاونية الأولى تطبيقا لمبادئ الإسلام - ولقد رسم جلالة الملك العبقري الخطوط الرئيسية لفلسفة الحكم القائم، والتي تهدف إلى خدم البلاد على إشراك العمال، وهم العمود الفقري للإنتاج، في الاستفادة من أرباح المصانع.

هذا وإذا كان هذا العصر الذي نعيش فيه يتميز بتقدم العلم وطغيان المادة مثلما يتميز بظهور عدد من المذاهب والتيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فإن إرشاد الحكومات في نظر الحسن الثاني هي تلك التي عرفت كيف تحسن الاختيار وسط الخضم العالمي الصاخب المتلاطم بالآراء والنظريات المختلفة... وتخط للشعب سياسة مستمدة من حقائقه وشخصيته... ومرتكزة على مقوماته... ملبية لعبقريته واحتياجاته سواء فيما يخصه كشعب : له مميزاته أو فيما ينوبه كعضو مسؤول في الأسرة الإنسانية الكبرى !!!

وأمام هذه التيارات المختلفة فإن جلالته يرى أن الشعب المغربي المسلم يجد نظاما اقتصاديا واجتماعيا في كتاب الله العظيم الذي يقول :

﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾، فنكون تلك الأمة الوسط التي ليست بالرأسمالية ذات النظام الأهوج التي لا تترك حرية لأي ضعيف، ولا بالاشتراكية التي دلت الأرقام والحوادث على أن نظرياتها يمكن أن تكون أخطر من تطبيقها... نريد أن نكون تلك الأمة التي يمكنها أن توفق بين النظامين وذلك بأن تعطي لكل الميادين مدلولها ومفهومها... ففرق جلالته بين الميادين التي يجب أن تكون في يد الدولة، وأن تؤمم... وبين الميادين والقطاعات التي يجب أن تبتعد منها الدولة وأن تبقى تلك الميادين في قبضة المبادرات الحرة.

أما ميادين التأميم فباختصار كل ما يجعل للدولة سلطات على القطاعات الاستراتيجية والضرورية للإقلاع الاقتصادي وللاستمرار في النمو... مثل الطاقة والصناعة الثقيلة... والمواصلات بجميع أنواعها... والقروض ووسائل القروض، ودور القروض ذات الصبغة الاقتصادية المنتجة... والخيرات الباطنية، برا كانت أم بحرا... هذه القطاعات الاستراتيجية ذات الطاقة كانت مائية أو كهربائية أو نووية إن شاء الله تعالى، أو معدنية أو مالية... هذه الطاقات لا يمكن للدولة أن تتنازل عنها إذا أرادت أن تقلع وأن تستمر في النمو.

وهناك ميادين أخرى وهي ميادين المبادرات الخاصة، وهي كل ما يمكن المواطن من رفع مستواه الخاص وخلق الرواج والنيابة عن الدولة التي لايمكنها أن

تخوض جميع الميادين : فنرى الصناعة والصناعة الخفيفة... والسياحة... والفلاحة بجميع أنواعها... والتجارة... وخلق شركات مغربية خارج البلاد بجميع القارات حتى يمكن للمغرب «أن لا يتزوج» دائما بخلاياه وسلالاته الخاصة... بل أن ياتي بدم جديد وتلقيحات جديدة ويعرف بنفسه وإنتاجه... ويمكنه كذلك أن يصدر لإفريقيا والشرق خصوصا وللقارات الأخرى عموما «أدمغة ومفكرين ونخبة طيبة من شبابه العاملين المجدين».

هذا ومن أجل تهييئ الأطر الضرورية لهذا التطور الاجتماعي والفكري فإن ملكنا الهمام خطط منذ ربع قرن المبادئ الأساسية التي أعطت لتعليمنا ميزته الخاصة والتي تلخصت في التعريب والمغربة ومجانية الدروس... كما قررت عزيمته أن تتحمل الدولة أثقل عبء لتوفر أكبر عدد من المنح لشبابنا الذين يطمحون في استكمال تكوينهم في مدارسنا العليا وكلياتنا أو في غيرها في الخارج... وبذلك تقيهم شر المشاكل المادية التي يمكنها أن تكون عائقا وحاجزا بينهم وبين مواصلة التكوين الذي ينتظرونه والذي يمكنه وحده أن يفتح لهم أفسح الآفاق وأجداها ويحقق النتائج التي تنتظرها الأمة !

ومن جهة أخرى فإن أمير المومنين الذي يومن بأن الإسلام هو سبيل النصر والتقدم والقوة ولا سبيل غيره... كان هو البداية والنهاية لمؤتمر القمة الإسلامي الذي انعقد بالرباط... من أجل اتحاد كلمة المسلمين ليسودوا من جديد... وأن الرؤية الواضحة والنظرة البعيدة لهذا الرائد المؤمن كانت في محلها وهو يبعث بتجريدة من قواتنا المسلحة إلى سوريا والحرب لم تقم بعد ـ فمنذ أن تجلت النوايا الصهيونية لم يفتأ جلالته يندد بالمحاولات المخزية التي يقوم عليها الإسرائيليون، ويفضح ضغينتهم للشعوب العربية، واستهتارهم بحقوق الغير، وتوسعهم الزاحف، وإرادتهم المقيتة في بلوغ أهدافهم الدنيئة بكل الوسائل، وباستغلال كل الظروف أو الأوضاع !

وعاشر رمضان يحمل في تاريخ الإسلام ألف ذكرى وذكرى... فحرب رمضان حدث عظيم سيبدأ التاريخ تسجيل أحداثنا المشرقة بحول الله ذلك أنه لأول مرة تخلينا عن المهاترات... ولأول مرة اجتمعنا حول شعار واحد... ولأول مرة تآلفت القلوب على كلمة سواء... وأن ما قام به جلالة الملك من مواقف مشرقة تجاه حرب رمضان مكنت المغرب من الحصول على سمعة طيبة في الشرق والغرب... ولقد قامت جيوشنا بجانب الجيوش المصرية بواجبها أحسن قيام، فمثلت بفاعلية وصمود شعبنا الأبي وذلك في مواجهة عدو تطلبت منا مواقفه الاستفزازية ونواياه الاجرامية ردا صارما كما فرضت تضحيات جساما لكونه يكيد لنا ولكرامتنا ويرمى إلى القضاء على وجود كيان جزء من كيان أمتنا.

ولم يبرح الحسن الثاني ينذر الضير العالمي بعواقب هذا الموقف الوخيم، والاعتداء الشنيع... ويبذل المساعي المتكررة لدى إخواننا الذين يهمهم الأمر حتى تتغلب روح الوئام والوفاق على نزعة التفرقة والشقاق... وحتى يؤدي شعور أشقائنا بالشرق الأوسط ووعيهم إلى التشاور المجدي... وتكون غايتهم المنشودة تظافر الجهود وتآزر الارادات وحشد الوسائل والطاقات.

ولا غرو... فعهد الحسن الثاني حافل بالعطاء والبطولات والأمجاد... مليئ بجلائل الأعمال ودلائل التوفيق... وأن الحماس الوطني، والإيمان الصادق لهو الحافز الذي يحرك أبناء المغرب قاطبة لتحقيق المزيد من المكاسب والكثير من الانتصارات مثل ما حدث أثناء المسيرة الخضراء المظفرة... حدث القرن بلا منازع... حيث تحول المغاربة إلى شخص واحد يحس بنفس الإحساس ويعيش نفس الموقف وتوجت باسترجاع الصحراء المغربية إلى حظيرة المملكة بفضل ملك شهم وشعب بطل... وذلك بالرغم من الروح القبلية التي كان الاستعمار وأذنابه يذكونها من بعده... لأن سكان الصحراء كانوا يعتبرون مستقبلهم في الانضمام إلى باقي تراب المغرب المحرر ولترابطهم روحيا وتاريخيا...

وهب أبناء الصحراء من كل فج عميق لتأكيد الولاء وتجديد الطاعة والبيعة لأمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني... ورفعت أعلام النصر مرفرفة فوق ربوع صحراء

وادي الذهب رغم كيد الكائدين، وستبقى خفاقة، منيعة وإن تآمر الحاد والمضلون الذين وقفنا بجانبهم أيام الشدة فكانوا من المتنكرين لنا والناقمين علينا وعلى وحدتنا ! ومن نعم الله علينا أن هيأ الأسباب للساقية الحمراء بأن تلتحق هي الأخرى بباقي الوطن حيث جاء انسحاب موريطانيا من ملف الصحراء الغربية ليؤكد الحقيقة الواضحة التي تتجلى في كون المغرب هو الطرف المعني أولا وأخيرا... وخرجت مدينة الداخلة برجالها ونسائها وشبابها وأطفالها إلى الشوارع هاتفة بمغربيتها ورافعة للعلم المغربي وللشعارات التي تؤكد صدق الولاء.

فكان يوم 17 رمضان 1399 هـ موافق 11 غشت 1979م عيدا بالنسبة لسكان المنطقة، ودعوة للحكومة المغربية إلى بسط السيادة الوطنية على إقليم وادي الذهب، وكان تتويج الانتفاضة الشعبية الرائعة في الداخلة هو إيفاد فوج من سكان الإقليم المحرر برئاسة القاضي الشرعي لتمثيل السكان في تجديد البيعة إلى جلالة الملك الحسن الثاني، طبقا للتقاليد المرعية وتأكيدا لتمسك السكان بالوحدة.

خمسة وعشرون سنة تجلت فيها مرامي فلسفة الحكم عند الحسن الثاني، في أبهى صورها مليئة بجلائل الأعمال وصور التحدي الشامخ... فمن تأسيس كتلة الدار البيضاء لاستكمال تحرير إفريقيا... إلى معركة التنمية والمليون هكتار... ومن معارك الحدود في سنة 1963 إلى حرب يونيه 1967... إلى مؤتمر القمة الإسلامي الأول... ومن المؤتمر الإفريقي الذي انبثق عنه ما يعرف بالسياسة الدولية «بروح الرباط» إلى حرب رمضان على الجبهتين المصرية والسورية... ومن معركة التحرير والوحدة المتوجة بالمسيرة الخضراء المظفرة إلى مقاومة مؤامرات الخيانة والغدر... واسترجاع إقليم وادي الذهب ومن تدعيم الوحدة الوطنية باقتران الإرادة في تطوير أدوات وهياكل الحوار الديمقراطي بالسعي المخلص إلى تثبيت السيادة الوطنية وجعلها في مأمن تام من التحرشات والمضايقات التي تأتي من الخارج، وحيث يرتبط حشد العزائم وتقوية الهمم الوطنية، إلى تقوية الاقتصاد الوطني والاهتمام بالتصنيع. وعمل الحسن الثاني في كل ذلك يتميز بالتضحية والجدية والفطنة والذكاء وخدمة الصالح العام... وهي العوامل الجوهرية التي جعلته يحيا بحياة أمته ويسعد بسعادتها... ولا عجب فعروش ملوكنا كانت ولا تزال قلوب شعوبهم، وان تيجان ملوكنا أعمالهم ومنجزاتهم، وأن صولجانهم أفكارهم وتوجيهاتهم ! ان الجوهرة الثمينة التي يشع نورها في العهد الحسني الزاهر تتجلى في اعتناء جلالته بتشييد ضريح والده المنعم على تلك الربوة الجليلة الشأن، المحملة بالذكريات المجيدة المزدانة بمجد حسان وصومعته الشهيرة... فجاء بناؤه بهذا الأسلوب المعماري المتسم بطابع الروعة والعظمة معجزة فنية !

يقول الأستاذ السيد عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة ومحافظ ضريح محمد الخامس : «قال لي جلالة الملك ذات يوم : «من بين الأمور الكثيرة التي أنجزتها في عهدي، أمران أضعهما في أعلا القائمة وبعدهما لا أبالي : جمع مؤتمر القمة الإسلامي وبناء ضريح والدي» وقد أعطى بذلك جلالته فرصة فريدة للصناعة المغربية الأصيلة بمختلف أفانينها للعروج إلى قمة الروعة والكمال.

ومن مفاخر هذا العهد الحسني الحياة الديمقراطية التي ينعم بها المغرب والتي تعد من الأمثلة القليلة التي توجد في العالم الذي يسير في طريق النمو.

وقد تجلت بادئ ذي بدء من الميثاق الوطني الذي وضعه محمد الخامس رحمه الله تعالى وفي المجلس الاستشاري الذي شكله الملك الراحل في السنوات الأولى من الاستقلال بغية توفر البلاد على إطار دستوري للعمل... وعلى هيأة عليا تلتقي فيها أهم التيارات السياسية... والقطاعات المهنية من قادة سياسيين وزعماء أحزاب ومسؤولين عن المنظمات المهنية من نقابيين وأرباب الأعمال وممثلي بعض الميادين الاقتصادية والفلاحية والثقافية وهيئات الشباب وذلك قصد التشاور في كل ما يتعلق بسياسة البلاد والإصلاحات الضرورية.

وحرص جلالة الملك الحسن الثاني في الدساتير المغربية التي عرفها المغرب منذ الاستقلال على وضع المبادئ العامة التي تقوم عليها المملكة المغربية والتي يتعين على كل المواطنين حاكمين ومحكومين، مسؤولين ومرؤوسين الالتزام بها والعمل على احترامها والضرب على يد كل من تسول له نفسه العبث بها !

إن عمل الحسن الثاني يتميز بالجدية والتضحية والفطنة والذكاء وحب الصالح العام، وهي العوامل التي جعلته يحيا بحياة أمته ويسعد بسعادتها، ولا عجب فالعرش المغربي من أول تأسيسه كان تصحيحا للأوضاع والتزاما بحمل مشعل رسالة الإسلام وقد وجه جلالته رسالة ملكية إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري وفي ظروف يواجه فيها الإسلام على صعيد دنيا الإسلام تحديات خطيرة تمس كيان المسلمين السياسي وتمس جوهر عقيدتهم الدينية، ويواجه فيها الإسلام انحرافا خطيرا لحقه من جحود الجاحدين وتطرف المتطرفين، مما جعل الإسلام في نظر الجيل الحديث وإزاء المعاصرة التقنية والعلمية يفقد توازنه الروحي والمادي واعتداله العقلي والنفسي ويخرج الأمة الإسلامية عن رسالتها الإنسانية التي هيأها الله تعالى لها كأمة وسطا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتسود بالحق والعدل.

وقد أبى جلالة الملك إلا أن يكون مرشدا للمعاني السامية وموجها للمثل العليا محملا المسؤوليات الجسيمة للأفراد والجماعات ورؤساء الدول وقادة الشعوب ان الذكرى الخامسة والعشرين لتربع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني على عرش المغرب لتذكرنا في فخر واعتزاز بالكفاح البطولي الذي خاضه ضد القوى المعادية للحرية والوحدة وذلك لأن جلالته من ذوي الإيمان الراسخ الذين يدركون إدراكا واعيا حقيقة الخطر القائم على الأنساب ويلعبون دورهم البطولي دون خوف أو تردد غير عابئين بما يلحقهم من مكروه وأذى !

إن الأمة المغربية تحتفل بالعيد المجيد لملكها المفدى وإنها لمناسبة قومية عظيمة تهتز فيها مشاعر المواطنين فرحا وطربا لأن هذا العيد الوطني الكبير يجسد وحدة الأمة ويذكرها بأمجادها السعيدة الغابرة وتقاليدها المجيدة الزاهرة ومستقبل شعبها المشرق الوضاء.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

• فاحفظ اللهم الآصرة الواصلة بيني وبين شعبي قوية لا تنحل ولا تنفصم وسدد خطاي وأيد مساعي فيما أبتغيه لشعبي واكتب لي ولشعبي توفيقا منك يهديني ويهدي شعبي إلى الأعمال والأقوال المقبولة لديك المحفوفة برضاك المنصورة بتعزيزك المستنيرة بنورك وأدم اللهم علي وعلى شعبي الاعتصام بكتابك المبين وسنة رسولك ونبيك الأمين وثبت الإيمان في قلوبنا وقلوب المسلمين •



عرش الوحدة

للأستاذ محمد قشتيليو

إن العرش العلوي المجيد كان وما يزال شعاره الوحدة وضم شتات الأخوة سواء داخل المغرب أو خارجه، وإذا تصفحنا أعمال ملوكه الأماجد نجدهم - بدون استثناء - يكافحون ويجاهدون من أجل وحدة المغرب لامغربنا الأقصى فحسب بل كل المغرب العربي وهمهم الوحيد دائما هو جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم عملا بقوله تعالى : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾، لذا نجد من الملوك الأوائل الذي دعا إلى الوحدة وعمل على جمع شمل الأخوة مولاي رشيد الذي قضى على ثورة الدلائيين وإمارة السملاليين وإمارة الشبانات والإمارات المستقلة بالشمال وكل كيانات مصطنعة التي كانت ستعمل من المغرب شبه ملوك الأندلس فقضى عليها قضاء مبرما وأعاد للمغرب وحدته الترابية، كما نجد مولاي إسماعيل بعده يعد العدة وينشر لواء العدل والطمأنينة في النفوس بقضائه على الطامعين فبسط سلطانه على كل أرجاء المغرب ومد حدوده إلى أبعد ما بلغته الدولة السعدية في زمن المنصور الذهبي، ويقول المؤرخ الناصري عن عهده : «في هذا العصر استقامت الأمور وسكنت الرعية وهدأت البلاد واشتغل السلطان ببناء قصوره وغرس بساتينه وأصبحت البلاد في أمن وعافية حتى تخرج المرأة والذمي من وجدة إلى وادي نون فلا يجد من يسألهما من أين ؟ مع الرخاء المفرط إذ لاقيمة للقمح ولا للماشية ويجبى العمال الأموال ويدفع الرعايا بلا كلفة حتى صار المغاربة كفلاحي مصر يعملون ويدفعون في كل جمعة أو شهر أو سنة ولم يبق سارق ولا قاطع طريق انتهى. هذا بجانب توحيد المغرب تحت العرش العلوي بعد ما كانت بعض موانئه ومدنه خاضعة للاحتلال الأجنبي فحررها وجعلها تدين بالولاء للعرش وضمن سيادة المغرب على صحرائه، كما نجد السلطان محمد الثالث ينتهج سياسة الوحدة الإسلامية ويدعوا إليها ومن مظاهرها ربط علاقاته بالدولة العثمانية إذ أوفد عدة بعثات إلى السلطان عبد الحميد الأول مصحوبة بالهدايا النفيسة وكان هذا كله بدافع من روح الوحدة الإسلامية التي حظ عليها تبارك وتعالى في كتابه العزيز بقوله : ﴿**ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم**﴾.

وقول الحديث الشريف : «المومن للمومن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا». ثم يأتي مولاي سليمان الداعي إلى التضامن الإسلامي كان يوفد ابنه مع زمرة من علماء المغرب إلى المشرق ليوثق علاقات المغرب مع مصر والشام والعراق وشبه الجزيرة العربية.

إن هذه العجالة على بعض الملوك العلويين الذين كان شعارهم الوحدة الوطنية ثم الإسلامية لهو دليل على أن هدفهم الأسمى كله هو الدفاع عن الإسلام ووحدة أمته فإذا كان بعضهم قد استطاع أن يحقق بعض الشيء من ذلك وبعضهم لم يسعفه الحظ ولكن النية كلها كانت متجهة إلى ذلك فكل واحد منهم كان يرث عن الآخر أهدافه ومراميه، غير أن الانتكاسة التي أصابت المغرب سنة 1912 قيض الله لها من ملوك العلويين الأماجد أيضا من كتب لـه أن

يمحوها ويستخلص الحق من الغاصبين ذلك هو محمد الخامس قدس الله روحه الذي كان في عصره بمثابة النبراس الذي أضاء سماء المغرب وأنار السبيل للشعب في ذلك الظلام الحالك حتى يسير وراء القائد المظفر يشد إزره ولي عهده ويتهيأ للمسؤولية بعده فإذا كان قد تحقق على يده نصر الاستقلال وهو أيضا الداعي إلى وحدة الصف للأمة العربية والإسلامية التي جاهر بها على منبر طنجة عام 1947 فوارث سره قد حقق الوحدة الأولى باسترجاع إفني ثم الملحمة الكبرى والوحدة العظمى باسترجاع الأقاليم الجنوبية الصحراوية إلى وطنه الأصلي التي كانت تعد عودتها كحلم من الأحلام فقد كان يؤلمنا ويحز في نفوسنا عندما كنا نراها على الخريطة تدعى بالصحراءالاسبانية إنها ـ والحق يقال ـ مكرمة من مكارم العاهل العظيم، واما دعوة سيدنا المنصور بالله للمسلمين باتحادهم وتآزرهم فحدث عن ذلك ولا حرج فكل مناسبة من المناسبات من مؤتمرات أو غيرها إلا ويحث فيها على الدعوة إلى وحدة المسلمين وتوحيد صفوفهم فما رسالته التاريخية الموجهة في مطلع القرن الهجري الحالي إلى قادة المسلمين إلا أكبر دليل على ذلك، وبعد هذا كله فقد خطى سيدنا خطوة جبارة في هذا المجال أعطى بها المثل الأعلى لكل الداعين والمتشدقين بالوحدة وإطلاق في الفضاء من أنواع الشعارات التي تدعو إلى الوحدة ولكنها جوفاء فارغة، فجاء سيدنا حفظه الله وأعطاهم المثل الأعلى والشعار الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بإعلان الوحدة العربية الإفريقية قولا وفعلا فبهرت هذه الخطوة الجبارة الخصوم والأصدقاء على السواء ولمسوا بأيديهم وشاهدوا بأعينهم الوحدة الحقيقية بادية محسوسة لامسطرة على الأوراق أو التشدق بها في الأبواق فقط، ثم توج نصره الله الوحدة الترابية بالرحلة الميمونة إلى الصحراء العزيزة والتي برهن فيها المغاربة قاطبة على تشبثهم بالعاهل الكريم الذي هو رمز وحدتهم وضمان مستقبلهم فقد قطع الطريق بهذا على الخصوم وعلى جميع أنواع مناوراتهم المادية منها والمعنوية فكان هذا أعظم استفتاء قدمه الشعب لعاهله مبرهنا على تشبثه بوحدته الترابية.

أما أياديه البيضاء في الساحة السياسية العالمية وخاصة قضية الشرق فهو لا يتوانى ولا يفتر في محاولة جمع شمل الأخوة العرب فهو يبذل المجهود تلو المجهود في هذا الباب فما زيارة قداسة البابا للمغرب إلا واحدة من المجهودات التي يبذلها لصالح السلم العالمي وقضية فلسطين على الخصوص، أما دعوته لتوحيد الصفوف الإسلامية فهي شغل سيدناالشاغل وما زادت كلماته حفظه الله في هذا الباب مسطرة في تهانيه إلى ملوك ورؤساء الدول الإسلامية بمناسبة حلول العام الهجري 1406 إذ قال حفظه الله : حرى بنا ونحن بذكرى هجرة الرسول الأعظم عليه السلام أن نقف وقفة تقدير واعتبار إلى حاضر أمتنا الإسلامية وما أصبحت عليه من ضعف وشتات رغم ما تزخر به من مصادر القوة ومن ثروات مادية وبشرية ومن تراث أخلاقي وفكري وحضاري عظيم فلنعقد العزم على العمل بإيمان راسخ وتدبير حكيم ونكران كامل للذات من أجل رأب صدعها وجمع كلمتها وتوجيه طاقاتها وعبقرية شعوبها إلى البناء والنماء والأمن والرخاء حتى نسهم كما كنا في بناء حضارة الأسرة البشرية والحفاظ على السلام والأمن في العالم وبذلك نكون جديرين بقوله تعالى : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله**﴾.

وما الرسالة الخالدة التي بعثها إلى العملاقين المجتمعين في جنيف إلا إحدى مصابيح النور التي يملكها سيدنا فيرسل شعاعها إلى المجتمع البشري في مثل هذه المناسبات ليضيء له في الطريق ويرشده إلى السبيل القويم لصالح الإنسانية جمعاء، ينبه العملاقين إلى أنجع السبل لحل مشكل الشرق فيقول لهم : المفاوضات في إطار دولي يمكن أن تضمن نجاح البحث عن السلم في الشرق العربي.

وما زيارة جلالته إلى فرنسا واستقباله الحار من طرف أبنائه الذي يبادلونه حبا بحب ويفكر فيهم وفي مستقبلهم ومستقبل أبنائهم غير خاف على أحد وقد رأى العالم كيف ملك يختلط بشعبه كأحد من أفراده ويبادله

الحديث، رأى العالم الديمقراطية الحقة تتجلى بأسمى معانيها في العاهل الكريم. وسيدنا لا يبخل بالنصائح والإرشادات لجميع طبقات شعبه فقد رأيناه وسمعناه يستقبل جيل القضاة من رجال ونساء الذين تخرجوا من الكليات فيزودهم بدرره الغالية فيقول لهم : «عليكم ومن يتبعكم أن تحاربوا الجوع والتخلف وتتداركوا التأخر عن قافلة التقدم إلى غير ذلك مما يعجز القلم عن وصفه والفكر في التعبير عنه.

هذا، وجلالته يفاجئ دائما شعبه بما يسره ويشجعه على الكد والعمل لرفع مستواه والوصول به إلى مصاف الدول المتقدمة، فها نحن نراه يستقبل وفد الممتازين من خريجي الحقوق برئاسة ولي العهد المحبوب سيدي محمد ويهنئهم بفوزهم ويزيد من تشجيعهم فيبشرهم بإنشاء وسام خاص للحاصلين على درجة الامتياز مثلهم.

ان هذا قليل من كثير فبضع صفحات لا تكفي لذكر ما يغدقه العاهل الكريم على شعبه من خيرات ولنكتف بما ذكر ضارعين إلى المولى أن يحفظه ويقر عينه بولي عهده سيدي محمد وشقيقه مولاي رشيد وباقي أعضاء الأسرة الكريمة راجين له طول العمر حتى يرى في شعبه كل ما يصبو إليه من عز وصولة.. ولله العزة ولرسوله وللمومنين.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

• إن الصحراء جزء لايتجزأ من المغرب، وهذا واقع إن أدركه الأصدقاء وسلموا به فإن على أعدائنا أن يفهموا أنه أصبح من معطيات التاريخ التي لاتنتكس ولا تنعكس وسنظل ساهرين على تعزيز قواتنا وتوطيد جهازنا الدفاعي ومتصدين باستمرار لرد المتآمرين والمغامرين والطامعين المتطلعين إلى إهدار وحدتنا الترابية واغتيال سيادتنا الوطنية •

الفكر الحسني الرائد

للأستاذ المبارك الريسوني

إن الشّعب المغربي وهو يحتفل هذه السنة احتفاء بالذكرى الفضية المجيدة التي تخلد ذكرى تربع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أعزه الله على عرش أسلافه الميامين، إنما يحتفل بعيد ميلاد شعب وانطلاقة أمة تشق طريقها إلى الأمام، نحو العزة والرفاهية والرخاء، إنّنا لا نحتفل بيوم من الزمان، ولكننا نحتفل بخصوصيات وما ينفرد به من مميزات عن باقي الأيام.

أجل، إنّنا نحتفل بذكرى من أعز الذكريات علينا التي تجسد التلاحم بين العرش والشعب، وتجسد الحب اللا مشروط بين القمة والقاعدة، وتجسد هذه الذكرى كذلك الأصالة والعمق التاريخي والبعد الحضاري، وهذه كلها أرصدة لا تبلى ولا تفنى خصّنا الله بها لذا يحق علينا أن نفخر بها ونزهو، ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾.

إنّ الاحتفال بهذه الذكرى المجيدة الغالية احتفال بالنضال والنصر، واحتفال بالثورة ضد كل أشكال التخلف، واحتفال بالأصالة والقيم الروحية، وبكل مظهر من مظاهر التسامح والتعاطف والرفاهية والرخاء والشموخ وانسلاخ الإنسان عن نوازعه الذاتية ليصبح الإنسان الحق في أمة ينطبق عليها قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾.

والمغرب إذْ يحتفل أيضا إنما يحتفل بالحرية والديمقراطية، حرية الفكر والتعبير، وحرية الإنتماء إلى الحزب الذي يتفق وإياه في المبادىء، والأهداف، والديمقراطية التي تتجاوب مع مطامح الشعب وتساهم في التنمية والرخاء، ومن هنا فالقضايا السياسية تأتي في الذروة، لأن الإسلام جعل الإهتمام بأمر المسلمين شرطاً من شروط العقيدة، لذا فالمسلم مطالب بالإشتغال بالسياسة، لأن السياسة والدين رئتان لا بديل لأحدهما عن الآخر، ولا غنى عنهما للمجتمع المسلم، فالدين يكمل بقيمه وعبادته وبأخلاقه، والسياسة تكمل الدين في مجال الإنجاز والتطبيق ملتزمة بقواعده الرئيسية.

كما يحتفل أيضا الشعب المغربي بالكرامة والاباء والشمم، إنّ هذه الذكرى العزيزة علينا تتجسد فيها معاني تاريخية لا يعرفها إلا الإنسان الذي استعرض الملاحم التاريخية القديمة والحديثة والمعاصرة، والمسيرة الخضراء جاءت تتويجاً لكل هذه الملاحم في عصرنا هذا محطمة كل المزاعم الضالة ومظاهر البغي والعبودية والاسترقاق والظلم والعدوان لخصوم الديمقراطية، وكل شكل من أشكال الهيمنة والتسلط.

وفي هذا اليوم يوم العزة والكرامة يزداد الناس ارتباطا والتحاما وتجاوبا وتعلقا بالعرش، ففي هذا اليوم المشهود المعروف بالمحبة والرحمة والرأفة والتسامح يتم تجديد العهد والولاء، والإخلاص لبذل المزيد من الجهد لرفع الوطن المغربي إلى أعلى عليين.

ليس يخاف على أحد ما قام به جلالة الملك الحسن الثاني رمز الأمة وباعث النهضة ومستكمل الوحدة الترابية من أعمال تجل عن الوصف.

أجل منذ أن اعتلى رمز الأمة والضامن للوحدة على العرش الممجد جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وهو يوالي جهودا تلو جهود لإقرار العدالة في ربوع المغرب، واستتباب الأمن، وإشاعة الطمأنينة بين الناس، وتحقيق العدل الإجتماعي والسياسي والإقتصادي لئلا يظل هناك حيف فيما بين الناس ليتعايشوا تحت مظلة التعاون والتعاطف والإخاء والحب.

فالإنسان المغربي في التصور الفلسفي الحسني هو الوسيلة والغاية معاً، هو الوسيلة لتحقيق الرفاهية والرخاء للجميع، وذلك بتفجير كل خيرات البلاد وجعلها متدفقة وغزيرة لا ينضب معينها أبداً، وهو الغاية لجعله ينعم بثمرات الجهود في ظل الحسنية السمحاء.

إن هذه الغاية التي لها أبعاد شتى لم تكن لتتحقق لولا تضافر جهود العرش بالشعب، ولولا مواصلة زحفهما المقدس الذي يستهدف استئصال جذور كل شكل من أشكال التخلف، وكل لون من ألوان الإسترقاق.

إن جلالة الملك عمل وما فتىء يعمل منذ أن بوأه الله مقاليد الأمة المغربية على رأب كل تصدع، موحداً صفوف هذه الأمة للظفر بالتضامن والتعاون وتوحيد الصف، وقد بلغ جلالته في ذلك غاية بعيدة، وقطع أشواطاً تجعلنا نتفاءل بمستقبل باسم وضاء.

إن كل ما حققه من نصر وفوز وظفر في بناء أمة على أرض صلبة وأسس قوية ودعائم ثابتة يعود إلى ما سنّه من سنن حميدة وخصال إسلامية عالية كنكران الذات، والإيثار والمحبة وإشاعة الصدق بين الناس عامة، كما قام جلالة الملك بالقضاء على ثغرات كانت تمتص كل الفضائل وتهمش القضايا الأساسية، ووجه عنايته ليجتث رواسب الإستعمار مستجيبا لقول جده المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم «الإسلام يجب ما قبله» وبهذه الروح العالية والتسامح والإيمان تمكن جلالة الملك من أن يجعل من الشعب المغربي أمة واحدة تسعى للصالح العام مثلها كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وبذلك يكون جلالة الملك قد كرس فترة من نضاله المتواصل ليل نهار في بذر مجموعة من القيم وغرس الكثير من المثل العليا إيمانا من جلالته بأنها أساس للتضامن الإيجابي والوحدة الفعالة.

وقد وجدت والحمد هذه النصائح الغالية والتوجيهات الملكية السامية عقولا واعية تقبلتها قبولا حسنة، وقلوبا احتضنتها احتضاناً فاستثمرتها استثماراً. كان لذلك انعكاس إيجابي في الحياة العملية للمواطنين في كل ميدان من الميادين على طول البلاد وعرضها من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق متآخين متحدين يقفون على أرض صلبة يتحدون كل الصعوبات على اختلافها سواء كانت طبيعية أو اجتماعية منصرفين إلى الأشغال بجد وعزيمة لا تلين، ذلك من بركات الله على هذا البلد أن استخلف عليه ملكا عادلا حكيما مؤمنا حق الإيمان، سبط النبي محمد ﷺ.

وبعد، فإذا نحن واصلنا استقراء الفكر الحسني من خلال خطبه وندواته ومراسلاته التي تجمعها موسوعة انبعاث أمة فسنجد أنفسنا أمام ثروة فكرية عظيمة متنوعة جامعة شاملة في أمور شتى سياسية واقتصادية وتاريخية وحضارية وعسكرية. إنّ جلالة الملك يعتبر بحق رجل القرن العشرين إذا تحدث أجاد، وإن أجاب أقنع، وإن حاور أفحم.

وهذه أمور كلها تزاحمت في فكري وتَلَجْلَجَتْ في صدري وأخذت تلح إلحاحا علي للحديث عنها، وهي بحق أمور جوهرية وجميعها ذات فائدة كبيرة وكبيرة جدا ولكن لا بأس إذا اقتصرت في الحديث عن المسيرة الخضراء

باعتبارها حدث القرن العشرين تطامنت ازاءه كل الأحداث، متحدثاً كذلك عن بعض أعمال جلالة الملك المتميزة خلال سنة 1985.

المسيرة الخضراء حدث مغربي عربي إسلامي بارز يجسد بصدق عمق روح النضال والغيرة على وحدة البلاد وحريتها وكرامتها، كما يجسد إيماننا بعدالة القضية، ويجسد هذا الحدث العظيم التحام العرش بالشعب وتجاوبهما كالمعتاد في غير ما من مناسبة، ذلك التجاوب التلقائي العفوي بين ملك عظيم حكيم وبين شعب كريم أبي.

إن هذا الحدث يعتبر بحق علامة على التحول في المسار التاريخي للأمة المغربية، ودلالة على تحمل المسؤولية والتطلع.

فالمغرب حافظ على الدّوام وسيحافظ استقبالا - إن شاء الله - على كيانه كدولة أصيلة ضاربة جذورها في أعماق التاريخ وكحضارة، وبفضل هذا التلاحم والتمازج والإنصهار الذي صنعته الأحداث عبر عصور خلت كان وسيظل قلعة منيعة ودرعاً واقياً يحطم كل السهام ويكسر كل النبال ويفشل كل محاولة استهدفت بسط الهيمنة ومد النفوذ.

وإنّ هذه المسيرة جاءت غداة شعور وإحساس جلالة الملك بمناورات تحاك في الظلام يساهم في سيناريوهاتها أعداء الوحدة الترابية، مستهدفين من كل ذلك فصل هذا الجزء عن التراب الوطني لإقامة دويلة لا حول لها ولا قوة، ولهذا الغرض لمَ يدخّر خصوم الديمقراطية جهداً من جهودهم المتوالية إلا بذلوها لتحقيق أطروحة خيالية تنم عن الكراهية والحقد الدفين لم يشهد التاريخ من قبل ولا من بعد مثيلهما.

تحدث السيد ابن بلة الرئيس السابق للقطر الجزائري لرجال الصحافة الدولية بلندن قائلا : «إنّه ليس من مصلحة الجزائر أن تتسبب في تقسيم المغرب المجاور لها، ولا أن تعمل على خلق دولة مصطنعة في جنوبه، لأن للمغرب عمقاً تاريخيا لا ينكر، وكل قادته التاريخيين وملوكه جاءوا من الصحراء ابتداء من المرابطين إلى العلويين مروراً بالموحدين والمرينيين والسعديين، وأن مشكلة الصحراء ليست مشكلة الحسن الثاني وإنما هي مشكلة الشعب المغربي بأسره.

إنّ القائد الرائد وهو يُهيب بشعبه أنْ يكون حذراً من كل المناورات والدّسائس التي تحاك ضده سرا وعلنا ليعني أنّ المغرب بلد محسود لمميزات بشرية وطبيعية وتاريخية وحضارية واستراتيجية حباه الله بها، وهذا يستلزم منّا جميعا اليوم وغداً التعبئة واليقظة والحذر والتبصر والوعي لئلا نقع في فخ نصبه لنا أعداء الوحدة الترابية للإيقاع بنا تمهيدا لبسط الهيمنة، وهذا على كل حال يستحيل تحقيقه أبد الدهر ويمكن اعتباره ضربا من التهور بل والجنون.

إنّ هذه المناورات والدسائس لن تزيد المغاربة سوى الإعتصام بحبل الله لا ينفصم عراه، ولن تزيدنا سوى تعاون وتضامن وتحد وعزم وحزم وإرادة قوية لا تلين، لأن الحفاظ على الوحدة الترابية للبلاد لمن أقدس المقدسات لدينا كعرش وشعب مما نفدي أرضنا بدمائنا الزكية مدافعين عنها ومسترخصين من أجلها أرواحنا.

إنّنا يا جلالة الملك سنظل على الدوام أوفياء لقسمنا بارين به وملتزمين ومستجيبين لما تنصح به عبقرية جلالتكم من نصائح غالية لرعاياكم، وبمناسبة استقبال جلالتكم للوفد المغربي العائد من أديس أبابا يوم 14 نونبر 1984 قلتم : «كل شيء يمكن أن يكون فيه التهاون إلا الأمانة»، ويقول النبي ﷺ : «لا إيمان من لا أمانة له» والأمانة الغالية المقدسة التي هي الآن على عاتقنا ونحن مطوقون بها كلنا هي وحدة التراب الوطني، وسلامة السيادة المغربية، يجب ان يتعلم أبناؤنا وبناتنا منذ صغرهم وحداثة سنهم، إنّ هذه المسألة لا مفاوضة فيها ولا مهاودة.

إنّنا نعاهد الله على الوفاء مهما كلفنا ذلك من ثمن، فلا نفرط في شبر من أرضنا مهما تكالبت علينا قوى البغي والشر من أعداء وحدتنا الترابية الذين ساءهم التئام الشمل، وحز في أنفسهم أن يظفر المغرب بأمنية طالما جد في طلبها، فكادوا له ويكيدون، فناهضونا على الباطل ظلما

وعدوانا - فالله يتولاهم - وما زالوا يناهضوننا في حقنا المشروع المسلم به من لدن عقلاء القوم في العالم، ومن لدن الهيآت الدولية كمحكمة العدل الدولية بلاهاي.

إنّنا في أرضنا وبديارنا سنذود دفاعا عنها مسترخصين كل غال ونفيس، وقد نجحنا والحمد لله في تلقين أبنائنا وحفدتنا من بعدنا هذه الروح الوطنية، والغيرة على البلاد ليواصلوا الدفاع عنها والحفاظ عليها من طنجة إلى الكويرة، والمؤمن الحق هو الذي يبر بالقسم الذي أقسم به.

«أقسم بالله العظيم أن أبقى وفيا لروح المسيرة الخضراء، مكافحا عن وحدة وطني من البوغاز إلى الصحراء.

أقسم بالله العلي العظيم أن ألقن هذا القسم أسرتي وعترتي في سري وعلانيتي، والله سبحانه هو الرقيب على طويتي وصدق نيتي».

إنّنا لقد لقنا هذا القسم وروح القسم لأبنائنا الذين نعيش وإياهم تحت سقف واحد إلى أن استظهروه ثم شرحنا لهم أبعاده السياسية والإقتصادية والفكرية والحضارية والتاريخية وما يتضمنه من معاني أخرى وأبعاد وأهداف وغايات، فكان شعورنا بعدئذ شعور ارتياح، لأنّنا قمنا بالواجب وأدّينا الرسالة، وازداد شعورنا هذا لما أدركنا كآباء ومواطنين لهم غيرة على بلدهم أن أبناءنا صارو يتجاوبون مع روح هذا القسم، وإنّ هذا التجاوب والإنفعال ترجمة حقيقية للإقتناع، أليس هذا بكاف لنقول : إنّنا نجحنا والحمد لله. سنموت ونحن مطمئنون على بلدنا.

كان الرئيس الفرنسي في الخطاب الإفتتاحي لأشغال القمة الفرنسية الإفريقية الأخيرة واضحاً بخصوص قضية الصحراء في تأييد المغرب في الإستفتاء الذي نادى به جلالة الملك في القمة الإفريقية بنيروبي باعتباره حلا سليما للمشكل المصطنع، وهذا التأييد يعتبر بكل تأكيد انعكاساً لصلابة العلاقات الودية ولمتانة أواصر الصداقة التي تجمع بين البلدين.

وخلال سنة 1985 تركزت جهود جلالة الملك حول ثلاثة محاور أساسية :

- دفع عجلة التنمية والتقدم إلى الأمام وذلك باشراك جميع طبقات الشعب في هذا النشاط التنموي الذي يستهدف إيجاد الشغل وخلق حركة اقتصادية نشيطة تكون لها انعكاسات إيجابية على حاضر الأمة ومستقبلها، وفي هذا الموضوع وجه جلالة الملك رسالة إلى الوزير الأول يوم 10 أكتوبر 1985 نقتطف منها ما يلي : «ولا يخفى أن عملا تنمويا من قبيل ما نحن بصدده يقتضي التتبع المستمر والجدية التي تكفل لكل عمل مصداقيته وتوفر له جميع حظوظ النجاح والتوفيق، ولنا اليقين بأنك مدرك تمام الإدراك للغايات التي نرمي إليها والمقاصد التي نتوخاها حتى ينكب الجميع على العمل الجاد الهادف لخير هذا الوطن وأبنائه».

إنّ هذه التوجيهات الملكية تستهدف وبالدرجة الأولى تنشيط الحركة الإقتصادية والإجتماعية لخلق المزيد من فرص الشغل للمواطنين في مختلف الميادين في مقدمتها الفلاحة والسكنى، كما تستهدف هذه التعليمات الملكية إعطاء نفس جديد للمقاولات الصغرى والمتوسطة.

إنّ تضافر الجهود في الميدان الزراعي بصفة عامة وتربية المواشي بصفة خاصة سيحقق لنا لا محالة ألا من الغذائي، وسيمكننا من ادخار عملة صعبة تنفقها فيما يفيد بلدنا وينمي اقتصادنا، ويؤكد جلالته على تشجيع المقاولات التي أومأنا إليها التي تعتبر المحرك الأساسي للإقتصاد سواء في قطاع الصناعات المستهلكة والمصدرة، أو في قطاع التجارة والخدمات.

لذا أكد جلالة الملك على تشجيعها بوجه خاص لما ستقوم به من إيجاد فرص للشغل لعدد من المواطنين، وبالتالي تحريك عجلة الإقتصاد إلى الأمام إذ ستتضاءل أمام تحركها كل السحب الداكنة.

ومما تتضمنه هذه الرسالة تعبئة كل الطاقات والجهود لمواجهة العديد من التحديات وتراكمات الماضي خدمة للصالح العام، وإنّ هذه الرسالة لعين الحكمة تتسم بالإبداع والخلق وتقوم على استيفاء المناهج والأساليب المتولدة على الدراسة المحكمة والإستيعاب الرزين لتجنب مواطن

الزلزل والزيغ، وتسلم المشاريع من مغبات الإختلال والإرتجال، والله المستعان لنكون عند حسن الظن، وفي مستوى المسؤولية العظمى التي أناطها جلالة الملك بجميع رعاياه الأوفياء.

ـ كما تركزت الجهود الملكية على مواصلة المواجهة، مواجهة الخصوم أعداء وحدتنا الترابية ومناهضتهم بالحجة ومقارعتهم بالبرهان لإحباط أباطيلهم، وذلك بكل ما يلزم ديبلوماسيا و... لضحد مزاعمهم وتفنيد افتراءاتهم وبهتانهم أمام الرأي العام الدولي، لذا قام جلالة الملك بإيفاد نخبة من كبار الشخصيات إلى أقطار أمريكا اللاتينية، وإلى الأقطار الأسيوية لشرح كل ما ظل غامضا على البعض منهم ولرفع كل التباس، وقام جلالته أيضا بتطعيم السلك الديبلوماسي بعناصر مهمة زودها جلالته بنصائح وتوجيهات لتلعب الدور الذي أناطه بها.

وما دمت بصدد كشف أضاليل وأكاذيب الخصوم لا بأس إذا أشرت إلى ما كتب في عدد من أعداد صحيفة لوموند الفرنسية الواسعة الإنتشار وهي تميط النقاب عن حقائق عدة فتنفي وجود ما يسمى بالجمهورية الصحراوية المزعومة، وتشير إلى النهضة الشاملة التي تعرفها أقاليمنا الصحراوية إلى غير ذلك من الافادات والدراسات المهمة.

كما تركزت الجهود الملكية أيضا على توحيد الصف العربي إيمانا منه بأن ذلك هو الحل الأمثل لكل المشاكل التي يواجهها العرب بصفة عامة. لذا دعا جلالته إلى عقد قمة عربية طارئة بالدار البيضاء، استهدفت تعبئة كل الجهود العربية لاحباط كل المناورات الصهيونية، ولإنهاء الصراع المرير في الشرق الأوسط. غير أن ذلك لا يمكن أن يتم ما لم تحسم هذه الخلافات، وتمتص بذور الشك والريبة والغضب فيما بين بعض الأقطار العربية، ولذلك أنشئت لجن تفرعت عن القمة المذكورة أنيط بها القيام بإنهاء كل الخلافات، وقامت على الفور باتصالات لرأب الصدع وتنقية الأجواء، وكان لما قامت به صدى محمود قُوبِلَتْ أعمالها بالتشجيع والتنويه من لدن كل قادة العالم العربي، وتكللت أعمال هذه اللجان المكلفة بتبديد الغيوم وإعادة المياه إلى مجاريها بكامل النجاح. وتوجت بلقاء القمة بين الأردن وسوريا، كل ذلك يعود إلى ما رسمه جلالة الملك من خطط حكيمة هادفة.

وقرر مؤتمر القمة العربي الطارىء المذكور أن يوجه جلالة الملك بوصفه رئيساً للقمة العربية الطارئة رسالتين إحداهما لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية، والأخرى إلى رئيس المجلس الأعلى للإتحاد السوفياتي بمناسبة لقائهما التاريخي الذي تم في جنيف بالديار السويسرية أفصح فيهما عن وجهة نظر الدول العربية في حل جميع المشاكل الدولية وعلى الأخص قضية الشرق الأوسط، وجاءت عباراتهما واضحة وصريحة للغاية ومما ورد فيهما «إن الأمة العربية متعلقة أشد ما يكون التعلق بمُثُل العدالة والسلم، ومستعدة لبذل كل الجهود وتقديم جميع التضحيات في سبيل السلام وصيانة وضمان استقرار الأمن في العالم» وتوصل جلالة الملك بإجابة من الرئيسين المذكورين كانت مشجعة تحمل الكثير من التفاؤل والبشائر.

وعلى كل فإنّ جلالة الملك أحد القادة العظام والوجوه اللامعة سيتشرف التاريخ الفكري والحضاري والديني والسياسي بالحديث عنه، ولِمَ لَمْ يخلده التاريخ وهو الذي قام بالمسيرة الخضراء، تكللت نتائجها باسترجاع أرضنا المغتصبة، ولماذا لا يُخَلّدُ في التاريخ وهو الشخصية المتميزة في كل ميدان بشهادة كل المفكرين من سائر أقطار الدنيا.

وعلى صعيد العالم الإسلامي ما فتئ جلالة الملك يواصل الجهود لإيجاد حل ومخرج لتحرير القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وباقي الأراضي العربية المحتلة. ذلك بتكتل العالم الإسلامي ووحدته وتوحده حول كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتذكيرهم بتاريخهم المجيد وحضارتهم العظيمة التي كانت رحمة للعالمين.

إنّ كل ما أشرنا إليه تفصح عنه الرسالة الملكية السامية التاريخية التي وجهها جلالته إلى المؤتمر الدولي حول السيرة النبوية المنعقد بإسلام اباد بباكستان يوم 23 نونبر 1985، ويرى جلالة الملك أن نجعل في مقدمة

المهام التي يجب أن تبذل من أجلها الجهود إعطاء مدلول البعث الإسلامي صورته الحقيقية بترشيد الصحوة وتوجيهها ورعايتها وفق ما تقتضيه مصالح الأمة، وفي إطار مقاصد الشريعة التي يتعين الإستمساك بها والخضوع لمنابعها الصافية التي هي الكتاب والسنة النبوية. ويقول جلالة الملك «كان المسلمون سادة هذا العالم يوم كانوا يدركون حقيقة الإسلام، ويتبعون سنة رسولهم المصطفى عليه السلام، وينهجون في حياتهم كلها نهج سيرته، فازدهرت دنياهم، وامتد سلطان دينهم إلى آفاق المعمور، إشعاعاً وإرشادا وتعميما لمبادىء الخير والحق والسلام» وإن ما أفصح عنه جلالة الملك في هذه الفقرة يعرفنا بالمقاصد الملكية البعيدة ومراميه الهادفة وإشاراته الدالة. إنّ كل هذا لخير دليل على بعد نظر جلالته وحكمته وإيمانه بعدالة الرسالة الإلهية.

وتحدثت صحيفة لومتان السويسرية عن الدور المهم الذي يضطلع به جلالة الملك على جميع الأصعدة الوطنية والدولية فقالت : «إنّ جلالة الملك زعيم دنيوي وروحي لبلد عظيم في إفريقيا الشمالية، وقائد جيش قوي فرض نفسه في الصحراء، وشخصية يصغى باهتمام إلى رأيها، ومخاطب له وزنه وقدره في المحافل الدولية».

وهذه شهادة من الشهادات ـ نحن المغاربة نعتز بها ونفتخر ونتيه بها بين الأمم لما خصنا به الله من نعم وهي ليست الأولى من نوعها بل هناك قادة، بل وزعماء من مختلف أقطار الدنيا نوهوا بحكمة جلالة الملك وبعد نظره وخصاله الحميدة، وما يتميز به من عمق في التحليل لكل القضايا المصيرية العربية والإسلامية والدولية سياسية كانت أو اجتماعية، أو اقتصادية.

وتميزت سنة 1985 بزيارة مجادة البابا إلى المغرب باعتبارها أول زيارة يقوم بها سماحته من حاضرة الفاتيكان إلى بلد عربي مسلم للإجتماع بأمير المؤمنين، ولذلك تعتبر هذه الزيارة من الأحداث البارزة على الصعيد الدولي، لذا أولتها الصحافة في كل أصقاع العالم اهتماماً خاصا وعناية فائقة لكونها تجسد التسامح والتساكن والتعايش والتعاون فيما بين الديانات السماوية الإسلام والمسيحية من أجل إحلال السلام والوئام في ربوع العالم. كما أن هذه الزيارة تستهدف في جوهرها وعمقها وأبعادها استئصال جذور وشأفة كل النزاعات وتهميش كل الخلافات، وهي بعد كل هذا وذاك تشكل خطوة نحو درب الوفاق والسلام الذي دعا إليه الرسل والأنبياء.

وعن هذا الموضوع تحدثت عنه العديد من وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية ولا بأس إذا ذكرت ما قاله المؤرخ البلجيكي الشهير جوجيرار عن جلالة الملك في صحيفة لاليبر بلجيك لما تتميز به هذه الحقائق من دلالة «إن الكثير يجهلون أن جلالة الملك الحسن الثاني استُقْبِلَ من لدن البابا بولس الثاني عشر وهو ما زال وليا للعهد، وعقب هذا اللقاء صرح الأمير الشاب : «على المسلمين والمسيحيين أن يعملوا على تطبيق مبادىء التسامح والتقدير والتعاطف فيما بينهما».

وتحدث هذا المؤرخ عن استقبال جلالة الملك لسماحة البابا يوحنا بولس الثاني في المغرب سنة 1985 مبرزا أن جلالته كان حريصا على أن تحظى هذه الزيارة البابوية للمغرب بعناية خاصة، وتحدث عن التفاهم بين الإسلام والمسيحية في المغرب وعن العلاقات التاريخية العريقة بين حاضرة الفاتيكان، وبين ملوك المغرب إلى غير ذلك من الموضوعات التي أثارها المؤرخ الكبير نستخلص منها خصالا عدة يتميز بها جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله.

وإن جلالة الملك مصمم العزم على دفع عجلة التقدم إلى الأمام ليثب بالمغرب وثبة كبيرة في مجال التنمية ويقفز به قفزة عظيمة للنهوض به ككل كامل شامل فكريا وحضاريا وتربويا واقتصاديا واجتماعيا، وما تعدد الأحزاب السياسية والهيآت النقابية والمجالس المنتخبة البلدية والتشريعية إلا لبنات لتشييد مغرب جديد على دعائم قوية وإسس ثابتة استعداداً لاستقبال القرن الواحد والعشرين لا تؤثر فيه هزات ولا زوابع ولا إعصارات ولا سيول مهما كانت قوتها.

إنّ اقتصادنا ولله الحمد تدعمه الحريات العامة وتسانده الديمقراطية المتغلغلة في الأعماق، ﴿**ذلك فضل الله يوتيه من يشاء**﴾.

ويقول جلالة الملك «إياكم أن تنسوا أنكم مغاربة، وأن لكم أصالة، وأنكم تمتازون في العالم الثالث بتعدد الأحزاب والنقابات والتيارات السياسية، وبكلمة أوضح المتمتعون بأثمن كنز ألا وهو الحرية، وتتمتعون بأثمن رصيد ألا وهو الكرامة البشرية».

إن جلالة الملك يواصل جهودا تلو جهود على درب النماء والنهوض بالمغرب والتعاون الصادق بينه وبين الأقطار الصديقة، وأن زيارة جلالته للديار الفرنسية تدخل في هذا الإطار إطار التعاون والتضافر، وأن هاته الزيارة إلا دليل قاطع عن الروح التي يتحلى بها جلالته من نوايا مخلصة صادقة دعما للصداقة وإعطاء نفس جديد لروح ما يربط المغرب بفرنسا من وشائج عريقة، وروابط متينة، وعلائق مختلفة.

وقد أكد هذا شارل سانت برو عضو لجنة السلام في الشرق الأوسط فتحدث عن العلاقات المغربية الفرنسية من جوانبها المختلفة السياسية والاقتصادية والثقافية والإنسانية مؤكدا أن هذه العلاقات ثابتة ومتميزة، كما أوضحت المجلة أن جلالة الملك أكد على الدور الذي ينبغي أن تضطلع به فرنسا لانطلاق عملية السلام في الشرق الأوسط وقال شارل سانت : «إن جلالة الملك يعد أحد قادة الدول الذين يشهد لهم العالم بالذكاء النافذ وباعتدال المواقف وهو بلا منازع أحد القادة الأفذاذ للأمة العربية والإسلامية» ثم ذكر تنويه الرئيس الفرنسي بالفكر الحسني الواسع أثناء استقبال خاص بقصر الإليزي «إن العاهل المغربي المحنك يضطلع بمهمة بناء مستقبل بلده مع الحرص على الحفاظ على ماض غني».

وخلال زيارة جلالة الملك التاريخية هاته. جرى حوار صريح وبناء ومثمر بين قائدي البلدين حول مشكل الشرق الأوسط والعمل على إحلال السلام بهذه الربوع طالما نزفت دماء وأزهقت أرواح، واتفقا على إنهاء الصراع المزمن الذي قض مضاجع العالم بأسره.

وان السيد ليسيان بترلان رئيس جمعية التضامن الفرنسية العربية كان مصيبا إلى حد بعيد عندما تحدث عن جلالة الملك قائلا : «إن جلالة الملك الحسن الثاني باعتباره شخصية تتمتع بشجاعة كبيرة هو أفضل سفير للعالم العربي بالنسبة لفرنسا. وإن جلالة الملك الذي يحسن مخاطبة ومحاورة العرب والأوربيين والأمريكيين على السواء يعتبر إحدى الشخصيات المؤهلة والأكثر مصداقية في العالم العربي».

لهذا وذاك قال السيد خياري الأمين الوطني لجمعية المسلمين الفرنسيين : إن الجمعية ترى من واجبها أن تدعم أواصر الصداقة بين الشعبين المغربي والفرنسي وأشاد بجهود جلالة الملك من أجل إقرار الحرية والديمقراطية ومساعيه الدؤوبة على رأس لجنة القدس لإيجاد حل لمشكل الشرق الأوسط، وأكد مساندة الجمعية للجهود الملكية.

فالفكر الحسني باعتباره مدرسة رائدة قائمة الذات ليس بمقدور أي باحث أو مفكر أو محلل أو ناقد كان الإلمام به كاملا أو الإحاطة به لغناه وخصوبته ولاتساعه وتنوعه، ولعمقه وشموليته، ولا أدل على ذلك من موسوعة انبعاث أمة التي تجسد هذه المقولة التي أومأنا إليها وتشخص بكل صدق ما قصدناه.

إن الشعب الحسني لفخور كل الفخر ومعتز أيما اعتزاز بهذا الرصيد الذي لا يفنى أبدا.

حفظ الله لنا الملك الهمام صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني العظيم.



فهرس العدد 255

ديوان المجلة

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3

الحمد لله

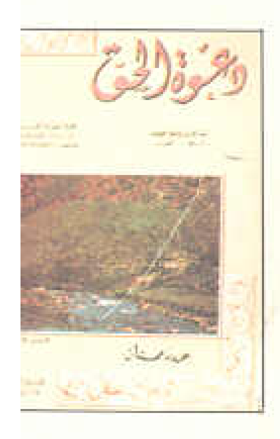
أصبح من أكبر الواجبات المؤكدة علينا في فجر نهضتنا الشاملة أن نضاعف عنايتنا بالناحية الروحية والفكرية، وأن نعمل على تحرير العقول من قيود بعض التقاليد والأوهام التي لا تتلاءم والمفهوم الصحيح لتعاليم ديننا الحنيف

إن حرصنا على الاعتصام بحبل الدين والتشبث بمبادئه والسير على سننه ليعد أهم العوامل الأساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين، بالرغم مما اعترض سبيلنا من عراقيل وما منينا به من أهوال وخطوب، وسيظل عاملا أساسيا في تحقيق أهدافنا المنشودة كأمة تواقة إلى حياة راقية كريمة

ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية. ولنا وطيد الأمل في أن يلتف حولها رجال الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء.

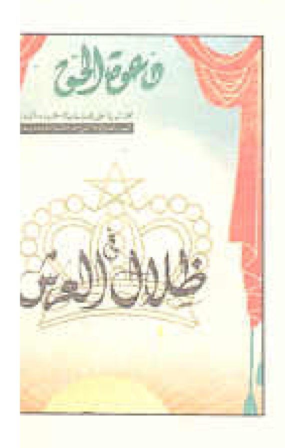
وعسى أن تسلك مجلة «دعوة الحق» سبل النجاح والتوفيق والصلاح

محمد بن يوسف


دعوة الحق

دعوة الحق

دعوة الحق

دعوة الحق

دعوة الحق
في ظلال العرش

دعوة الحق

دعوة الحق

دعوة الحق
خاص

دعوة الحق

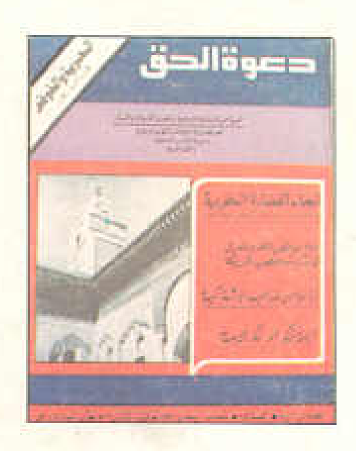
دعوة الحق

دعوة الحق

دعوة الحق
العرش المغربي

دعوة الحق

دعوة الحق

دعوة الحق
الإسلام والنهضة المغربية

دعوة الحق